شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: محمود درويش
سكرتير التحرير : اليامن خوري

٨٠ تموز (يوليو) ١٩٧٨

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين ٠

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص٠ب ١٦٩١ ٠ تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت ٠

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل٠ل٠ في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل٠ل٠ في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل٠ل٠ في اوروبا ، ١٢٥ ل٠ل٠ في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل٠ل٠ في جميع الدول غير العربية ٠

الغلاف للفنان مصطفى الحلاج

غلاف العدد الماضي (٧٩) للفنان سامي برهان
وليس لعبد القادر ارناؤوط كما ورد

المحتويات

٤	محمود درويش	: الارهاب الاسود ٠
٧	باسل امين عقل	: سياسة كارتر الفلسطينية ٠
٢٥	سمير كرم	: معادلة التوازن الاستراتيجي بين سحر التكنولوجيا والعقيدة العسكرية ٠
٤٥	محمد المجذوب	: اسرائيل والسيطرة على الثروات العربية ٠
٥٦	عبدالحفيظ محارب:	الموقف من التسوية بين ليكود والتجمع العمالي ٠
٨١	عبدالقادر ياسين	: التطور الصناعي في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ٠
٩٧	ماهر الشريف	: محاولة اولية للتعرف على حيثيات العملية التاريخية لولادة الحزب الشيوعي في فلسطين (١) ٠
١١٥	وثائق	: سيرة عرب التعامرة ٠
١٢٥	تقارير	: الاحصاء الفلسطيني ، سمير ايوب ٠

١٣٠ مراجعات : [ياسين الحافظ] **التجربة الفيتنامية** ، وليد نويهض ·
[محمـود سـويد] **الصـراع عـلى ارض التسـوية الاسرائيلية** ، هاني مهندس · [الياهو ايلات] **العودة الى ارض صهيون والعرب** ، حمدان بدر ·

١٥٠ شهريات : ١ ـ **المقاومة الفلسطينية** : بلال الحسن ·
٢ ـ **المناطق المحتلة** : ع·م·
٣ ـ **اسرائيليات** : حنه شاهين وتوفيق فياض ·
٤ ـ **قضايا دولية** : س·ك ·
٥ ـ **قضايا عسكرية** : محمود عزمي ·

شؤون ادبية

١٨٠ احمد عبد المعطي حجازي : **طيور المخيم** ·

١٩٠ الياس خوري : **في نقد الشعر** ·

٢٠٠ مناقشات : عز الدين القلق : **فلسطين ليست طيفا** ·

٢٢ مروان حميد : **جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية** ·
من ٤/١٦ ـ ١٩٧٨/٦/١٢ ·

الإرهاب الأسود

لا وقت ، لا وقت · المشنقة تسبق السؤال ، والرصاصة تبحث عن صدر او ظهر · ونادرا ما يرى القتيل وجه قاتله ، كأنه يخرج منه على قوس الظلال ويختفي فيه · او كأن القتل انتحار ، رياح تهب ورمل · وغالبا ما ندرك ان الاشجار العربية ، المتعانقة او المفترقة ، جنازة ثابتة وصامته · ودائما نعرف ان اضلاعنا مشانق · ونحمد اليوم التالي على معجزة التكرار · ومن الهواء ياتي زوار لا نعرفهم · يأخذوننا من ذاتنا ، وينصرفون ، فندافع عن تهمة لم يوجهها الينا أحد ، ونتعذب في سجن لا جدران له · ومن الشوارع تنفجر اسرار لا تعنينا وتتكسر قامات لا نودعها ونادرا ما نحزن · وحين نبحث في السجون عن اسمائنا لا نجد لها اثرا ولا شبها · وعندما نتحرى الجدران عن دمنا لا نجد غير هتافات جميلة تعدنا بصباح حتمي ، يكتبها زوار الليلنيابة عن الشهداء · وتتاح لنا احيانا فرص لمحاورة الجلادين ، فنجدهم اذكياء وطيبين ، يعرفون لغتنا واحلامنا وينحتون لنا المستقبل في الصخر· وكلما خاطبناهم بلغة عاطفية سبقونا الى البكاء· وكلما عاتبناهم على ظلم لحق بالابرياء اخذونا الى الشرفة لنرى صفوف الشهداء تبايعهم ، فنعتذر او نكاد ، ونفتش عن القاتل في مكان آخر ، ونتبش جلودنا لنلمس دمه فينزلق · وتبقى التهمة مسالة نفسية وترجأ الاسئلة الى زمن آخر · الكل يعرف الخطر الذي يتربص بالرجاء ، والكل يتفق على ان تحول الشمس الى احتمال يومي صار موضوعا قابلا للخلاف · فاين الخطأ واين الصواب ؟ والجلادون ظرفاء يحبون الاغاني وانيقون بلا حدود · وحين يمرض الواحد منهم يؤتى اليه بجماهير حزينة لتعوده وتودعه ، فيسأل مترجمه الشعبي عن اللغط فيجيب : جاء الشعب مودعا ، فيتساءل ببراءة صادقة : الى اين يسافر الشعب ؟!· هل يستطيع وزير واحد ان يبلغ الحاكم ان الشعب لا يسافر ؟ لماذا تسبق المشنقة السؤال اذن ؟ ولماذا يبنون لنا مزيدا من السجون اذا كنا جميعا طلقاء ؟· تنزل الاسئلة الى الهمس فيسمعها العصفور ويشي · ولكن الوجدان يشتاق الى محاكمة يتلو فيها المدعي العام

لائحة الاتهام لننجو من هذا الكابوس ، ولنستمع الى محامي دفاع واحد بلغتـــه القانونية القديمة التي كدنا ننساها · وكمنشتاق الى مظاهرة واحدة ، في عاصمة واحدة ، نحتج فيها على خيانة واحدة ، او نحيي فيها بطولة مضادة ! وكم نحـن الى افتتاحية ساخنة تعيد الينا ذكريات خلاف ما ، وقع يوما ما ، بيـن حاكـــم ومحكوم · هل انتهت الحرب الطويلة مع العدو ، الذي ما زال يحتـــل الاوطان ، لينتهي الفارق بين الليل والنهار ؟· وهل يكفي ان يصدر الحاكم بيانا جبانا عـن آخر الحروب ، ليحل السلام بين المتخم والمحروم وبين السجين والسجان وبيـــن الظالم والمظلوم ؟ هل كانت سعادتنا بسيطة وقريبة الى هذا الحد ولم نعرف ؟ وهل نندم على عمر ضاع امام شعار لم يتحقق ، لا لشيء الا لان احد الاقزام قفـــز على الشجرة وطال في الظلال ! واذا كان عمرنا قائما على هذا الوهم فمن ايـــن الحاكم جاء ؟ لماذا لا يسقط الساقط وخده ؟· لا وقت للسؤال ، ولا وقت للجواب، لان المشنقة جاهزة، ولان الحوار اضاعة لوقت الحاكم المشغول ·· بماذا ؟·· كان شعار « لا صوت يعلو فوق صوت المعركة » كابحا للتعبير عن الحاجة الى الخبـز والحرية ، لان قيدنا كان شرطا لحرية الوطن · فاي صوت يكبح الان واية معركة تعلن ؟ دائما كانت المشنقة صدى ، وتتحول اليوم الى افتتاح · لقد أعلن الحاكـم الحرب علينا من الوريد الى الوريد · وهو الذي يبشر بانهيار السلطة ويعـــد المشانق للاحتمالات · انه زمن الارهاب الاسود · ارهاب يميني ولو وقف علـــى يسار الضحية · ارهاب اصيل ، عروبي ، نابع من ذواتنا ، غير مستورد · مستتر خلف حجاب رغم انه ذكر · ويصلي خمس مرات في اليـــوم ، اذا شئتم ، تقي ، اصولي ، يقطع اليد الممتدة الى الرغيف والحرف بحد السيف ، وفق الشريعـة · واحيانا متمدن : يستخدم ارقى ادوات التعذيب البشري ومراقبة الاحلام علـــى الشاطيء · وسري : ليجعلك القاتل والقتيل في جسد واحـــد · وعلني : كمنشآت النفط التي تجتاح القيم ، وكصحف هذه الايام ، وكشاشة التلفزيون التي لا يغادرها

وجه الحاكم الذي الغى الفكاهة • وجاهل : يكره الكتابة والصحافة فيشتريهـا ويرميها في المرحاض • ومثقف : يعلن ان الحروب الوطنية والاهلية هامشية ، لا تدخل في الجوهر • وشاعر : يضع السحر والشعوذة بديلا للمعرفـة العلميـة ، ويحدد التناقض الرئيسي بين حنجرة الشاعر وخصر الراقصة • وديموقراطي : يعدد اسماءه ويحدد جوهره ، ثم يوحد صورته حين يعم الاجتهاد العيون • وفاشي: لا يتقن المهنة فلا يبني ولا يحارب الا الفقراء • واشتراكي : ولكن طبيعة الانسـان التي يتنازعها الخير والشر هي العائق ، ولان التناقض الرئيسي بين الانسـان والله • انه الارهاب الاسود • انه الارهاب الاسود الذي يخاف الشفق الممكن في عروق الامة ، الارهاب المجارف الذي يعرف من هم اعداؤه من فرط ما يعرف نفسه وطريقة استيلائه على السلطة • انه الارهاب الاسود الذي استسلم للغزاة بلا ثمن فخاف سؤال الشارع فجعل المشنقة تسبق السؤال • انه الارهاب الاسود الـذي يدعونا الى المعركة ويخذلنا في اوج المعركة لانه لا يعادي سوانا • طالبناه بـان يعامل « العبيد » كما يعامل « طائفة اليهود » ، على الاقل ، فجن واتهمنا بالخلاعة، لان لليهود امبركا تحميهم وخطوط دفاع مشتركة • انه الارهاب الاسود الـذي يستبق العاصفة التي تتاهب للانفجار فينا ، ويعرف سر فلسطين فيجعلها سرا او عيبا من عيوب القرية • انه ارهاب السلطة ، بميوعة صفاتها الطبقية ، وبوضوح تجلياتها في تسليم الارض ، وفي تحريم النبض ، وفي تعميم القبض • لها حرس ، وعسس ، وادباء وشعراء محمولون على الاوراق وعلى ناقلات الجنود ، انـه الارهاب الاسود الذي يعي ازمته فيسبق السؤال بالمشنقة ويحول الكتاب الـى كلاب ، ويحول القمع الى ارهاب • انه الارهاب الاسود الذي لا يخيفنا بقدر مـا يخيفنا ان لا نعي انه ارهاب ، فلنعلن اننافي زمن الارهاب ، في زمن الارهـاب الاسود •

محمود درويش

باسل أمين عقل

سياسة كارتر الفلسطينية

حين تسلم الرئيس جيمي كارتر مهام الرئاسة في الولايات المتحدة الاميركية وجلس الى مكتبه في الغرفة البيضاوية في البيت الابيض كانت تكهنات المراقبين السياسيين حول سياسته المرتقبة بشأن الصراع العربي الاسرائيلي تتراوح بين التفاؤل والتشاؤم · فالمتشائمون بقوا على قناعتهم بأن الحكومة الامريكية لن تغير موقفها المتحيز والمتحالف مع اسرائيل ، والمتفائلون توقعوا تغيرا في السياسة الامريكية اما جذريا او اساسيا ·

وقد بنى المتفائلون تفاؤلهم على عدة اعتبارات يمكن ايجازها على النحو التالي :

اولا : كون الرئيس كارتر يمثل عهدا جديدا ووجها جديدا ودما جديدا ونهاية لمرحلة ووترجيت التي هزت المجتمع السياسي الامريكي ·

ثانيا : الدور الهام الذي لعبته اصوات المزنوج الامريكيين ـ وهم الطبقة العاملة ـ في انتخاب الرئيس كارتر الامر الذي جعل كارتر مدينا بشكل كلي لاصوات اليهود الامريكيين ·

ثالثا : النزعة الدينية لدى كارتر وتوجهاته البيوريتانية مما اكسبه في نظر العديد من الناس صفات الصدق والعدل والموضوعية ·

رابعا : العداء السافر الذي اظهرته الادارات الامريكية السابقة تجاه الاماني الوطنية العربية والفلسطينية والاعتقاد بأن استمرار هذا العداء لا بد وان يعود

بالضرر على المصالح الامريكية في المنطقة ، نفطيا وماليا واستراتيجيا وسياسيا ٠

خامسا : ميل مصر ـ وهي اكبر دولة عربية ـ نحو الولايات المتحدة بشكل فاق كل التقديرات وعلى حساب علاقاتها مع الاتحاد السوفييتي ٠

سادسا : تبلور الهدف الفلسطيني للمرحلة التالية وهو اقامة دولة فلسطينية مستقلة على اي جزء من الوطن الفلسطيني يتم تحريره من الاحتلال الاسرائيلي ٠

سابعا : تعاظم التأييد الدولي لنضال الشعب الفلسطيني مما خلق مناخا مناسبا لتحرك امريكي جديد وخاصة في اعقاب وصول ياسر عرفات الى هيئة الامم وقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٣٢٣٦ الخاص بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والعودة والاستقلال ٠ ثم دخول منظمة التحرير الى مجلس الامن وتشكيل لجنة العشرين ، وتقرير تلك اللجنة الذي وضع برنامجا زمنيا لتنفيذ ما نص عليه القرار ٣٢٣٦ من حقوق وطنية للشعب الفلسطيني بالاضافة الى قرار المجتمع الدولي ممثلا بالجمعية العامة في اواخر عام ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري ٠

ثامنا : فشل سياسة الخطوة خطوة الكيسنجرية ٠

تاسعا : بفوز كارتر اصبح الحزب الحاكم لاول مرة منذ سنوات صاحب الاغلبية ايضا داخل الكونجرس ٠ فخلال السنوات الماضية كان الحزب الجمهوري يحكم بينما الحزب الديمقراطي يسيطر على الاغلبية في الكونجرس ، وهذا يوفر لكارتر تعاملا افضل مع السلطتين التنفيذية والتشريعية ٠

وحيث ان ادارة كارتر على وشك الشروع خلال ثلاثة او اربعة اشهر في الاعداد للانتخابات الكونجرسية التي تشمل حوالي خمسة وستين في المائة من مقاعد مجلس الكونجرس ٠ ولما كان الاعداد لانتخابات الفترة الثانية لرئاسة الجمهورية سيبدأ مباشرة بعد انتخابات الكونجرس فانه من غير الممكن ان يقوم كارتر بخطوات جديدة على صعيد محاولات تسوية الصراع العربي الاسرائيلي الا بعد انتهاء انتخابات الفترة الثانية لرئاسة الجمهورية اي في اواخر ١٩٨٠ ٠ وعليه فانه من المناسب ان نحاول استكشاف ايهما كان على حق ، المتفائلون ام المتشائمون وذلك باستعراض سيرة سياسة كارتر حتى الان ٠ وهي على اية حال سيرة لا تخلو من الاثارة والطرافة ايضا ٠

اذا حاولنا تحليل سياسة كارتر برسم خط بياني امكننا تقسيم رحلة الخط البياني الى مرحلتين ٠ الاولى تميزت بالصعود المتدرج اما الثانية فتميزت بالهبوط العامودي دون ان يكون للخط البياني اية تعرجات افقية خلال هبوطه المفاجيء ٠

الصعود المتدرج :

هناك مجموعة علامات فاصلة على طريق صعود الخط البياني يمكن تناولها على النحو التالي :

اولا : تصريح الوطن الفلسطيني : خلال اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة في شهر اذار ١٩٧٧ فاجأ الرئيس كارتر العالم بتصريحه حول ضرورة قيام وطن للفلسطينيين · وعلى الرغم من وجود مآخذ رئيسية على التصريح اهمها :

أ) انه لم يجدد فلسطين وطنا للفلسطينيين ·

ب) انه لم يلتزم بمبدأ الاستقلال والسيادة للفلسطينيين ·

جـ) انه ورد ضمن تصور امريكي للحل تضمن فيما تضمن فترة انتقالية لعدة سنوات يتم خلالها تعامل اقتصادي وسياسي وثقافي وسياحي بين العرب واسرائيل (١) ·

وعلى الرغم من تلك المآخذ فقد اعتبر التصريح قياسا على المواقف الامريكية السابقة بمثابة قفزة نوعية في السياسة الامريكية وذلك لسببين :

أ) انه يمثل ولاول مرة سياسة فلسطينية من جانب حكومة الولايات المتحدة ·

ب) انه يمثل اول اعتراف امريكي بضرورة قيام وطن فلسطيني (على الرغم من المآخذ السالفة الذكر) منذ ان ايدت الولايات المتحدة قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ الذي نص على مبدأ قيام دولة فلسطينية · وبقي تعبير الوطن الفلسطيني كما اطلقه كارتر خاضعا للنقاش وقابلا للتفسير ·

ثانيا : **منظمة التحرير تمثل جزءا اساسيا من الشعب الفلسطيني :** ويستمر الخط البياني لسياسة كارتر في صعوده في غمرة الحديث عن جنيف وعن من يمثل الفلسطينيين · فخلال مؤتمر صحفي عقده الرئيس كارتر في واشنطن بتاريخ ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٧ (٢) قال الرئيس كارتر حرفيا :

« (بالنسبة لمنظمة التحرير) هذا امر لا زال في مرحلة التفاوض ولا استطيع التكهن بالنتيجة النهائية · وليس لدينا موقف عام حول من يمثل الفلسطينيين بالتحديد او ما هو شكل المجموعة العربية التي سيمثل فيها الفلسطينيون · انني لا استطيع الاجابة على هذا السؤال لانني لم اجد الاجابة له في عقلي » ·

وفي رد على سؤال اخر خلال المؤتمر الصحفي نفسه قال كارتر حرفيا :

« أن منظمة التحرير لا تمثل شعبا · انها هيئة تمثل بالتأكيد جزءا اساسيا من الفلسطينيين · انني متأكد انهم ليسوا الممثلين الوحيدين للفلسطينيين ، فواضح ان هناك مثلا رؤساء بلديات ومسئولين محليين في منطقة الضفة الغربية يعتبرون ايضا ممثلين للفلسطينيين · وهؤلاء قد يكونون او لا يكونون اعضاء في منظمة التحرير · وهكذا فاننا نحاول ايجاد الصيغة المحددة لطرحها على الاخرين » ·

وهذا كلام له مغزاه اذا نظرنا اليه من خلال البنية السياسية الامريكية الداخلية ، اذ لم يكن بمقدور كارتر في ظل الالتزامات الامريكية لاسرائيل ، ووزن الفئات الضاغطة الصهيونية ان يعلن ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني · ولعله من المفيد ان نذكر في هذا المجال ان الملحق رقم (٨) من اتفاقية سيناء الثانية والذي بقي سرياً ثم اعلن (٣) تضمن اتفاقا بين حكومة الولايات المتحدة واسرائيل بتاريخ ١ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ تعهدت الحكومة الامريكية بموجبه « بعدم الاعتراف او التفاوض مع منظمة التحرير ما دامت منظمة التحرير لا تعترف بحق اسرائيل في الوجود ولا تقبل قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ وان تتشاور حكومة الولايات المتحدة وتنسق موقفها واستراتيجيتها في مؤتمر جنيف للسلام حول هذا الموضوع مع حكومة اسرائيل » · وقد وقع الاتفاق نيابة عن الحكومة الامريكية هنري كيسنجر بينما وقعه عن اسرائيل ايجال آلون ·

وعلى اية حال فان تصريح كارتر يمكن اعتباره بمثابة اعتراف ضمني بمنظمة التحرير الفلسطينية · وفي الوقت الذي كان باتريك موينهان مندوب الولايات المتحدة السابق لدى الامم المتحدة في عهد الرئيس فورد يغادر القاعة وراء ممثل اسرائيل حين يقف ممثل فلسطين ليتحدث ، اخذ اندرو يونج المندوب الاميركي الجديد يصافح اعضاء الوفد الفلسطيني ويتحدث اليهم ·

ثالثا : **البيان السوفييتي الامريكي** : وبلغ الخط البياني لسياسة كارتر قمة صعوده بصدور البيان السوفييتي الامريكي في اليوم الاول من اكتوبر ١٩٧٧ · وبالمقياس العربي الفلسطيني تضمن البيان السوفييتي الامريكي الثغرات التالية :

أ) تضمن البيان روح القرار ٢٤٢ دون ان يذكره تحديدا ·

ب) نص البيان على اقامة علاقات سلمية طبيعية وهو ما لم يشر اليه حتى القرار ٢٤٢ ·

ج) اغفل البيان ذكر منظمة التحرير الفلسطينية ·

ولا شك ان ثغرات البيان المشترك لم تغب عن بال الاتحاد السوفييتي ، ولكنه

في الاغلب تغاضى عنها من اجل انتزاع الاعتراف الامريكي بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني · وهذا على ما يبدو اقصى ما استطاع حليفنا السوفييتي انتزاعه في ظل موازين القوى العالمية وميزان القوى العربية الاسرائيلية · ولو كانت اوضاعنا العربية على غير ما هي عليه من ضعف وتفكك وتهلهل لانتـزع لنا السوفييت اكثر بكثير من ذلك ·

وبالمقابل نص البيان السوفييتي الامريكي على ما يلي :

١) الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ·

ب) مبادىء السيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لـ « شعوب » المنطقة · ويلاحظ هنا ان البيان استعمل الفاظ « الشعوب » و « الاطراف » مما يشمل الشعب الفلسطيني لانه « شعب » و « طرف » وذلك باعتراف الامـم المتحدة وحتى الحكومة الامريكية التي ما انكرت كوننا شعبا والطرف الرئيسي المباشر في الصراع مع اسرائيل · اما قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فانه يتحدث عن « دول » المنطقة · وحيث ان الشعب الفلسطيني لا يملك دولة ولم يكن له دولة يوم اصدر مجلس الامن قراره رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ فان القرار المذكور ينطبق على الدول وليس على الشعوب · ولكن الحكومة الامريكية درجت على معاملة الشعب الفلسطيني كدولة عند البحث في التزاماته وكشعب مـن اللاجئين عند البحث في حقوقه ·

جـ) تثبيت حق الشعب الفلسطيني في ارسال ممثليه الى مؤتمر جنيف على قدم المساواة مع بقية الاطراف ·

ولعل اهم واخطر ما في البيان السوفييتي الامريكي النقاط الثلاث التالية :

١) التزام حكومة الولايات المتحدة بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني · وقد اصدر الوفد الفلسطيني في نيويورك بيانا ـ كان من اول ردود الفعل على البيان المشترك ـ اعلن فيه ان منظمة التحرير ترى في البيان « مؤشـرات ايجابية » وسارع البيان الفلسطيني الى تفسير الحقوق المشروعة على انهـا تعني حق تقرير المصير والعودة والاستقلال كما اقرتها واكدتها الجمعية العامة للامم المتحدة ·

ب) عودة الاتحاد السوفييتي حليف العرب الرئيسي الى لعب دور الشريك المتكافىء مع الولايات المتحدة في عملية البحث عن السلام وذلك بعد ان انفردت الاخيرة طيلة اربع سنوات في محاولة اعادة ترتيب اوضاع المنطقة العربيـة بمعزل عن الاتحاد السوفييتي دون جدوى ·

جـ) التزام الدولتين الاعظم علنا وفي بيان مشترك بعقد مؤتمر جنيف فـي

موعد اقصاه ديسمبر ١٩٧٧ ٠

فماذا كانت النتيجة ؟

لقد اتيح لكاتب هذا البحث ان يشهد على الطبيعة في نيويورك ـ المعقل الاول للصهيونية العالمية ـ ردود فعل الفئات الضاغطة الصهيونية الامريكية على البيان السوفييتي الامريكي المشترك وتراجع ادارة كارتر المهين امام تلك الحملات الاسرائيلية الصهيونية ٠ ولعل استعمال كلمة « مهين » مناسب لوصف تراجع كارتر لان المحيطين به وانصاره كانوا يتبجحون بالقول ان كارتر لن يسمح للوبي الصهيوني بأن يعامله مثل من سبقوه من رؤساء امريكا لانه على حد تعبيرهم « بندقة يصعب كسرها » A hard nut to crack

ولنستعرض رحلة الهبوط العامودي المفاجيء للخط البياني لسياسة كارتر ٠

الهبوط العامودي :

كان البيان السوفييتي الامريكي المشترك نهاية المطاف بالنسبة لسياسة كارتر الفلسطينية ٠ ومنذ صدور البيان المشترك والرئيس الامريكي في حالة تراجع ناسفا كل ما قاله او ما اوحى به في السابق ٠ وفيما يلي اهم ملامح الضغوط الاسرائيلية والصهيونية والتراجع الامريكي :

الضغوط الاسرائيلية والصهيونية :

اولا : اصدرت الحكومة الاسرائيلية بيانا من خمس نقاط رفضت فيه البيان المشترك لانه « يتعارض والمعنى الحقيقي لقرار مجلس الامن ٢٤٢ » ٠ وجاء البيان الاسرائيلي بتاريخ ٧٧/١٠/٢ اي بعد يوم واحد من صدور البيان المشترك ٠

ثانيا : بتاريخ ٧٧/١٠/٢ وخلال وجود مناحيم بيجن في المستشفى قال سيمحا ايرليخ وزير المالية الاسرائيلي : « ان اسرائيل لن توافق على دولة فلسطينية ولن تقبل بوجود منظمة التحرير في جنيف ٠ لا يوجد شيء في البيان المشترك لا يدعو الى القلق » ٠ وعبر ايرليخ عن امله بأن البيان لن يعيش ٠ واضاف ان البيان هو « حصيلة محادثات السالت والجهود الامريكية التي تستهدف تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفييتي على حساب اسرائيل » (٤)٠

ثالثا : وصف اسحق رابين البيان المشترك بأنه « نقطة تحول لا سابقة لها في العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة » ٠ واضاف انه لولا وجود بيجن في المستشفى لاستعمل الفاظا اقسى من ذلك بكثير ٠ ولاحظ رابين ان انسحاب

اسرائيل الى حدود ٦٧ والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني قد ورد ذكرهما قبل انهاء حالة الحرب واقامة علاقات سلمية طبيعية (٥) ٠

رابعا : اعلن شمعون بيريز وزير الدفاع السابق وزعيم التحالف العمالي ان البيان السوفييتي الامريكي « عزل اسرائيل كليا عن الساحة السياسية الدولية وانه يتعارض مع كل قواعد اللعبة ويتناقض مع قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ اللذين لم ينصا على تمثيل فلسطيني في جنيف وبالتأكيد لم يدعوا الى اقامة دولة فلسطينية » (٦) ٠ ويلاحظ هنا ان تصريحات المسئولين وغير المسئولين الاسرائيليين اشتمت في البيان السوفييتي الامريكي رائحة الدولة الفلسطينية ، الامر الذي ينسجم مع تحليلنا للالفاظ التي تعمد البيان المشترك استعمالها مثل « الشعوب » و « الاطراف » وذلك حتى يترك الباب مفتوحا امام الشعب الفلسطيني ٠ وهذه نقطة الفضل فيها بلا ادنى شك للاتحاد السوفييتي ، ولكن المهم ان الولايات المتحدة ـ وهي موضع بحثنا ـ قد التزمت بها او ألزمت بها كما التزمت ايضا بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني التي يفهمها السوفييت على انها تعني ايضا ضمن ما تعني اقامة دولة فلسطينية ٠

هذه عينة من الضغوط الاسرائيلية ٠ اما الضغوط الصهيونية الامريكية فيمكن على سبيل المثال لا الحصر ابراز مظاهرها التالية :

اولا : كان موشي دايان وزير الخارجية الاسرائيلي في نيويورك يحضر اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة وقت صدور البيان ٠ فأخذ يجوب الولايات المتحدة الامريكية ويخطب في التجمعات اليهودية محرضا اياها بألفاظ خارجة عن العرف واللياقة الدبلوماسية ـ وكأنه في تل ابيب ـ ضد الرئيس كارتر بسبب تورطه في البيان المشترك ٠

ثانيا : اعلن الحاخام الكسندر شندلر رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الرئيسية في برقية مفتوحة الى سايروس فانس وزير الخارجية الامريكي ان البيان المشترك « يعني تخلي امريكا عن التزامها التاريخي بأمن وبقاء اسرائيل ويهدد مصالح اسرائيل باعطاء دور رئيسي للاتحاد السوفييتي ليس فقط في جنيف ولكن ايضا في الشرق الاوسط » (٧) ٠

ثالثا : دعا الحاخام جوزيف شتيرن شتاين « الشعب اليهودي في امريكا » الى « تعبئة فورية قومية » ٠ ووصف البيان المشترك بأنه « ميونيخ جديدة » وطالب باجتماع القيادات اليهودية في واشنطن للتعبير عن قلقها بسبب « الاتجاه المميت الذي انتهجته السياسة الامريكية واخطارها القاتلة على دولة اسرائيل » (٨) ٠

رابعا : كان سكان الولايات المتحدة يقرؤون هذه التصريحات في ابرز

الصحف التي جندتها اجهزة الاعلام الصهيونية في حملة شرسة ضد كارتر والبيان المشترك · واخذت محطات الاذاعة والتلفزيون الامريكية تذيع ساعة بساعة اخبار وتطورات الحملة الصهيونية · كما ان القنال ١٣ على التلفزيون الامريكي كان ينقل ويكرر بشكل مستمر البرقيات التي تتناقلها وكالات الانباء حول تفاصيل الاحتجاجات الصهيونية ·

خامسا : نظهم اليهود وانصارهم مظاهرات في جميع انحاء امريكا واطلقوا شعار : كارتر رئيس الفترة الواحدة بمعنى انه لن يفوز في انتخابات الرئاسة للفترة الثانية One term President

سادسا : خلال اسبوع واحد عرض التلفزيون الامريكي فيلمين متعاقبين : الاول حول اغتيال ابراهام لنكولن والثاني حول اغتيال جون كنيدي · ومغزى عرض الفيلمين في ذلك الوقت مفهوم ولا يحتاج الى اي تعليق ·

سابعا : شنت الاوركسترا الصهيونية داخل الكونجرس حملة سياسية شملت الكونجرس والصحافة والتلفزيون ضد البيان المشترك والدور الذي سيلعبه السوفييت · والحديث عن اخطار المشاركة السوفييتية يؤثر على العديد من الامريكيين الذين لا يرون في السوفييت الا « البعبع » الذي يحمل في جعبته الفوضى والصراع الطبقي والسيطرة الدموية على الحكم والالحاد · وفي هذا المجال قال السناتور هنري جاكسون وهو من غلاة الصهيونيين المتعصبين ان موافقة امريكا على التعاون مع الاتحاد السوفييتي في معالجة الصراع العربي الاسرائيلي كانت بمثابة « السماح للثعلب في العودة الى بيت الدجاج » (٩) · « The fox back in the chicken coop ».

ثامنا : بتاريخ ٧٧/١٠/٤ (بعد ثلاثة ايام من البيان المشترك) هبطت في نيويورك طائرة هليوكوبتر تقل الرئيس كارتر ليلقي خطابا امام الجمعية العامة للامم المتحدة · وكان المفروض ان يجري احتفال صغير في مكان هبوط الطائرة يلقي خلاله كارتر كلمة يعلن فيها تأييده للمستر كاوش المرشح الديمقراطي لرئاسة بلدية نيويورك · وما ان وصل كارتر الى كاوش الذي كان في عداد المستقبلين ومد له يده مصافحا حتى فاجأ كاوش الرئيس وعدسات التلفزيون بتسليمه رسالة تتضمن احتجاجا على البيان السوفييتي الامريكي · وتجهم وجه الرئيس الامريكي وغادر مكان الاحتفال متجها الى مبنى الامم المتحدة دون ان يلقي كلمته المقررة ·

وتحول المشهد الى حدث سياسي غير مألوف لانه تم بشكل علني وتلفزيوني وبين شخصين ينتميان الى حزب واحد · وخرجت صحف المساء في نيويورك في نفس اليوم وعلى صدر صفحاتها مانشيت عريض يقول : « كارتر يتعرض

للتوبيخ العلني » ٠٠وكان الحادث مادة دسمة للتعليق على شاشات التلفزيون ومحطات الاذاعة ٠

وقد اراد كاوش بعمله هذا ان يضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد :

أ) ان يساهم علنا بحكم ولائه الصهيوني وعلى مستوى الرئاسة الامريكية في الاحتجاج على البيان المشترك ٠

ب) ان يقول لكارتر ما معناه انه لا يريد تأييده له في انتخابات رئاسة بلدية نيويورك لان ادارته تجرأت ووافقت على البيان المشترك ٠

ج) ان يضمن بموقفه هذا نجاحه في الانتخابات ٠

وقد صحت تقديرات كاوش وحساباته وهو اليوم رئيس لبلدية نيويورك ٠

ولا يفوتنا ان نسجل في هذا المقام ان كارتر اضطر بعد ايام قليلة من الحادث المذكور ان يستقبل كاوش في البيت الابيض مع مجموعة من جهابذة السياسة الامريكية المؤيدين لاسرائيل وقال لهم كلمته المشهورة : « افضل الانتحار السياسي على الحاق الاذى باسرائيل » ٠ رئيس احدى اكبر دولتين في العالم يفضل الانتحار السياسي على الحاق الاذى باحدى اصغر الدول في العالم ٠٠٠

وقد سقنا المثال الاخير بشيء من التفصيل للتدليل على المدى الذي يمكن ان يذهب اليه اللوبي الصهيوني في تحقيق اغراضه ومآربه ٠

هذه امثلة وعينات من الضغوط الصهيونية والاسرائيلية فكيف كان رد فعل كارتر وادارته ؟

التراجع الامريكي :

أيقن كبار المسئولين في الادارة الامريكية وخاصة المعنيين برسم سياستها الشرق الاوسطية ان رد الفعل الصهيوني على البيان المشترك كان اعنف واعم بكثير مما تصوروا ٠ وتمهيدا للتراجع بعد ان ارتعدت فرائصهم واستبد بهم الخوف والقلق على مستقبل كارتر السياسي وبالتالي على ادارته اخذ بعضهم يمرر معلومات عبر الصحفيين مفادها ان « ادارة كارتر تتعرض للمدفعية الصهيونية الثقيلة » وان « الضغط شديد » وانه « لا بد من تطمين اسرائيل »٠ وبدأت رحلة التراجع او الهبوط العامودي على النحو التالي :

اولا : اعلن زبجنيو بريجنسكي رئيس مجلس الامن القومي في حديث للتلفزيون الكندي بعد اقل من اربع وعشرين ساعة على صدور البيان المشترك « اذا تعرضت اسرائيل للتهديد وخاصة من دولة خارجية فان الولايات المتحدة

حتى من الان وبدون معاهدة امنية ستهب بالتأكيد لنجدة اسرائيل » ٠ (١٠)

وقد جاء كلام بريجنسكي في اعقاب تصريحات متعددة لكارتر اكد فيها ان الولايات المتحدة تنتهج سياسة متوازنة even handed policy بالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي ٠ ومع ذلك فان التأكيدات والتطمينات توجه الى اسرائيل فقط ٠

ثانيا : بتاريخ ٧٧/١٠/٤ ألقى الرئيس كارتر خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة وكانت الحملة الصهيونية في ذروتها ٠ ومع انه اتى بشكل عابر على لفظ الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فان خطابه باجماع جميع المراقبين (ويمكن الرجوع اليه في محاضر الامم المتحدة) جاء صهيونيا شكلا ومحتوى بنسبة ثمانين في المائة ٠ والطريف ان كارتر تلعثم حين قال « الشعب الفلسطيني » فلفظ بدلا منه « الشعب البانامي » وكأنه خائف من مجرد اللفظ ٠٠

وخلال حديثه عن اسرائيل قال كارتر : « اسرائيل التي قاتلت اربع مرات في حروب رئيسية دفاعا عن وجودها » ٠

ألم يكن بمقدور كارتر ان يقول بالمقابل تطبيقا لسياسته « المتساوية » : « الشعب الفلسطيني المحروم من وطن طيلة ثلاثين عاما » ولو قال هذا الكلام لجاء منسجما مع تصريحه حول انشاء وطن للفلسطينيين ٠

ثالثا : في اليوم التالي اي بتاريخ ٧٧/١٠/٥ عقد اجتماع في نيويورك بين كارتر ودايان في جناح الرئيس الامريكي في الفندق ٠ ثم استأنف دايان وفانس الاجتماع حتى الثانية صباحا خرج بعدها دايان ليعلن في مؤتمر صحفي في ساعات الفجر الاولى ان الاتفاق كامل بين الحكومتين ، واتضح فيما بعد ان الجانبين اتفقا على ورقة عمل بشأن جنيف اذيع نصها الرسمي يوم ٧٧/١٠/١٣ خلال جلسة الكنيست ٠ (١١) وتضمنت الورقة ما يلي :

أ) ان تشكل الاطراف العربية وفدا عربيا موحدا الى جنيف يضم عربا فلسطينيين ٠

والقصد بطبيعة الحال تذويب استقلالية الطرف الفلسطيني وهويته وتجاوز منظمة التحرير الفلسطينية ٠

ب) ان ينقسم المؤتمر الى مجموعات عمل مصرية اسرائيلية واردنية اسرائيلية وسورية اسرائيلية ولبنانية اسرائيلية ٠ وان يبحث موضوع الضفة الغربية وغزة في مجموعة عمل تضم اسرائيل والاردن ومصر وعربا فلسطينيين ٠

والقصد بطبيعة الحال ان تواجه اسرائيل كل طرف عربي على حدة ، للحيلولة دون بروز موقف عربي موحد وحتى لا تكون القضية الفلسطينية القضية المركزية في المؤتمر ٠

جـ) حل مشكلة اللاجئين العرب واللاجئين اليهود سيبحث وفقا لشروط يتم الاتفاق عليها ٠

والقصد بطبيعة الحال خلق مشكلة جديدة تدعم الموقف التفاوضي الاسرائيلي واضعاف اهم ورقة يحملها الطرف الفلسطيني وهي ورقة حق العودة ٠ وحق العودة كما اقرته واكدته الامم المتحدة يشمل اراضي فلسطين التي احتلت عام ١٩٤٨ ٠ وهذا يعني في حالة التطبيق الدولة الديمقراطية العلمانية ٠

د) ان يبقى الاطار الاساسي لصلاحيات مؤتمر جنيف Terms of reference كما هو الا اذا وافقت على تغييره كافة الاطراف الى المؤتمر ٠

والقصد بطبيعة الحال تثبيت قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ كاطار لانعقاد مؤتمر جنيف الامر الذي تجنبه البيان السوفييتي الامريكي تحديدا ٠ ويترتب على ذلك التراجع عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني لان القرار ٢٤٢ يتعامل مع الفلسطينيين كلاجئين ٠

ماذا بقي من البيان السوفييتي الامريكي ؟

رابعا : اذا كانت الدولتان الاعظم قد اتفقتا في البيان المشترك على مجموعة مبادىء من اجل عقد مؤتمر جنيف دون ان تشيرا الى القرار ٢٤٢ فلماذا العودة الى الحديث عنه كقاعدة واساس لمؤتمر جنيف ٠ ولعل الحديث التالي لبريجنسكي يؤكد تحليلنا للبند « د » من ورقة العمل الامريكية الاسرائيلية ٠ ففي حديث تلفزيوني بتاريخ ٣٠-١٠-٧٧ سئل بريجنسكي عن امكانية اشتراك منظمة التحرير في مؤتمر جنيف فاجاب : « لا يمكن لاحد ان يشترك في المؤتمر قبل ان يقبل اساس المؤتمر وهو القرار ٢٤٢ ٠ ومنظمة التحرير لم تقبل هذا القرار ٠ وثانيا فان الاطراف المشتركة في المؤتمر هي التي تقرر من يشترك فيه ٠٠٠ ومنظمة التحرير كهيئة لا تستطيع المشاركة بسبب موقفها من القرار ٢٤٢ وايضا بسبب العداء الاسرائيلي الشديد لها ٠٠٠ ولكن دايان وزير الخارجية يشرب الشاي عادة مع رؤساء البلديات في الضفة الغربية ٠ وهو يعلم جيدا علاقة هؤلاء بمنظمة التحرير ٠ وهكذا فان هناك وسائل اخرى لمعالجة مشكلة كهذه » ٠ (١٢)

خامسا : واذا كانت لا تزال لدى البعض بقية من اوهام حول ما يعنيه الرئيس كارتر بتعبير الوطن الفلسطيني على اعتبار انه ربما كان يرمي العودة الى مبدأ التقسيم وبالتالي السيادة والاستقلال الفلسطينيين ٠ فقد اختار الرئيس

الامريكي يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٧ اي ذكرى مرور ستين عاما على صدور وعد بلفور ليعلن مفهومه للوطن الفلسطيني · ففي خطاب له امام المؤتمر اليهودي العالمي الذي كان يحتفل بالمناسبة قال كارتر : « سنستمر في تشجيع الوصول الى حل بناء للقضية الفلسطينية ونحن من جانبنا لا نفضل دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية (تصفيق) ··· ان علاقتنا باسرائيل ستظل قوية · فمنذ عام ١٩٧٣ قدمنا لاسرائيل مساعدات عسكرية واقتصادية قيمتها عشرة بلايين دولار كان ثلثاها عبارة عن هبات مباشرة وقروض مسهلة Concessional وان حجم هذه المساعدة لا مثيل لها في التاريخ · وهو دعم سلامة اسرائيل الاقتصادية وقوى قدرتها العسكرية · ان دعمنا سيستمر · » (١٣) (تصفيق)

وهكذا في ذكرى الوطن القومي اليهودي اعلن كارتر انه لا يحبذ وطنا فلسطينيا مستقلا ·

سادسا : توقف الحديث نهائيا عن البيان المشترك وبالتالي عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني · واشرفنا على نهاية شهر ديسمبر ١٩٧٧ ولم ينعقد مؤتمر جنيف وكان قد مضى ثلاثة اشهر على صدور البيان · وتحققت تمنيات سيمحا ارليخ فقضى البيان المشترك متأثرا بالهجمات الصهيونية وتخلي الامريكيين عنه · وساعد على التعجيل بنهايته زيارة الرئيس السادات للقدس والمناخ السياسي الجديد الذي استشرى عربيا ودوليا · وبدلا من ان يستفيد كارتر من التنازل التاريخي الذي اقدم عليه السادات بزيارته للقدس فيتقدم خطوة على الصعيد الفلسطيني رأيناه يمعن في تراجعه حماية لنفسه ومستقبله من براثن اسرائيل واللوبي الصهيوني وكأنه يريد الانعتاق من مرحلة ما بعد البيان المشترك ·

ففي لقاء له مع ممثلي شبكات التلفزيون الامريكي دار جزء من الحوار على النحو التالي :

الرئيس : ان الرئيس السادات لا يزال يصر على ان ما يسمى الكيان الفلسطيني يجب ان يكون دولة مستقلة · وانا افضل ان لا يكون الكيان مستقلا وان يرتبط بشكل ما بالدول المحيطة مثل اسرائيل او الاردن ··· ورايي الشخصي انه لا يمكن تحقيق سلام دائم بخلق دولة جديدة راديكالية مستقلة في قلب منطقة الشرق الاوسط ·

سؤال : هل توافق على موقف مناحيم بيجن الذي يقول بوجود دائم للقوات الاسرائيلية في الضفة الغربية وان كل من يريد السلام يجب ان يعلم ذلك · هل هذا موقف تفاوضي واقعي ؟

الرئيس : نعم انه بالتأكيد موقف تفاوضي واقعي ··· واعتقد ان رئيس

الوزراء بيجن قد أظهر قدرا كبيرا من الواقعية · وعلى اية حال فان العلاقة بين حكومة الحكم الذاتي في الضفة الغربية والاردن او اسرائيل سوف تخضع لمزيد من المفاوضات · (١٤)

وبهذا الكلام يكون كارتر قد انحاز علنا الى الموقف الاسرائيلي ، وتبنى مشروع بيجن للسلام الذي عرضه عليه قبل ذلك بأيام في واشنطن ثم عرضه على الرئيس السادات في اجتماع الاسماعيلية خلال عيد الميلاد المجيد · وبذلك خذل كارتر الرئيس السادات الذي ما زال يرفض مشروع بيجن القائم على حكم ذاتي للفلسطينيين ووجود عسكري اسرائيلي في الضفة وفترة انتقالية لمدة خمس سنوات يتقرر بعدها مع من يرتبط فلسطينيو الارض المحتلة ، مع الاردن او مع اسرائيل · وعاد كارتر بعد يومين وكرر تحبيذه لكيان فلسطيني مرتبط بالاردن وذلك خلال وجوده في بولندا · قال : « ان موقفنا هو مجرد تعبير عن تحبيذ وليس في نيتنا محاولة فرض التسوية » (١٥) ·

سابعا : وفي نفس الوقت وحتى يتم احكام التراجع الامريكي كانت قد بقيت نقطة اساسية ما زالت تزعج اسرائيل وهي الموقف الاميركي الحقيقي من منظمة التحرير · وقد تنطح بريجنسكي لحسم الموضوع حين قال في حديث لمجلة باري ماتش الفرنسية « وداعا منظمة التحرير · » (١٦) واذا كان كلام بريجنسكي هذا لا ينطوي على تراجع وقح وجبان فكيف يمكن التوفيق بين كلامه وكلام رئيسه كارتر قبل ثلاثة اشهر فقط حين قال ان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل جزءا اساسيا من الشعب الفلسطيني ؟

وعلى سبيل التندر نذكر ان كاتب هذا البحث شارك فيما بعد في لقاء تم بين وفد فلسطيني ووفد من الكونجرس الامريكي في دمشق · وعندما اثير موضوع « وداعا منظمة التحرير » استنكر معظمهم التصريح · ولكن احد اعضاء الوفد الفلسطيني قال بلهجة لا تخلو من السخرية : « ان التعبير الدارج بالانكليزية هو : باي باي نراكم فيما بعد Bye Bye See You Later ولكن بريجنسكي على ما يبدو ودعنا ونسي ان يقول متى سيلقانا · »

وقد سئل بريجنسكي فيما بعد في لقاء تلفزيوني عن حقيقة تصريحه المشار اليه فأجاب بأنه قال « لم يعد هناك دور لمنظمة التحرير (١٧) » · وهذا لا ينفي الواقعة بل يؤكدها ويؤكد قصة « الوداع » ···

ثامنا : وعندما ارتطم الخط البياني لسياسة كارتر الفلسطينية في هبوطه العامودي بالارض كان الارتطام قويا وكان صداه صوت كارتر يعلن في حديث صحفي لصحيفة صنداي تيمز ما يلي : (١٨)

١) ان التسوية الدائمة لن تشمل دولة فلسطينية مستقلة · واضاف انه «لن

يغير موقفه من موضوع الدولة » · وهكذا حل « التصميم » مكان « التحبيذ » بعد ان كان كارتر يردد انه « يفضل » كيانا فلسطينيا ولا « يحبذ » دولة مستقلة·

ب) ان التسوية الدائمة لن تشمل « انسحابا اسرائيليا كليا من الاراضي المحتلة » ·

جـ) ان التسوية الدائمة ستقوم « اساسا على مشروع بيجن الخاص بالحكم الذاتي » ·

د) انه ملتزم بوعود كيسنجر واتفاقاته مع الاسرائيليين ·

هـ) ان العنصر الاهم في رسم سياسة اميركا الشرق اوسطية هو « امن اسرائيل وليس الخوف من خطر النفط العربي » ·

و) انه عندما مارس العرب حظر النفط عام ١٩٧٣ لم تتخل الولايات المتحدة عن اسرائيل كما انها لن تتخل عنها مستقبلا · « ولدينا مصادر بترول آمنة جدا وغير عربية مثل فنزويلا والاسكا وبريطانيا والمكسيك ونيجيريا » ·

ز) انه يفضل ان يتعامل السادات وبيجن مع بعضهما مباشرة « دون ان يعتمدا على الولايات المتحدة لتقوم بدور الوسيط لانه دور يستهلك الوقت ويبعث على الخيبة » ·

ان كارتر سيخوض انتخابات رئاسته للفترة الثانية في نهاية عام ١٩٨٠ · واغلب الظن انه سيفوز وسيبقى في الحكم حتى نهاية ١٩٨٤ لانه نادرا ما خسر رئيس امريكي الانتخابات وهو في الحكم · واذا كان الرئيس فورد قد خسر الانتخابات امام كارتر فلانه رئيس غير منتخب وقد جاء الى الحكم ليكمل فترة رئاسة نيكسون في اعقاب فضيحة ووترجيت · ومع ذلك فان كارتر فاز على فورد بفارق ضئيل في الاصوات ·

وعلى هذا الاساس يمكن تحديد معالم سياسة كارتر الفلسطينية من الان وحتى نهاية ١٩٨٠ وربما حتى نهاية ١٩٨٤ على النحو التالي :

أولا : اقفال الباب نهائيا امام اي حديث عن دولة فلسطينية مستقلة ·

ثانيا : معارضة الحقوق الوطنية الفلسطينية التي اقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة وهي حق تقرير المصير والعودة والاستقلال ·

ثالثا : عدم الاعتراف او التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية ·

رابعا : تكريس مشروع بيجن الخاص بالحكم الذاتي اساسا لاي حل ·

خامسا : ربط الكيان الفلسطيني المقترح بالسيادة الاردنية وربما الاسرائيلية·

سادسا : الالتزام بوجود اسرائيلي عسكري دائم في الضفة الغربية ٠

سابعا : اسقاط احد اهم ادوات الضغط العربي وهو النفط كعنصر فاعل او مؤثـــر ٠

ثامنا : رفض القيام بدور الوسيط في الصراع علما ان الرئيس السادات لا يزال يطالب الولايات المتحدة بان تكون شريكا وليس فقط وسيطا ٠

تاسعا : اخضاع الاراضي المحتلة والمنطقة العربية لهيمنة الالة العسكريـــة الاسرائيلية المزودة باستمرار باحدث الاسلحة الامريكية ٠

عاشرا : أمن اسرائيل اولا وآخرا ٠

ويود كاتب هذا البحث ان يذكر انه شاهد بنفســه الرئيس السادات علـــى شاشة التلفزيون الامريكي خلال شهر نوفمبر ١٩٧٧ يقول انه في الفترة التـــي سبقت زيارته للقدس تبادل والرئيس كارتر « مجموعة رسائل سرية بخط اليـد وانه **استوحى** فكرة زيارة القدس من احدى هذه الرسائل » ٠ كما ان الرئيـس السادات كان قد ذكر في بعض احاديثه الصحفية ان كارتر كان قد رجاه قبـل زيارته للقدس بان يساعده سياسيا ٠ ومن المعلومات التي تسربت وهي علـى أية حال غير مؤكدة ان كارتر اقترح ــ غالبا في رسائله السرية ــ على السادات ان يقابل الاسرائيليين فيالخارج ٠ فما كان من السادات الا ان تجاوب تجاوبا كريما جدا فذهب الى القدس اي الى ابعد مما طلب كارتر ٠

فهل معنى ذلك ــ وهذا مجرد اجتهاد ــ ان كارتر ايقن خلال الحملة الصهيونية عليه بعد البيان السوفييتي الامريكي انه لن يستطيع المضي في خطته الشـرق اوسطية وبالتالي فقد لجأ الى الرئيس السادات ليعفيه من مسئولية الضغـــط على اسرائيل فكانت رحلة القدس ؟ ان هذا الاجتهاد يفترض حسن النية فـــي كارتر وسياسته ولكنه اضطر للتراجع عن نواياه بسبب الضغط الصهيوني ٠

ويبقى الاجتهاد الاخر وهو ان كارتر كان من البداية ملتزمـــا بالمواقـف الامريكية الثابتة من اسرائيل وان كل ما صدر عنه في العام الاول من حكمـه كان مجرد بالونات وفقاقيع ضمن اللعبة الدولية الكبيرة لاستعادة مواقع نفوذ في المنطقة فقدتها الولايات المتحدة على يد عبد الناصر وبدأت تستعيدها عـلى يـد السادات ٠

ومهما يكن من امر فالحصيلة واحدة : بيجن يقرر ان الاراضي المحتلة هـي اراض محررة ٠ وديايان يعلن ان على الفلسطينيين ان يستوطنوا فـي اماكن تشتتهم ٠ ووايزمان يعربد في جنوب لبنان وغيره قصفا وقتلا وسفكا ٠ وشارون **يتباهى بانه** يعمل على جلب مليوني يهودي مهاجر ضمن خطته العشرينيـــة

الخاصة باقامة المستوطنات في الاراضي العربية المحتلة · والسادات لا يـزال يأمل خيرا في اسرائيل وكارتر علما ان بضاعة الوقت بالنسبة لنا ثمينـــة جدا · فهل مطلوب منا اليوم ان ننتظر حتى ينتهي كارتر من انتخابات عـــام ١٩٨٠ وبالتالي يتحرر من القيد الانتخابي اليهودي ؟

ان الحركة الصهيونية حركة اخطبوطية ذات نفوذ هائل واموال ذات ارقام فلكية · ولكن الامة العربية تملك اضعاف ما تملكه الصهيونية مالا ونفـــوذا ونفطا وموقعا وبشرا · انما الفارق بين الاثنتين هو ان اسرائيل ، وجودا وامنا، تشكل البند رقم واحد على قائمة اولويات الحركة الصهيونية · بينما لا تشكل فلسطين وهي رديف للامن والوجود العربي اي بند على قائمة اولوياتنا · فعندما « قلق » الكيان الاسرائيلي من البيان السوفييتي الامريكي انطلقت كل القـوى والطاقات والامكانيات الصهيونية من عقالها حتى تم قتل البيـــان في مهده · وعندما تهان كبرياؤنا وتداس حقوقنا وتنتهك سيادتنا وتحتل اوطاننا سنينـــا وسنين ، نزايد على بعضنا قولا وليس فعلا ، ونعاير بعضنا ادعـــاء وكذبا ، ونتحدث عن مآثرنا انتفاخا وغرورا ، وننكفىء على انفسنا قوميـــا واقليميا ، ونطلق الوعود سفسطة وهراء ، ونتصيد اخطاء الشعب الفلسطيني ونتفـــرج عليه وهو يناطح السحاب وحده ، لان القضية قضيته اعانه الله واخذ بيده ···

منذ حوالي ثلاثين عاما دفع الكاتب البريطاني الساخر « جورج ارويـــل » بواحد من كتبه الى المطبعة وقد اختار له العنوان التالي : ١٩٨٤ ، والكتـــاب عبارة عن محاولة لتخيل العالم عام ١٩٨٤ والمتغيرات التي ستطرأ عليه بشريا وسياسيا واقتصاديا وتكنولوجيا · ولقد كان ارويل قريبا مـــن الواقع فـي تصوراته الاستباقية للعالم اليوم قبل ثلاثين عاما الا فيما يتعلق بالعالم العربي الذي على ما يبدو بقي على حاله · ويخشى ان يأتي عام ١٩٨٤ ونحن لا نزال نراوح مكاننا · وتشاء الظروف ان يكون عام ١٩٨٤ نهاية الفتـــرة الثانيـة لرئاسة كارتر · وعندها ستتبجح اميركا بالعذر المزمن وهو الانتخابات· وتمضي الانتخابات ويفوز رئيس جديد ويتسلم الرئاسة ثم يبدأ في تعلم المشكلة ويرسـل مندوبيه الى منطقتنا لجس النبض · ثم تقترب الانتخابات الكونجرسية ونسمـع العذر المزمن مرة اخرى · فتتوقف الحركة في حين تستمر اسرائيل في ابتـلاع الارض شبرا شبرا وهكذا دواليك ونحن صامدون مثابرون على الدعاء اليه تعالى ليمدنا بالنصر المؤزر من عنده ·

بقيت في جعبتنا الكلمات التالية :

خلال شهر نوفمبر ١٩٧٧ اتيح لكاتب هذا البحث ان يشاهد موشيه دايـان وزير خارجية اسرائيل على التلفزيون الاميركي في برنامج يوم الاحد الصباحي Face the Nation مع المذيعة المعروفة باربارا وولترز · ويعتبر البرنامج مـــن

اهم البرامج التلفزيونية في اميركا وتشاهده اعلى نسبة من المشاهدين لانه يذاع صباحا وخلال عطلة نهاية الاسبوع حيث الناس في منازلهم ٠

ومن بديهيات الظهور على التلفزيون في الولايات المتحدة والعالم الغربي عموما ان يكون السياسي معتدلا ومعقولا في لهجته حتى يعطي افضل صورة عن بلاده وقضيته ويكسب بالتالي المزيد من تأييد الرأي العام ٠

وقد جرى الحوار على النحو التالي :

باربارا وولترز : ان قضية فلسطين هي لب الموضوع ومحور الصراع العربي الاسرائيلي ٠ وما لم ينصف الفلسطينيون فانه لا أمل في سلام دائم في منطقة الشرق الاوسط ٠ وكل سلام بدونهم سيفشل فما رأيكم ٠

دايان : ان عليهم اولا ان يعدلوا ميثاقهم الوطني ٠

باربارا وولترز : لنفرض انهم عدلوه فماذا سيأخذ الفلسطينيون ٠

دايان : عليهم ان يقبلوا القرار ٢٤٢ ٠

باربارا وولترز : لنفرض انهم قبلوه فماذا سيأخذون ٠

دايان : عليهم في هذه الحالة ان يغيروا احشاءهم ٠

ولكل الذين ما زالوا يعتقدون ان المشكلة تكمن في عدم قبول الفلسطينيين القرار ٢٤٢ نقول :

أليست كلمات دايان هذه هي التعجيز بعينه والكذب والغرور والغطرسة والاستخفاف بنا وبكل ما نمثل في هذا العالم ؟

ولكن هل نلوم دايان ؟

ام نلوم كارتر ؟

ام نلوم أنفسنا ؟

هذا هو السؤال ٠

الحواشي :

---

(١) نشرة وزارة الخارجية الامريكية، ١١ نيسان (ابريل) ١٩٧٧ ص٠ ٣٣٤ـ٣٣٥

(٢) نشرة وزارة الخارجية الامريكية ، ٣١ اكتوبر ١٩٧٧ ص٠ ٥٨٤ ـ ٥٨٦ ٠

(٣) نشرت نصه لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الامريكي بتاريخ ٣ اكتوبر ١٩٧٥ ٠

(٤) نشرة الوكالة التلغرافية اليهودية

الصادرة في نيويورك بتاريخ ٣ـ١٠ـ٧٧ رقم ١٨٦ ٠

(٥) **المصدر السابق** ٠.

(٦) **المصدر السابق** ٠

(٧) **المصدر السابق** ٠

(٨)**المصدر السابق** ٠ (وشتيرن هو رئيس المنظمة الصهيونية الامريكية) ٠

(٩) حديث تلفزيوني لشبكة التلفزيون الامريكي N B C في برنامج Mee t the Press بتاريخ ٢ـ١٠ـ٧٧ ٠

(١٠) شبكة التلفزيون الكندي C T N بتاريخ ٢ـ١٠ـ٧٧ ٠

(١١) صحيفة **جيروسالم بوست** ١٤ـ١٠ـ٧٧ ص ١ ٠

(١٢) **نشرة وزارة الخارجية الامريكية،** بتاريخ ٥ـ١٢ـ٧٧ ص ٨٠٣ ـ ٨٠٤ ٠

(١٣) **نشرة وزارة الخارجية الامريكية،** بتاريخ ٢٨ـ١١ـ٧٧ ص ٧٦٠ ـ ٧٦٢ ٠

(١٤) تم اللقاء التلفزيوني مع ممثلين عن شبكات CBS , NBC , PBS , ABC بتاريخ ٢٨ـ١٢ـ٧٧ ٠

(١٥) صحيفة **نيويورك تايمز** ص ٢ بتاريخ ٣١ـ١٢ـ٧٧ ٠

(١٦) مجلة **باري ماتش** بتاريخ ٢٨ـ١٢ـ٧٧ ٠

(١٧) شبكة التلفزيون الامريكي CBS بتاريخ ٨ـ١ـ٧٨ ٠

(١٨) صحيفة **صنداي تايمز** البريطانية ص ٨ بتاريخ ٣٠ـ٤ـ٧٨ ٠

محمود درويش

يوميات الحزن العادي

في السجن ، والوطن ، والمنفى ، والعالم

صدر عن مركز الابحاث ودار العودة

طبعة جديدة منقحة

سعر النسخة ١٠ ل٠ل٠ او ما يعادلها

سـميركـرم

معادلة "التوازن الاستراتيجي" بين سحر التكنولوجيا والعقيدة العسكرية

حينما يبدو « الانفراج الدولي » في لحظات تراجع تتقدم تلقائيا على القضايا الدولية العامة المتعلقة به قضية التوازن الاستراتيجي العالمي ٠ ووراء هذه القضية تثار مسائل عديدة في الوقت الراهن لا تنفصل عنها بأي حال ٠٠ قنبلة « النيوترون » بين نعم ولا ٠ محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية (سولت) بين الجمود والالغاء ٠ قوة حلف الاطلسي في مواجهة قوة حلف وارسو بين الاعتماد على الترسانة الذرية والعودة الى الترسانة التقليدية ٠ حتى صراعات القرن الافريقي ، وما يجري في اقليم « شابا » الزائيري والدور الكوبي في افريقيا ٠٠ فضلا عن الصراع العربي الاسرائيلي بأعراضه المزمنة ٠٠ كل هذا يناقش ـ وتتخذ فيه قرارات ومواقف احيانا ـ في ضوء تلك القضية الهامة للغاية قضية « التوازن الاستراتيجي العالمي »٠

واعراض التراجع التي تعتري « الانفراج الدولي » هي في التحليل الاخير انعكاس لشعور اطراف دولية عديدة بظواهر تغير في الميزان الاستراتيجي لم تكن بادية بوضوح عندما تأسس « الانفراج الدولي » في بداية السبعينات على فرضية امكان تثبيت هذا الميزان بدقة عند نقطة « توازن امني » مطلق وليس نسبيا ٠

ومما لا شك فيه ان كثير من القرارات السياسية الاقليمية يتخذ في مناطق العالم المختلفة هنا وهناك على اساس افتراض حالة معينة للميزان الاستراتيجي : فهو اما أميل الى تفوق الغرب ، او أميل الى تفوق الشرق ، او هو في حالة التوازن المطلق شبه الوهمية ٠

ولعل نظرة الى الداخل ـ اعني الداخل العربي تؤكد أن كثيرا من القرارات السياسية منذ بداية السبعينات للان اتخذ ، من قبل من يملكون اتخاذ القرار في اكبر اقطار الوطن العربي ، على اساس افتراض (على درجة من اليقين تنفي عنه حتى صفة الافتراض) بأن الميزان الاستراتيجي العالمي مائل ميلا حاسما لصالح الغرب ، بالتحديد لصالح الولايات المتحدة · لقد جاء التحول الى الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة في البحث عن حل للصراع العربي ـ الاسرائيلي نتيجة عوامل عديدة ومتشابكة · فبعضها موضوعي وبعضها ذاتي ، ولكن من المؤكد ان على رأس هذه العوامل تصور لدى القيادات السياسية التي مارست هذا التحول بأن التوازن الاستراتيجي العالمي هو في الظرف الراهن ، وللمدى المنظور ، لصالح الولايات المتحدة الاميركية · ويفسر هذا في الواقع ان التوجه الى « اميركا » ليس فقط من اجل حل النزاع بل لحل كل المشكلات ـ التي تأتي وراء النزاع ـ اقتصادية واجتماعية وامنية ··· الخ · وقد عبر رئيس النظام المصري انور السادات عن وجود هذا التصور بالتفوق الاميركي الحاسم في عبارة بسيطة للغاية : « ان من يتغطى بالاتحاد السوفياتي هو في الحقيقة عريان »· وينتشر هذا التصور في كتب ومقالات وتعليقات تصدر يوميا عن اجهزة الاعلام العربية (مصرية وغيرها) ·

اذا كانت فيتنام لا تكفي ؟

ولقد سبق ان قيل ببساطة لاصحاب المعلومات القائلة بالتفوق الاستراتيجي المطلق للولايات المتحدة ان هزيمة العسكرية الاميركية في فيتنام ـ بعد جهود استغرقت ١٣ عاما ، و ٥٥ الف قتيل ، واكثر من ٢٠٠ الف جريح و ٤٥٠ مليار دولار ـ هي برهان كاف على خطأ تلك المعلومات · ولكن كانت هناك دائما حجج يقوم بعضها على افتراضات من نوع « لو ان » · فلو ان الولايات المتحدة ارادت ان تسحق فيتنام الثورة لفعلت · ولو ان الاتحاد السوفياتي تدخل مباشرة في تلك الحرب لكانت حسابات اخرى · ولو ان الرأي العام الاميركي لم يكن ·· واكثر من عشرين « لو ان » اخرى ·

واليوم بعد انقضاء خمسة اعوام على الانسحاب الاميركي من فيتنام وثلاث سنوات على انهيار النظم التي ظلت اميركا تحارب لابقائها في الهند الصينية زهاء خمسة عشر عاما ، فان القضية المطروحة في طول الغرب وعرضه ـ وفي الولايات المتحدة اكثر من غيرها ـ هي قضية التوازن الاستراتيجي المباشر بينها وبين الاتحاد السوفياتي · واليوم ـ بينما بعض النظم العربية يتوغل بعيدا في طريق الذهاب نحو اميركا للاحتماء بمظلة تفوقها الاستراتيجي ـ فان حلفاء

الولايات المتحدة في العالم الغربي يراجعون حساباتهم بشأن هذا التفـــوق ويتوغلون في طريق العودة عن الاعتماد الكلي على الاحتماء بتلك المظلة · بينما عرب اميركا في طريق الذهاب فان حلفاء اميركا في طريق الاياب · واكثر من هذا ان الشعب الاميركي والمؤسسات الاميركية نفسها تعاني محنة التراجـــع الحاد عن مراكز التوازن الاستراتيجي وعن خطوط « التكافؤ » الامني ·

ولا بد قبل الدخول في تفاصيل هذه المشكلة من اشارة واضحة الى ان النظم العربية الذاهبة في الطريق الاميركي المتراجع املا في ان يحسم التفـــوق الاستراتيجي الاميركي مشكلة الصراع في الشرق الاوسط ، ليست ــ فـــي الحقيقة ــ وحدها التي تربط بين الاستراتيجية الامنية العالمية ومواقف الولايات المتحدة الاميركية من قضايا اقليمية محددة ، على رأسها ازمة الشرق الاوسط · بل الواقع ان هذه الازمة وغيرها من مواقع الصراع كانت ترتبط باستمـرار في التفكير الاستراتيجي الاميركي بمشكلات التوازن الامني العالمي · فأميركا لا تكف عن الزعم بأن لها مصالح امنية استراتيجية في الشرق الاوسط · وقبلها في الشرق الاقصى ، وطوال الوقت في اميركا اللاتينية ، وفي المحيط الهادي والمحيط الهندي ··· الخ · فضلا عن ان احد اساليب الممارسة الاميركيـــة للعلاقات الدولية يعتمد اعتمادا مباشرا على « المساومة » ، بل ان المساومـة جزء اساسي من نظرية الامن الاستراتيجي الاميركية (كما سنرى تفصيلا) · ولعل بامكاننا ان نعود الى مثل فيتنام لنتذكر فحسب ان عرب اميركا كانوا اول من فسر التراجع الاميركي في بداية العام ١٩٧٣ (حينما وقعت اتفاقية وقف اطلاق النار في باريس وقضت اساسا بانسحاب جميع القوات الاميركية فـي غضون ستة اشهر) بأنه يعني ان الولايات المتحدة حصلت على تنازل سوفياتي بالمقابل لاطلاق يدها في الشرق الاوسط · (كان هذا في بداية العام نفسه الذي شهد قرب نهايته حرب تشرين !)·

وفي هذا الصدد يقول مصدر عسكري اميركي ــ هو بول نيتز (وكان عضوا في الوفد الاميركي في محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية « سولت » بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي طوال الفترة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٤) :

« فيما يتعلق باستيلاء فيتنام الشمالية النهائي (على فيتنام الجنوبية) فـي جنوب شرقي اسيا ، فان السوفيات قاموا بأعمال فعلية ساعدت فيتنام الشمالية على انتهاك الاتفاقات · وفيما يتعلق بالشرق الاوسط يصعب تأكيد الحجة التي تساق غالبا والتي تقول ان السوفيات مارسوا ضبط النفس في ازمة تشرين ١٩٧٣ · اذ لا يبدو ما يوحي بأنهم امتنعوا عن عمل كل ما من شأنه تشجيـع هجوم مصر وسوريا على اسرائيل وجعل هذا الهجوم ممكنا ، وكذلك تشجيـع العمل الذي اتخذته منظمة « الاوبيك » بشأن اسعار النفط وحظره · ان السوفيات لم يدربوا ويجهزوا المصريين والسوريين فحسب لهذا الهجوم المفاجيء ، بـل

انهم امتنعوا ايضا عن تحذيرنا حين صار هذا الهجوم وشيكا · وعندما تحولت المعركة ضد المهاجمين هدد السوفيات بالتدخل بقواتهم »· (١)

وفيما يتعلق بفيتنام ـ قبل ذلك ـ يقول مصدر اميركي آخر انه في اواخر العام ١٩٧١ « كان الرئيس الاميركي نيكسون شديد الشغف بعقد اجتماع قمة مع السوفيات · وكان يفضل ان يكون ذلك في موسكو في لحظة مناسبة من الناحية السياسية قبيل انتخابات الرئاسة (الاميركية) للعام ١٩٧٢ · ولكن الى ان يصبح في الامكان ايجاد صيغة تكسر جمود محادثات « سولت » او حتى يظهر الروس بعض الاهتمام بمساعدة الرئيس على الخروج من فيتنام « بشرف »، (والمقصود هنا هو كيسنجر وزير خارجيته) فان فكرة عقد مثل هذا الاجتماع للقمة هي مجرد خيال · لقد كان الربط بين محادثات « سولت » وفيتنام يكمن في قلب استراتيجية الادارة (الاميركية) ··· » (٢)

نظرية الربط بين المشاكل

ويطلق الاميركيون على دبلوماسية « المساومة » هذه اسم نظرية « الربط » Linkage وهي تعني بالنسبة اليهم محاولة قبض الثمن عن اي اتفاق مع السوفيات بشأن الحد من الاسلحة الاستراتيجية ، من حساب مشكلات اخرى لا علاقة لها مباشرة بمشكلة التوازن الاستراتيجي بين الدولتين · وقد شرح « كالب » ، في المصدر المذكور ، باستفاضة هذه النظرية كواحدة من اسس تفكير كيسنجر وتخطيطه للسياسة الاميركية ، وهي تعطي مثالا على فشل هذه النظرية في النتائج النهائية · والمسألة كلها تتضح اكثر مع قصة تطور التوازن الاستراتيجي كما تعكسها علاقات الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بازاء مسألة « الحد من الاسلحة الاستراتيجية » ·

وقد بدأت القصة مع الخطاب الافتتاحي لنيكسون يوم تنصيبه رئيسا للولايات المتحدة في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ ، وبالتحديد مع عبارة من خطابه هذا قدر لها ان تتردد كثيرا كشعار بعد ذلك: «بعد فترة من المواجهة، ندخل الان حقبة من المفاوضة »· وعلى حين ان العالم كله اخذ العبارة في سياق حملة نيكسون الانتخابية التي طغت عليها مسألة تخليص اميركا من ورطتها في فيتنام ـ وكانت قد اودت بحياة سلفه « ليندون جونسون » السياسية وحياة خمسة من جنرالات اميركا العسكرية ـ فان الاتحاد السوفياتي وحده كان يعلم ان قصد نيكسون هو اوسع من مشكلة فيتنام وألصق بالعلاقات الثنائية الاميركية ـ السوفياتية ، هو بالتحديد مشكلة التوازن الاستراتيجي · فقد كانت تحذيرات القادة والباحثين الاكاديميين وتقارير الاستخبارات العسكرية الاميركية قد توالت في الفترة السابقة على ذلك تدعو كلها الى ضرورة الدخول في

محادثات مع السوفيات للحد من الاسلحة الاستراتيجية ٠ جاء التحذير من السناتور وليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ الاميركي ، وجاء من الاساتذة المتخصصين في المشكلات الامنية والاستراتيجية في « معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا » الشهير ، وجاء من « وكالة الرقابة على الاسلحة ونزع السلاح » الاميركية : « اننا والاتحاد السوفياتي نقف عند مفترق طرق » ـ « لدينا الان فرصة افضل مما يحتمل ان يكون لدينا في المستقبل المنظور لاتخاذ قرارات قد تمكننا من تحاشي انطلاقة صاروخية جديدة في سباق الاسلحة الاستراتيجية » ٠ وجاء آخر التحذيرات من « كلارك كليفورد » وزير الدفاع في حكومة جونسون في اخر يوم له في البيت الابيض في مؤتمر صحافي وداعي : « **سوف يتخطى الاتحاد السوفياتي الولايات المتحدة في عدد الصواريخ الاستراتيجية التي تطلق من قواعد ارضية بحلول منتصف هذا العام (١٩٦٨) وذلك كنتيجة لجهد سوفياتي ساحق بدأ في منتصف الستينات بعد ازمة كوبا لتحقيق التكافؤ على الاقل ، وربما التفوق في الاسلحة الذرية** »٠ (٣)

وقد تناولت حكومة نيكسون مشكلة التوازن الاستراتيجي في اليوم التالي مباشرة لتنصيبه في اجتماع لمجلس الامن القومي الاميركي حضره الى جانب نيكسون وكيسنجر (وكان آنذاك مستشاره لشؤون مجلس الامن القومي ، اي رئيس هذا المجلس) كل من نائب الرئيس سبيرو آغنيو ، وليام روجرز وزير الخارجية ، ملفين ليرد وزير الدفاع ، ايرل هويلر رئيس هيئة اركان الحرب الاميركية المشتركة ، ريتشارد هلمز مدير وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية والجنرال جورج لنكولن رئيس مكتب التخطيط للطوارىء ٠ وبعد الاجتماع مباشرة اعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية ان محادثات « سولت » ستلقى اولوية في الاعتبار من جانب الادارة الجديدة ٠ وقد « اذهل » الادارة الجديدة ان الاتحاد السوفياتي اعلن فور خطاب نيكسون الافتتاحي ـ وبسرعة غير معتادة من موسكو ـ استعداده للجلوس للتفاوض حول المشكلة « بمجرد ان يكون ممثلو ادارة نيكسون الجديدة مستعدين له »٠ ولكن الادارة الجديدة لم تكن مستعدة تماما ، لاسباب عديدة اهمها انها كانت منقسمة بين نظريتين ٠ ويلي ذلك ان المشكلة على درجة من التعقيد والتفصيل كانت تستوجب استعدادا كثيفا ٠ اما الانقسام فكان بين نيكسون وكيسنجر من ناحية ، وباقي اعضاء الادارة ومن ورائهم معظم زعامات الكونغرس واصحاب الرأي في المسائل الاستراتيجية من ناحية اخرى ٠ كانت هذه الاغلبية تريد البدء فورا بمحادثات « سولت » بغض النظر عن الموقف بالنسبة لمشكلات اخرى عالقة ٠ بينما كان رأي كيسنجر كما عبر عنه نيكسون آنذاك : « ما اريده هو ان اعمل على ان ندخل محادثات الاسلحة الاستراتيجية على نحو ، وفي وقت ، يدعم ـ اذا

امكن ـ التقدم بشأن مشكلات سياسية بارزة في الوقت نفسه ـ بشأن مشكلة الشرق الاوسط مثلا والمشكلات البارزة الاخرى حيث تستطيع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بالعمل معا ، خدمة قضية السلام »٠

وعندما رفض نيكسون بوضوح ان يبدأ محادثات « سولت » فورا اثار سخطا وخيبة امل لكثير من اعضاء الكونغرس والاكاديميين وكتاب المقالات الافتتاحية ، بل انه جاء مفاجأة لمعظم الدبلوماسيين الاجانب في واشنطن وخاصة ممثلي الدول الحليفة لاميركا ٠ بل ان كيسنجر نفسه فوجىء بالطريقة التي عبر بها نيكسون عن نظريتهما في « الربط » بين « سولت » والمشكلات العالمية الاخرى ٠ فقد كان كيسنجر يريد لهذه النظرية الا تمارس علنا على الصفحات الاولى للجرائد ٠ اما بالنسبة للسوفيات فقد كانت دبلوماسية « الربط » ـ بتعبير اناتولي دوبرينين السفير السوفياتي في واشنطن ـ بمثابة ممارسة للضغط ولوي الذراع ٠ ومع ذلك فقد كانت لدى كيسنجر ونيكسون حجة قوية ، وهي ان مسألة الاسلحة الاستراتيجية تحتاج الى دراسة مستفيضة قبل الجلوس الى مائدة المحادثات مع السوفيات ٠ وكان هذا بمثابة بداية فصل ثان من القصة ٠ فقد كون كيسنجر فريقا من الباحثين التابعين لمجلس الامن القومي ، عهد اليه بوضع دراسة لتكون بمثابة « حساب ختامي » للقوة العسكرية لكل من الدولتين الاكبر : عدد الصواريخ من جميع الانواع التي تملكها كل من الدولتين ، وكذلك عدد الطائرات والدبابات والصواريخ والقوات ، وقدرة التعبئة ، مواضع التركيز في انتاج الاسلحة ، الجوانب السياسية والاقتصادية المؤثرة في القوة العسكرية ٠

فماذا كانت المحصلة المحددة لهذا الحساب الختامي ؟

ان نيكسون مرشح انتخابات الرئاسة قبل اسابيع من ذلك يدعو في حملته الانتخابية الى « تفوق عسكري حاسم » للولايات المتحدة على الاتحاد السوفياتي ٠ ولكن كيسنجر (كما يقول كالب في كتابه المذكور عن كيسنجر) **« استطاع ان يؤكد ما يشعر به غريزيا ، وهو ان هذا « التفوق » غير ممكن بلوغه خلال السبعينات ٠ الروس يبنون غواصات من الطراز الحامل لصواريخ من نوع بولاريس ، وصواريخ موجهة عابرة للقارات اضخم من اية صواريخ في الترسانة الاميركية ، فان التفوق بنسبة ستة الى واحد الذي كانت تتمتع به الولايات المتحدة يوما ما على الاتحاد السوفياتي هو امر بعيد عن متناول الرئيس في السبعينات »٠**

الواقع ان هذا لم يكن مجرد شعور غريزي او استنتاج دعم شعورا غريزيا لدى كيسنجر ، انما كان النتيجة الواضحة المباشرة التي انتهى اليها المشرف على تلك الدراسة ـ مورتون هالبرين ـ الذي قال : « **من المستحيل ان نهرب**

من النتيجة، وهي انه لا برنامج استراتيجيا اميركيا يمكن ان يعطيك نـــوع التفوق الذي كنت تملكه في الخمسينات »· فلقد اظهرت الدراسة ان السوفيات حققوا قفزات كبيرة في جهدهم الدؤوب للحاق بالولايات المتحـدة والتغلب عليهـا ·

الكفاية بدلا من التفوق

ومن ثم كانت الصيغة التي اقترحها كيسنجر على نيكسون كبديل عن صيغة التفوق ـ المستحيلة ـ هي صيغة « الكفاية » كهدف للسياسة العســكرية الاميركية · ويمكن ان نقول ان كلمة « التفوق » بالمعنى العسكري اختفت مـن القاموس الرسمي الاميركي (وقد لا ينطبق هذا على القاموس الدعائي) منذ ذلك الوقت ، وان احتفظ بهذا المفهوم وبالمصطلح نفسه بعض المتشبثين بحلم التفوق الاستراتيجي الاميركي وكأنه شيء قريب من العقيدة الدينية · وعندمـا عاد نيكسون الى الحديث في ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ عن التـوازن الاستراتيجي كان لا بد له ان يغطي تراجعه عن المواقع التي كان يلتزمها وهو مرشح للرئاسة ، ومن هنا كان قوله : « **ان هدفنا المتأكد من ان الولايـات المتحدة تملك قوة عسكرية كافية لحماية مصالحها والابقاء على التزاماتها ··· انني اعتقد ان « الكفاية » تعبير افضل من تعبير « التفوق » او « التكافؤ »**· كان تصور نيكسون ان « الكفاية » هي في الموضع الوسط بين « التفـوق » و « التكافؤ » ، ومع ذلك فقد اضطر ـ بعد هذا التراجع عن « التفوق » الذي لم يكن بالطبع مجرد تراجع « لغوي » انما انعكاس لموازين القوى والعلاقـات الاستراتيجية مع الاتحاد السوفياتي ـ اضطر للتراجع مرة اخرى وعمليا عندما وقع على مبدأ « **التكافؤ الامني** » في اول اتفاقية للحد من الاسلحة الاستراتيجية وقعها مع السوفيات بعد عامين من ذلك ، وبالتحديد في ٣٠ ايار (مايو) ١٩٧٢ · فقد ازال هذا الاتفاق حجة التفوق ، ولم يعترف بما اسماه نيكسون يومـا « الكفاية » من القوة الاستراتيجية الاميركية تجاه الاتحاد السوفياتي ·

هذه التراجعات كانت تواكبها في الواقع العملي تراجعات في المخططات العسكرية الاميركية وفي العقائد الحربية للمفكرين الاستراتيجيين الاميركيين · كانت الخطة العسكرية الاميزكية في سنوات التفوق الاستراتيجي الاميركي تقوم على اساس عقيدة « الرد الانتقامي الشامل » العسكرية ومبدأ « مركز القوة » السياسي في مواجهة اي تغيير تعتبره الولايات المتحدة ماسا بالنظام العالمي وخاصة في اوروبا الغربية · ولكن الانجازات التي حققها الاتحاد السوفياتي في مجال الصواريخ العابرة للقارات اجبر الولايات المتحدة على التراجع نحو مواقع اكثر اعتدالا ، الى خطة « الحرب المحدودة » التي يمكن ان تستخـدم

فيها الاسلحة الذرية التكتيكية (ذات الاثر التدميري المحدود) · وكانت هـذه الخطة ترمي الى حصر اي حرب ذرية في نطاق القارة الاوروبية حتى لا تتعرض الاراضي الاميركية لرد انتقامي مباشر بعد ان اصبح ذلك عمليا · ولم يكن من اليسير ان ينطلي هذا لا على الاستراتيجيين السوفيات ، ولا على القـــوى الاستقلالية النزعة في اوروبا الغربية · عارضت هذه القوى بشدة خطة الحرب المحدودة بالاسلحة الذرية التكتيكية لخطرها على البلدان الاوروبية الغربية · اما الاتحاد السوفياتي فأعلن ان على اولئك الذين يؤيدون الحروب المحدودة ان يفهموا بوضوح تام ان استخدام اي نوع من السلاح الذري من جانب حلف الاطلسي سيعني حربا ذرية بكل ما تعنيه من عواقب · وبعبارة اخرى فان اولئك الذين يخططون للافلات من ضربة انتقامية باستخدام اسلحة ذرية بجرعـات صغيرة ، وفي الوقت نفسه جر شعوب اخرى الى لهيب الحرب مخطئـون · وسوف يتلقون العقاب الذي يستحقون» · (٤) ثم كانت خطوة التراجع الاخيرة في الخطة الاستراتيجية الاميركية نحو عقيدة « الرد المرن » · وهو تعبير لا يخفي بذاته دلالة على ان الميزان الاستراتيجي للولايات المتحدة يضعها في مواقـــع الدفاع اكثر منها في مواقع الهجوم ·

ولا يعني هذا التطور العام ـ بطبيعة الحال ـ انه لم تعد داخل الولايـات المتحدة قوة تتشبث ـ في اشكال مختلفة ـ بنظريات التفـوق الســـاحق او نظريات « التوازن النووي » ، ولكن هذه القوى تلقى مقاومة حتى من الادارات الاميركية المتعاقبة نفسها ، التي تدرك ان الواقع العملي لم يعد يترك مجـالا لوضع الخطط على مثل هذه الاسس الخيالية ·

وتشكل الاتفاقات التي عقدت في اجتماع مؤتمر القمة الاميركي ـ السوفياتي بموسكو في ايار (مايو) ١٩٧٢ فصلا قائما بذاته في قصـــة التـــوازن الاستراتيجي · لقد شهد هذا الاجتماع توقيع ثلاث وثائق اساسية : اولاها وثيقة « المبادىء الاساسية للعلاقات المتبادلة بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والولايات المتحدة »· والثانية « المعاهدة الاميركية ـ السوفياتية للحد من انظمة الصواريخ المضادة للصواريخ »· والثالثة « الاتفاقية المرحلية بشأن اجراءات معينة فيما يتعلق بالحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية »·

وقد قضت المعاهدة بأن تحد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بدرجـــة كبيرة من امكانية نصب انظمة الصواريخ المضادة للصواريخ ، فلم تسمح لاي من الدولتين بأكثر من موقعين لانظمة هذه الصواريخ لكل منهما : واحدة حول كل من واشنطن وموسكو ، وواحدة اخرى للدفاع عن صوامع اطلاق الصواريخ العابرة للقارات ، على الا يزيد عدد الصواريخ في كل من هذه الشبكات الاربع عن ١٠٠ صاروخ مضاد للصواريخ ، وعدد مساو من منصات الاطلاق ، وعدد مساو ايضا من محطات الرادار ·

اما الاتفاقية المرحلية فقد تضمنت تعهدا من الدولتين بألا تبدأ اعتبارا من اول تموز (يوليو) ١٩٧٢ ببناء اي منصات ارضية ثابتة لاطلاق الصواريخ العابرة للقارات · كما حددت هذه الاتفاقية عدد الغواصات الحديثة وعدد منصات اطلاق الصواريخ عليها ·

والواقع ان تحديد عدد الصواريخ الدفاعية (المضادة للصواريخ) او الهجومية (عابرة القارات) لم يكن اجراء من اجراءات نزع السلاح ، انما كان من اجراءات الحد من سرعة سباق التسلح · وقد وصف المعلق الفرنسي ـ الاميركي الولاء والعقيدة ـ ريمون آرون اول اتفاقية للحد من الاسلحة الاستراتيجية بأنها « **كانت ممكنة فقط بفعل القبول الاميركي بمبدأ المساواة وتغير نسب القوات الذرية (والقوات التقليدية على السواء) لصالح الاتحاد السوفياتي** »· واضاف انها كانت انعكاسا لظهور عوامل جديدة هي : « صعود الاتحاد السوفياتي ، وضعف ممكن في تصميم الاميركيين ، واستمرار في التعامل بين الدولتين الاعظم ، مع استمرار المجابهة بينهما بالمثل ، اما مباشرة او من خلال حلفاء متوسطين لهما في مناطق العالم الاخرى »· (٥)

وكان تقييم آرون العملي لهذه الاتفاقات انها : « اتاحت للاتحاد السوفياتي تفوقا عدديا بنسبة ٤٠٪ في الصواريخ العابرة للقارات (١٤٠٨ له مقابل ١٠٠٠ للولايات المتحدة) وفي الغواصات حاملة الصواريخ (٦٢ مقابل ٤٤) ، وتفوقا بنسبة ٣٣٪ في عدد الصواريخ التي تطلق من الغواصات (٩٥٠ مقابل ٧١٠) وتفوقا بنسبة ثلاثة امثال في زنة الرؤوس الذرية للصواريخ عموما ··· ان اتفاقية موسكو للحد من الاسلحة الاستراتيجية تقدم النقيض للعناد الاميركي في فيتنام ··· لقد بلغ التفكير الاميركي ذروته في معاهدة ما كان يمكن ان يصدق عليها مجلس الشيوخ قبل مأساة فيتنام ونفور الرأي العام الاميركي »· (٦)

ومع ذلك فان رؤية التراجع في قوة الولايات المتحدة الاستراتيجية بمنظور « مأساة فيتنام » وحده هو من قبيل التبسيط المخل للنظرة الاحادية الى مشكلة هي بطبيعتها متعددة الجوانب · واردن يغفل ـ مثلا ـ ما لمسه المتفاوضون الاميركيون انفسهم قبل التوقيع على هذه الاتفاقات من ان الاتحاد السوفياتي بصدد « برنامج ساحق لبناء الصواريخ العابرة للقارات والغواصات الحديثة حاملة الصواريخ ، بينما لم تضف الولايات المتحدة صاروخا واحدا لترسانتها من الصواريخ العابرة للقارات على مدى سنوات »· (٧)

وعلى اي حال فان التوقيع على هذه الوثائق لم يكن بمثابة نهاية المطاف للعقائد الاستراتيجية الاميركية المتشبثة بأحلام التفوق الحاسم ، ليس من قبيل العواطف والاهواء ، انما من قبيل مصالح المجتمع الصناعي ـ العسكري الاميركي ، التي تجمع بين مجموعات من اكثر قادة الحكم في الولايات المتحدة

نفوذا اقتصاديا وسياسيا · وهذا هو ما يفسر كل محاولات المخططين الاستراتيجيين الاميركيين للتكيف مع الظروف الجديدة والتغلب على نصوص الاتفاقات المعقودة مع الاتحاد السوفياتي بخلق توجهات جديدة للتكنولوجيا العسكرية الاميركية ، بحثا عن مجالات للتفوق لم يسبق ان طرقها غيرهم · وهذا ايضا ما يفسر جهود هذه القوى وتلك المصالح لوقف تحسن العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لخلق ظروف تمنع اكمال الطريق الذي بدأ باتفاقات العام ١٩٧٢ في مجال الحد من الاسلحة الاستراتيجية · وهنا ينبغي ان نضع في الاعتبار ان « الاتفاقية المرحلية بشأن اجراءات الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية » انتهى اجلها في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧ · وكان من المقرر وفقا للبيان المشترك عن اجتماع القمة الاميركي ـ السوفياتي الاخير (فورد ـ بريجنيف في « فلاريفو ستوك » ١٩٧٤) ـ ان يمد اجلها الى ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٥ · وتطورات السياسة الاميركية تتجه نحو عرقلة استكمال محادثات « سولت » بالرجوع عن تعهدات مبدئية قطعتها الولايات المتحدة على نفسها في اجتماع « فلاديفوستوك »·

ولهذا فان اعلى الاصوات حديثا عن تدهور مركز الولايات المتحدة في ميزان القوة الاستراتيجية هم الاستراتيجيون الاميركيون انفسهم ، والغربيون بوجه عام ·

الكولونيل ريتشارد هيد الضابط بقيادة السلاح الجوي الاميركي والعضو العسكري بمجلس العلاقات الخارجية الاميركي ، واحد مؤلفي كتاب **السياسة الدفاعية الاميركية** American Defense Policy كتب منذ فترة وجيزة للغاية مقالا عن « التكنولوجيا والميزان العسكري » قال في سطوره الاولى :

« تقف الولايات المتحدة عند نقطة حرجة الان في علاقتها مع الاتحاد السوفياتي ··· وانني لا ازعم ان استمرار علاقة الوفاق او انقطاعها سيتوقف على مسائل تتجاوز كثيرا حدود الرقابة على الاسلحة وحدها ، مسائل تنطوي على اعتبارات واعتقادات ذاتية بشأن اصول وطبيعة الاهداف الاستراتيجية السوفياتية وأثر التكنولوجيا على الميزان العسكري ···

« خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة على الاقل ، وضع الاتحاد السوفياتي استثمارات ضخمة في العلوم والتكنولوجيا ذات الصلة بالامور العسكرية على حساب الاستثمارات في التكنولوجيا بالنسبة لجميع القطاعات الاخرى · في الوقت نفسه وقف السوفيات يرقبون الولايات المتحدة وهي تحول مصادرها الدفاعية الى جنوب شرقي آسيا ، وهي تلغي برامج تحديث قواتها وتخفض نفقات ابحاث التطوير العسكري · خلال هذه الفترة نفسها حقق الاتحاد السوفياتي قفزات كبرى في استغلال التكنولوجيا للاغراض العسكرية ، وقد

حول ـ بصورة اساسية ـ الميزان العسكري بنصب اعداد ضخمة من الصواريخ العابرة للقارات ومن التي تطلق من الغواصات ، وحسن بصورة درامية نوعية قواته التقليدية » ٠

ويضيف الكولونيل هيد نفسه انه : « **خلال السنوات العشر من ١٩٦٧ الى ١٩٧٧ كان مستوى الانفاق السوفياتي على القوات الاستراتيجية ـ محسوبا بالدولار ـ يعادل مثلي ونصف مثل انفاق الولايات المتحدة ٠٠٠ وفي العام ١٩٧٧ فان الاستثمار السوفياتي في الانظمة الاستراتيجية فاق الاستثمار الاميركي بأكثر من ثلاثة امثال** » ٠ (وفقا لتقديرات وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية) ٠ ويقول مؤكدا : « منذ العام ١٩٦٧ حينما توقف مستوى القوة الاميركية من الصواريخ العابرة للقارات عند ١٠٥٤ صاروخا ، لم يتم ادخال الا صاروخ استراتيجي واحد يطلق من قواعد ارضية هو الصاروخ « ماينيوتمان ـ ٣ » الذي نصب في العام ١٩٧٠ ٠ وخلال السنوات الاحدى عشرة منذ تلك السنة نصب الاتحاد السوفياتي ستة صواريخ كبيرة جديدة عابرة للقارات ومن انواع مختلفة ٠ والحقيقة ان الولايات المتحدة تحولت الى اسلوب الزيادة العددية في التنمية ، بينما **السوفيات ـ بما بنوه من صواريخ اس ٠ اس ـ ١٧ و ١٨ و ١٩ قد احدثوا زيادات دراماتيكية في قدرتهم في مجال الصواريخ العابرة للقارات ٠٠٠ ويتفق معظم المحللين على ان التحسين الذي يمكن ادخاله مستقبلا على الصاروخ « ماينيوتمان » لن يحل المشكلة الاساسية التي سببتها التطورات السوفياتية في مجال الصواريخ العابرة للقارات ـ أعني مشكلة الاستهداف المتزايد لصوامع الصواريخ الى حد كبير** » ٠ **(٨)**

وفي تحليل كتبه « جوزف فروم » نائب رئيس تحرير المجلة التي تعبر عن آراء واتجاهات « البنتاغون » (وزارة الدفاع الاميركية) بالذات قال : « ان السوفيات قد ابادوا تقدم الاميركيين عليهم بنسبة ٥ الى ١ ، وحققوا تكافؤا مع هذا البلد ، بل الاكثر مدعاة لقلق مخططي البنتاغون انه بحلول منتصف الثمانينات ـ واذا سارت الامور في مسارها الحالي ـ سيتمكن الروس من تدمير الالف صاروخ ارضي من طراز ماينيوتمان التي يملكها هذا البلد (أميركا) في الضربة الاولى » ٠

ويضيف « فروم » : من حيث القوات التقليدية (غير الذرية) حقق السوفيات تفوقا حاسما على قوات حلف الاطلسي في اوروبا بحشد مثير من القوة البشرية والاسلحة الحديثة ٠ ويخشى الاستراتيجيون الرسميون ان يؤدي اثر هذه التطورين مجتمعين (في القوة الذرية والتقليدية) الى ازالة مصداقية الردع الذري الاميركي في اوروبا وعلى نطاق العالم ٠٠٠ ويعتقد الخبراء الاستراتيجيون ان ترسانة الاسلحة الذرية التكتيكية في اوروبا تفقد مصداقيتها كرادع ٠، (٩)

وعن القوات التقليدية ايضا كتب المعلق العسكري « مالكولم ماكينتوش » : **« ان ما يواجه حلف الاطلسي اليوم عبر الحدود الالمانية ، ليس فقط ٩٣٥ الفا من قوات معاهدة وارسو ، انما ٩٣٥ الفا من هذه القوات منظمة ومنتشرة ومدربة ومجهزة لشن « هجوم مباغت » ، وتحكمها عقيدة مبنية على اساس المفاجـــأة وعلى اساس معدل تقدم لمسافة ٧٠ ميلا (١١٢ كيلو مترا) يوميا ٠» (١٠)**

« التطورات الدراماتيكية » ٠

فاذا انتقلنا من آراء الكتاب الاستراتيجيين والعسكريين الى اراء القـــادة المسؤولين عن الميزان الاستراتيجي الاميركي ، فهل نجد اختلافا كبيرا عن هـذا التصور نفسه بان الولايات المتحدة قد تخلفت خلال السنوات العشر الاخيـرة في مجال القوة الاستراتيجية ؟

وزير الدفاع الاميركي هارولد براون قال في حديث مع المجلة نفسها المعبرة عن آراء وزارته والتي توفر لها معلوماتها : **« اذا استمرت الاتجاهات الحالية ٠٠٠ فان الموقف بعد خمس سنوات من الآن يمكن ان يصبح موقفا خطيرا ٠ »**

وبعيدا عن هذه الاجابات البسيطة نستطيع ان نعثر على اجابة اكثر تفصيلا واهمية في البيان الذي القاه وزير الدفاع الاميركي الحالي نفسه في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٧٧ امام الكونغرس والذي اعتبر بمثابة **« البرنامج الدفاعـــي الجديد للولايات المتحدة »** ٠ وقد ناقش في هذا البيان التوازن بين قدرات اميركا الذرية وغير الذرية ، واوضح انه يؤيد بشدة تحسين القـــوات التقليدية مـع استمرار الحفاظ على امتلاك « تكافؤ » ذري مع الاتحاد السوفياتي ٠ في هـذا البيان قال براون متحدثا عن « أحوال الامن » :

« خلال السنوات الثلاثين الماضية غير عدد مـــن التطورات الدراماتيكيـة مشكلة ضمان الامن الاميركي ٠ فان الاسلحة الذرية وشبكات الاطلاق العابـرة للقارات جعلت الولايات المتحدة مستهدفة لهجوم خطر ٠»

وعندما وصل براون الى نقطة من بيانه تحتم عليه فيها ان يحكم على حالـة التوازن الاستراتيجي بشكل واضح وبدون مداورة قال : **« ان ميزان القـــوة بشكل عام ـ وان يكون يحوطه الشك في بعض المجالات (الوظيفية والجغرافية) ليس في الوقت الحاضر في غير صالح الولايات المتحدة وحلفائها ٠ ان القوة العسكرية للاتحاد السوفياتي قد اعتراها تعاظم حقيقي خلال العقد الاخير ٠ ولقد زادت الجوانب المكشوفة للهجوم لدينا ، ولكن الامر كذلك بالنسبة اليهم ٠ »**

ولا تخفي على احد دلالة استخدام هذه العبارة « ليس فـي غيـــر صالـح الولايات المتحدة وحلفائها » ٠ ان وزير الدفاع الاميركي لم يستطع ان يقـــول

للكونغرس ـ حتى وهو يتحدث عن برنامج وزارته الدفاعي الجديد وما وراء ذلك اعتبارات الثقة بالنفس ـ ان الميزان العسكري هو بالتحديد في صالـــح الولايات المتحدة وحلفائهـا · وعندما تحدث مباشرة عن « الميزان الاستراتيجي الذري » قـال :

« من المؤكد ، ومما لا مجال للشك فيه ، ان السوفيات قد حسنوا قدراتهـم خلال السنوات الاخيرة بزيادة قوة الدفع لاوزان اثقل في صواريخـهم المعابرة للقارات ، وفي نشر صواريخهم ذات الرؤوس التي تتجه الى اهداف متعـددة في وقت واحد ، وفي تحسينات كبيرة على دقة الصواريخ · ولا تزال دفاعاتهـم المضادة للقاذفات مثيرة للدهشة ، على الاقل من حيث اعدادها ، كما ان لديهم برنامجا طموحا لبحوث التطوير والتنمية للدفاع المضاد للصواريخ ، وهناك دليل على أنهم كرسوا جهدا اكبر من الولايات المتحدة للجوانب المادية المتعلقة ببرنامج الدفاع المدني ···

« علينا ان لا نستهين بشأن المنافسة · لقد زاد السوفيات من نفقاتهم علـــى بحوث التطوير والتنمية ، ويقدر ان عدد الاشخاص المدربين الذين يدخلون مجال بحوث التطوير والتنمية العسكرية آخذ في الازدياد ، ولا شك ان التسهيلات التي يقدمونها لهذه البحوث تتوسع باطراد · والتجهيزات السوفياتية تزداد باطراد تعقيداً ومقدرة · ومن المؤكد ان السوفيات سيحققون التكافؤ معنـــا في جوانب تكنولوجية معينة · بل ان باستطاعتهم ان يركزوا في مصادرهم المخصصـــة لبحوث التطوير والتنمية على عدد من التكنولوجيات الجديدة فيتقدموا علينـــا فيهـــا ··

« ان افضل الدبابات التي يملكها السوفيات باعداد كبيرة هي اكثر فاعليـــة من افضل الدبابات التي نملكها نحن باعداد كبيرة · ولكن التفاوت ليس انعكاسا لنقص تكنولوجي من جانبنا ، انما هو بالاحرى نتيجة لقلة استثماراتنا في مجال التجهيزات خلال العقد الاخير ·» (١١)

التكنولوجيا ام المعقيدة العسكرية ؟

ربما يمكننا ان نفترض ان هذه الشهادات الواقعية المباشرة علـى السنـــة اميركية وغربية مسؤولة وخارج اطار المسؤولية الرسمية لا تكفي لاقناع اتباع عبادة التفوق الاميركي في وطننا العربي ، فهم يعتقدون دائما ان في جعبـــة الولايات المتحدة سلاحا او اسلحة سحرية خارقة واسطورية ، ولانهم لا يعرفونها على وجه التحديد انما على وجه التجريد يطلقون عليها اسما واحدا عاما هـو « التكنولوجيا الاميركية » ·

ويمكننا ان نجاريهم قليلا في تجاهل ما تحمله هذه الشهادات نفسها من اشارات الى ان ما اصاب القوة الاستراتيجية الاميركية من جمود خلال السنوات العشر او الخمس عشرة الماضية قد أصاب التكنولوجيا العسكرية الاميركية ايضا ، والامر ذاته بالنسبة لتقدم القوة الاستراتيجية السوفياتية · فقد «أصاب» التقدم ايضا التكنولوجيا العسكرية السوفياتية · فماذا يقول الاستراتيجيون الاميركيون في أمر « التكنولوجيا » خلافا للشهادات المقتضبة ؟

قبل ان نسرد مزيدا من الشهادات الغربية في هذا الصدد لا بد من ايضاح حقيقة اساسية هي ان اي تقدير للميزان العسكري بين قوتين هو في الاساس مقارنة بين نظامين سياسيين ـ اقتصاديين ـ اجتماعيين ـ عسكريين · فالميزان الاستراتيجي ليس مجرد قائمة ذات شقين متقابلين تحتوي على ارقام هنا وارقام هناك تحت عناوين الصواريخ والغواصات والصواريخ المضادة والدبابات والصوامع ··· الخ · فهذه المقارنات الصماء الكمية تتعامى عن عوامل حيوية للغاية تشكل معايير حتمية في الحكم على القوة الاستراتيجية لنظام ما · منها الاستعداد او تحديد الهدف بدقة ، والارادة السياسية والظروف التي يجري فيها استخدام الاسلحة والتكنولوجيا ··· الخ · فالمعيار الحقيقي لاسهام دولة ما في التوازن العسكري هو في التحليل النهائي قدرتها على انجاز مهام محددة تتعلق بالحفاظ على قيمها ورعاياها وخلق الظروف الملائمة لحياتهم وتقدمهم · بل المؤكد ان الاستخدام الفعال للتكنولوجيا لاغراض عسكرية يتوقف في الحقيقة على عوامل ليست بذاتها عوامل تكنولوجية · مثل العقيدة العسكرية والتدريب ونظام الافضليات والعمليات التنظيمية واسلوب البحوث التطويرية والميزانيات ··· الخ · (١٢)

ولعل من المفيد ان نختار من كل مجموعات العوامل غير التكنولوجية المؤثرة في استخدام التكنولوجيا عسكريا ، ابعدها عن التعقيدات التقنية المتخصصة ، وهو عامل العقيدة العسكرية كانعكاس للتشكيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية المتباينة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة · فالعقيدة العسكرية ـ السوفياتية مستمدة اساسا من جذور سياسية وثقافية مختلفة عن تلك التي تستمد منها العقيدة العسكرية الاميركية · فبالنسبة للاتحاد السوفياتي ينظر الى الحرب على أنها « علم » ، وبالنسبة للضابط السوفياتي فان العلم العسكري يشكل نسقا موحدا من المعرفة عن الاستعداد للحرب وشنها دفاعا عن الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ضد العدوان الامبريالي · ومهام هذا النسق المعرفي هي دراسة القوانين الموضوعية للصراع المسلح · وبالاضافة الى هذا فان العقيدة العسكرية السوفياتية تحدد متطلبات الاسلحة الجديدة وتخلق الخطط والتكتيكات العملياتية وتؤثر في تحديد المخصصات للاستثمارات العسكرية وتوجه ـ فكريا ـ افراد القوات المسلحة ، وتقوم بمهمة التعبئة

للجماهير الشعبية والمهنيين وتجمع التأييد السياسي ٠ (١٣)

وعلى الجانب الاميركي فان الاستراتيجيين الاميركيين لا يأخذون كل هـذا الحديث السوفياتي عن العقيدة العسكرية وعن الحرب كعلم مأخذ الجد ، حتى انهم « يجدون صعوبة في اخذ الكتابات السوفياتية عن فن الحرب « مأخـذ الجد » ٠ (١٤ ولا يعني هذا غياب او انعدام عقيدة عسكرية اميركية ، انمـا يكتفي الاميركيون عادة بالحديث عن نظريات الكم والكيف ، وعـن التفـوق النوعي في الاسلحة (اي التفوق التكنولوجي) ، ويضعون تصوراتهم الخاصة عن اهتمامات السوفيات في خططهم العسكرية وفي انتاجهم للاسلحة ٠٠٠ الخ ٠ « وعلى الرغم من ان معظم الغربيين يعتقدون ان العسكريين الروس تشغلهـم تماما امور « الكم » في القوة البشرية والمادية على السواء ، فان قراءة عن كثب لعقيدتهم تشير الى انهم لا يتحدثون عن مجرد « كم » انما عن « معايير فـي التسلح » ٠ وتقصد هذه المعايير فيما يتعلق بالتسلح التقليدي الى ان تكـون بمثابة ادلة تخطيطية لتوفير تفوق نسبي متميز ، وكاف للامساك بزمام المبـادرة والتغلب على تفوق غربي متوقع في النوع ، وتوجه الضربة الى الجهـاز العصبي المركزي للخصم ٠ » (١٥)

ويحذر الكاتب نفسه ـ كرلونيل هيد ـ من ان المقارنات الثابتة بين الاحوال الراهنة للتكنولوجيا العسكرية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يمكـن ان تقوم ـ على احسن الفروض ـ مؤشرات هادية مفيدة الى طريقتين متناقضتين في تناول الامور ، ولكنها ـ في اسوأ الفروض ـ تخفي وبالتحديد يمكن ان تخدع صانعي السياسة الاميركية بجعلهم يعتقدون ان «التفوق التكنولوجي» يضمن لهم السلام ٠

ولقد كشفت التطورات الاخيرة في مجال القوة الاستراتيجية عن نقطة ضعف ادركت الولايات المتحدة مدى خطورتها ، ولا تزال رغم هذا الادراك عاجـزة عن عمل شيء محدد ازاءها ٠ ونقطة الضعف هذه في الواقع تتعلق باختـلاف العقيدة العسكرية بين الدولتين الاعظم ، كما ان لها انعكاساتها بالنسبة لمدى عنصر الحسم الذي يتمتع به سلاح التفوق التكنولوجي الاميركي ، حتى على فرض صحة وجود مثل هذا التفوق المطلق ٠ ولها ايضا دلالاتها بالنسبة لتصور مركز كل من الدولتين عسكريا بين مواقع الهجوم ومواقع الدفاع ٠

لمـاذا الدفاع المدني ؟

نقطة الضعف الخطيرة هذه التي كشفتها التطورات الاخيرة ٠ واثارت ولا تزال تثير موجات من القلق والشعور الداهم بالخطر ، هي « الدفاع المدني » ٠

لقد اضطرت السلطات الاميركية لان تعترف بأن « **السوفيات قد بنوا نظام دفاعهم المدني على مدى خمس او ست او سبع سنوات ، وهو لا يزال ينمو · ونحن ننظر اليه لنرى بعناية اكبر اذا كان المقصود به شيئا اكثر مما كنا ندركه في الماضي · ان مستوى جهد الدفاع المدني السوفياتي مثير لبعض القلق من جانبنا ، لانه يوحي بانهم (المقصود السوفيات) قد يتوصلون ـ خطأ في اعتقادي ـ الى استنتاج بان باستطاعتهم ان يحافظوا على بقائهم كبلد نشط وقوي بعد تبدل نووي شامل ·** » (١٦)

وعندما سئل وزير الدفاع الاميركي ـ تعقيبا على هذا الكلام مباشرة ـ « هل يتعين علينا ان نواجه هذا ببناء نظام واسع للدفاع المدني خاص بنا ؟ »·

اجـــاب بقوله :

« **لقد حاولنا ذلك في الستينات · وكانت النتيجة الاساسية التي انتهيت اليها من تلك التجربة ان البنية السياسية والاجتماعية الاميركية ليست مما يسمح باعتبار برنامج شامل للدفاع المدني امرا ممكنا من الناحية السياسية بالنسبة لنا ··· انني اعتقد ان فكرة اجلاء الناس من المدن الكبرى الى الريف دون ممارسة ـ ولم تكن هناك ممارسة لذلك في الاتحاد السوفياتي ـ تعني ان الخطة يمكن ان تفشل · ووجهة نظري ان افضل رد على برنامج الدفاع المدني السوفياتي هو تعديل قدرتنا الهجومية لكي تظهر للسوفيات ان الدفاع المدني لا يجدي · ومع ذلك فانني لا استبعد زيادة متواضعة في جهود الدفاع المدني الاميركي ·** »

ويمكن للمرء ان يتغاضى عن التناقضات الكثيرة التي تحتويها هذه الفقرة ، ولكنه لا يمكن ان يتغاضى عن حقيقة لا اخلاقية تكشف عنها هذه التصريحات وهي ان حياة الملايين من الاميركيين لا تساوي في نظر وزير الدفاع الاميركي المخاطرة بنفقات برنامج للدفاع المدني لمجرد ان مثل هذا البرنامج « يمكن ان يفشل » · ومع ذلك فدعنا من الاعتبارات الانسانية والاخلاقية ، ولنبق في اطار الاعتبارات « العملية » ·

ينفق السوفيات على « برنامج كاسح ودقيق للغاية للدفاع المدني ما يقارب الف مليون دولار سنويا ، مقابل نفقات الدفاع المدني الاميركية التي تقارب ٨٠ مليون دولار سنويا ·» (١٧) وقد جاء في « كتاب الدفاع المدني السوفياتي » الذي وزع في الاتحاد السوفياتي باعداد ضخمة منذ اوائل السبعينات ان تنفيذ هذا البرنامج من شأنه ان يحد من الخسائر المدنية بحيث تتراوح فقط بين ٥ الى ٨ في المائة من سكان المدن و ٣ الى ٤ في المائة من اجمالي السكان ، حتى بعد هجوم مباشر تشنه الولايات المتحدة على المدن السوفياتية · ويستنتج مصدر اميركي من هذا الجهد السوفياتي الكبير في مجال الدفاع المدني انه يعني

ـ بدرجة ـ لا يكاد الاميركيون او الغربيون عموما يفهمونها ـ ان الحرب الذرية ممكنة الحدوث وان الاتحاد السوفياتي يمكن ان يحافظ على بقائه على الرغم منها · (١٨)

وقد خصص « المسح الاستراتيجي » Strategic Survey لعام ١٩٧٦ الذي اصدره المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية (لندن) مساحة كبيرة لبرنامج الدفاع المدني السوفياتي من المهم للغاية ان نعرض فقرات بارزة منها ·

« لم يكن احد في الولايات المتحدة منذ اوائل الستينات يعتبر ان الدفاع المدني عامل يمكن ان يؤثر جديا على التوازن الاستراتيجي الاميركي ـ السوفياتي · لقد تخلت ادارة كنيدي عن فكرتها القصيرة العمر الخاصة ببرنامج انشاء مخبأ على نطاق قومي بسبب ضخامة تكاليفه والمعارضة السياسية له بين قطاعات واسعة من الرأي العام الاميركي ، والاعتقاد بانه يمكن ان ينظر اليه على انه محاولة استفزازية لزعزعة استقرار علاقة الردع المتبادل بين الدولتين الاعظم ··· ولكن الاتحاد السوفياتي لم يشارك في هذا الرأي ، فمنذ منتصف الخمسينات تبذل مجهودات مستمرة لكفالة الحماية ضد الهجوم للسكان المدنيين وللصناعة الثقيلة على السواء · ولقد ساد الاعتقاد في الاوساط الدفاعية الغربية ـ بسبب القوة التدميرية للاسلحة الذرية وخاصة نظرا لانعدام الدفاعات المضادة للصواريخ ـ بان مثل هذه الاجراءات لا يمكنها ان تمنع الولايات المتحدة من توجيه ضربة انتقامية على قدر من الاتساع بحيث يكف الاتحاد السوفياتي عن الوجود كمجتمع حديث · الا انه في العام ١٩٧٦ واجه هذه النظرة تحد قوي · لقد انتبه الرأي العام الى مدى واهمية برنامج الدفاع المدني السوفياتي ···»

ويشير « المسح الاستراتيجي » نفسه الى ان المسؤول عن برنامج الدفاع المدني السوفياتي قد رقي في شباط (فبراير) ١٩٧٧ الى رتبة جنرال ويقدر عدد العاملين في جهازه بنحو ٧٠ الف موظف حكومي ، بينهم هيئة اركان تضم اكثر من ٥٠ من الجنرالات موزعين في مختلف انحاء الاتحاد السوفياتي · كما يشير الى انه من الواضح ان نشاطات الاستخبارات الاميركية لم تهتم خلال السنوات من ١٩٧١ الى ١٩٧٥ بجهود الدفاع المدني السوفياتي ، ولا حتى عن طريق تجميع وتحليل صور الاقمار الصناعية للتجسس ·

ويتحدث « المسح الاستراتيجي » كذلك عن بعض عناصر برنامج الدفاع المدني السوفياتي ، فيشير الى وجود منشآت مدعمة ضد التفجرات النووية ، باعداد ضخمة متفرقة في جميع ارجاء الاتحاد السوفياتي ، بينها ابنية للقيادات والرقابة ومراكز للاتصالات قادرة على الصمود للهجوم الذري · كما نشرت في انحاء البلاد قيادات من النوع نفسه ، ومثلها في منغوليا واوروبا

الشرقية · ومنها بصفة خاصة مجموعة من المنشآت لايواء الصف الاول من القيادات السوفياتية الحزبية والحكومية والعسكرية على بعد ٨٠ ميلا من موسكو وفيما يتعلق بكافة السكان بوجه عام فان هناك خططا واضحة لاستخدام المخابيء ولتفريق التجمعات السكانية · وقد بنيت شبكات المخابيء في موسكو ولينغراد وكييف ، ووضعت الخطط لاجلاء المدن السوفياتية من سكانها خلال ٧٢ ساعة ويصف المسح اجراءات هذا البرنامج بأنها ترمي الى توفير افضل حماية ممكنة ضد الاسلحة الذرية والكيماوية والبيولوجية · وقد انشئت لتسهيل تنفيذه شبكة منظمات محلية واقليمية وقومية وطنية للدفاع المدني · وتتولى هذه المنظمات ، بين ما تتولاه ، تزويد كل تلميذ في المدارس السوفياتية بمائة ساعة من التعليم عن الاسلحة النووية واجراءات الدفاع المدني · واخيرا فقد اقام الاتحاد السوفياتي خنادق ضخمة تحت الارض لتخزين الغلال والمواد الغذائية الاخرى · الامر الذي خسر اخيرا شراء الاتحاد السوفياتي كميات ضخمة من القمح من الغرب تزيد في نسبتها عن نسبة ضعف محاصيله منه في السنوات الماضية ·

ويذهب بعض المعلقين الاستراتيجيين الى ان هدف هذا البرنامج هو في الحقيقة تحقيق تفوق لقدرة الاتحاد السوفياتي على البقاء بعد حرب ذرية · ويقول هؤلاء ان نتيجة هذا البرنامج العملية ستكون وفاة عشرة اميركيين مقابل كل سوفياتي واحد ـ في حالة نشوب حرب ذرية بين الدولتين ، بل يتخيل بعضهم ان اربعين اميركيا سيموتون مقابل كل سوفياتي واحد ، وان قدرة الاتحاد السوفياتي على النهوض واستئناف نشاطه كمجتمع صناعي حديث ستتعاظم بصورة هائلة بسبب اجراءات الحماية التي ادخلها · وعلى اقل تقدير فان وجود هذا البرنامج السوفياتي الواسع النطاق للدفاع المدني يضعف الثقة الاميركية بمقدرة الولايات المتحدة على الردع ، ويقوي شكوك الاميركيين في الدوافع السوفياتية · (١٩)

لا يعني هذا كله ان الاتحاد السوفياتي قد استطاع ان يضع مارد القوة الذرية الاميركية في قمقم الدفاع المدني ، ولا يعني ان قصة التوازن الذري الاستراتيجي انتهت الى هذه النهاية السعيدة (او المأساوية وفقا لعين الناظر اليها) انما يعنينا منه ـ كما يعنينا من كل ما سقناه من شهادات حية ـ ان ندخل قدرا من العقلانية على تصورات عرب الحل الاميركي المبني على تفوق اميركا الساحق في تقرير شؤون العالم · ان فصولا كثيرة هامة قادمة من قصة التوازن الاستراتيجي ، بعضها ستشهده قاعات الجمعية العامة للامم المتحدة التي تخصص هذا العام دورة خاصة لمسألة نزع السلاح ، وبعضها ستشهده قاعات مفاوضات « سولت ـ ٢ » ، وبعضها تشهده بالفعل الان قاعات البيت الابيض والكونغرس الاميركيين ومقار القيادات الاوروبية في نقاشات حامية للغاية محورها : المضي الى انتاج قنبلة «النيوترون» ام لا ؟ اقامة نظام صاروخي

جديد من طراز ام ٠ اكس (الذي يوصف بأنه يمثل الامل الوحيد للحيلولة دون تحول ميزان القوة الذي بدوره يمكن ان يتسبب في كوارث للولايات المتحـــدة خلال عقد من الآن) ٠ ولن تكون قنبلة « الذيوترون » الوصفة السحرية لاثبات نظرية التفوق التكنولوجي الاميركي ، ولن يكون الصاروخ ام ٠ اكس الا طلقة من حلقات سباق التسلح المتتابع اذا لم تنجح مفاوضات « سولت ــ ٢ » فـــي دفنه في المهـــد ٠

انما الحقيقة الاعم من كل التفصيلات الصغيرة هي ان طموح اميركـــا في مجال القوة الاستراتيجية لم تعد له علاقة بخيالات واوهام التفوق الساحق او الحاسم ٠ ما تريده امريكا لا يتجاوز ما عبر عنه وزير دفاعهـا في برنامجـه الجديـــــد حين قال « ان ميزان القوة ــ وان يكن يحيطه الشك فـي بعـض المجالات (الوظيفية والجغرافية) ليس في الوقت الحاضر في غير صالح الولايات المتحدة وحلفائها » ٠ وقد عبر بول نيتز مفاوض « سولت » الاميركي المخضـرم عن هذا المعنى نفسه ، ولكن بلغة عسكرية اكثر تحديدا ، في قوله :

« ان الاتجاهات في القوة العسكرية تسير على نحو من شأنه ــ ما لـم نتحرك سريعا لتحويلها ــ ان الولايات المتحدة تتحرك نحو مركز ليس لها فيه الا حـد ادنى من الردع ، وهو مركز سوف نسلم فيـــه بالنصر العسكري والسياسي للاتحاد السوفياتي اذا فشل الردع ٠ وبينما قد يكون من المستحيل ــ وربما من غير المرغوب فيه سياسيا ــ ان تعمل الولايات المتحدة من اجل اكتساب القدرة على الفوز في حرب نووية ، فان هناك سبلا عدة للعمل امام الولايات المتحـدة بحيث تستطيع ان تحرم السوفيات من اكتساب هذه القدرة وازالـــة عـــدم الاستقرار من جانب واحد الذي سببه تفوقهم في قوة اطلاق الاوزان الاضخـــم وسببه برنامجهم للدفاع المدني ٠» (٢٠)

وقد تنبأ احد رجال الكونغرس الاميركي (النائب شرودر) مؤخرا بان « القوة الصاروخية السوفياتية القادرة على توجيه ضربات قاتلة في وقتها لاهـــداف محصنة ستزيد في الثمانينات الى مائة مثل ما كانت عليه في العـام ١٩٧٥ ، ويعني هذا انه اذا لم تتخذ الولايات المتحدة اجراء ما لتحسين دقـة صواريخها فان الاتحاد السوفياتي سيكون قد حقق تفوقا عليها بنسبة ٢٥ الى واحد ٠»(٢١)

الحواشي :

---

(1) Paul Nitze, « Assuring Strategy Stability in An Era Of Detente » **Foreign Affairs,** January 1976, P. 209.

(2) Marvin and Bernard Kalb , **Kissinger,** New York, 1976, P. 141.

(٣) المصدر السابق ص ـ ١٢٣ ٠

(4) Spartak Beglov, **International Relations in Nuclear Age,** Moscow n.d. , P. 52 .

(5)Raymon Aron, **The Imperial Republic,** London 1975, P.P. 123-124.

(٦) المصدر نفسه ص٠ ص ١٥٥ـ١٥٦٠

(7) Kalb, **OP. Cit,** P. 366.

(8) Coonel Richard G. Head , «Technology and Military Balance,» **Foreign Affairs,** April 1978 , P.P. 544-563 .

(9) **U.S. News and World Report,** July 25, 1977 P. 24 .

(10) **New York Times,** November 14,1977.

(11) **Survival,** (I.I. S.S.) May / June 1977. P.P. 121-124 .

(١٢) مقال ريتشارد هيد المذكور في الحاشية ، ١٨ صفحة ٥٤٦ ٠

(١٣) بيبشيف ، بعض قضايا العمل الحزبي السياسي بالقوات المسلحة السوفياتية ، موسكو ١٩٧٥ ٠

(١٤) مقال ريتشارد هيد ص ـ ٥٤٨ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ـ ٥٥٠ ٠

(١٦) حديث وزير الدفاع الاميركي براون في المصدر المذكور في الحاشية (٩) اعلاه ٠

(17) Eugene Wigner, «The Atom and The Bomb» , **Christian Science Monitor,** November 13, 1977 .

(١٨) بول نيتز ، المصدر المذكور في الحاشية (١) ص٠ص ٢١١ ـ ٢١٢ ٠

(19) **Strategic Survey,** 1976, I.I.S.S. London P.P. 31-34.

(٢٠) نيتز ، المصدر المذكور ص ـ ٢٢٧

(٢١) نيتز ، المصدر المذكور ص ـ ٢٢٨

محمد المجذوب

السيطرة الاسرائيلية على الثروات العربية

في نهاية شهر نيسان (ابريل) المنصرم ، قالت صحيفة (الاهرام) ان مصر تقدمت بشكوى الى الامم المتحدة والولايات المتحدة طالبت فيها بايقاف اسرائيل عن التنقيب عن النفط في صحراء سيناء وخليج السويس ، وذكرت بقرار الجمعية العامة ، الصادر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٧ ، حول عدم قانونية اشتراك الشركات الخاصة والعامة في عمليات النفط الاسرائيلية المتنازع عليها ، واعتبرت ان هذه العمليات تشكل انتهاكا للقانون الدولي العام وقرارات الامم المتحدة واتفاقات وقف اطلاق النار ، ووصفتها بأنها تتناقض مع جميع الاعراف الدولية التي تحرم اغتصاب ثروات المناطق الخاضعة للاحتلال . وأضافت الصحيفة ان مصر عممت شكواها على الجمعية العامة ، وطلبت ادراجها في جدول اعمال الجمعية ، وهددت « باتخاذ عدد من التدابير الصارمة ضد الاعمال غير الشرعية التي تقوم بها اسرائيل في تنقيبها عن النفط في الاراضي المصرية المحتلة ومياه خليج السويس » (١) .

وردت اسرائيل على الشكوى المصرية فأعلنت ، بلسان وزير الطاقة فيها ، انها سترفض اي طلب مصري بايقاف عمليات استغلال النفط في سيناء ، لان القانون الدولي واتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ لا يوفران اي اساس قانوني لمثل هذا الطلب ، « اذ ان الابار التي تستغل حاليا في سيناء قد اكتشفتها اسرائيل » (٢) .

وادعت اسرائيل ان الجزء الاكبر من حقل رمضان ، الغني بالنفط ، يقع في المياه المحتلة من خليج السويس ، وان القانون الدولي يسمح لدولة الاحتلال باستغلال موارد الارض المحتلة ، مع ان المدير العام لمكتب شركة « اموكو

انترناشيونال » في القاهرة قد اكد ان الجزء الاكبر من الحقل المذكور يقع في المياه الاقليمية المصرية التي لم تحتلها اسرائيل ، وان لديه خرائط تثبت ذلك (٣) ٠

وعندما بدأت بعض الاوساط الدولية تبدي اهتمامها بهذا الموضوع سارع الممثل الدائم لاسرائيل في الامم المتحدة الى القول بان من حق اسرائيل ، بمقتضى القانون الدولي ، ان تقوم بالتنقيب واستغلال الموارد النفطية في سيناء ، لانها تعد ملكية عامة (٤) ٠

وموضوع استغلال النفط في سيناء وخليج السويس يثير مسألتين مهمتين : محاولات اسرائيل للسيطرة على الاقتصاد العربي تحت ستار التعاون ، وموقف القانون الدولي العام من عمليات استغلال ثروات الاراضي المحتلة من قبل دول الاحتلال ٠

اولا ـ محاولات اسرائيل للسيطرة على الاقتصاد العربي

اسرائيل كيان أوجدته الحركة الصهيونية ، بالتواطؤ مع الامبريالية العالمية ، لخدمة المصالح الاستعمارية في المشرق العربي ٠ وخدمة هذه المصالح لا تتم الا اذا كان هذا الكيان قويا ، عسكريا واقتصاديا ٠ ولذا تحرص الدول الغربية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة، على تعزيز قدرته العسكرية ليصبح بمفرده أقوى من كل الدول العربية مجتمعة ، وعلى تعزيز قدرته الاقتصادية ليتمكن من السيطرة على الاقتصاد العربي ٠ والناحية الاقتصادية هي التي تعنينا هنا ٠

لقد حاولت اسرائيل ، بشتى الوسائل والحيل ، فرض سيطرتها الاقتصادية على العرب فلم توفق ٠ غير أنها لم تيأس ٠ لقد بقيت فترة تترصد الفرص ٠ وسنحت فرصة ذهبية نادرة مع زيارة الرئيس السادات للقدس المحتلة واعترافه بالكيان الصهيوني ودعوته الاسرائيليين الى العيش مع العرب بأمان واطمئنان ٠ واستغلت اسرائيل هذه الفرصة وأخذت تلوح برايات التعاون مخفية رغبتها في السيطرة تدريجيا على الاقتصاد العربي ٠

١ ـ لقد بدأت بالاعراب عن رغبتها في تحقيق التعاون مع كل الدول العربية ٠ وقد عبر المدير العام لوزارة الداخلية الاسرائيلية ، بعد الزيارة المشؤومة ، عن أمله في اقتراب اليوم « الذي سيقوم فيه تعاون بين اسرائيل وجاراتها » ، حيث يشترك « خبراء من الدول المجاورة في الندوات والاجتماعات في اسرائيل ، ويشارك خبراء من اسرائيل في مؤتمرات دولية تعقد في الدول العربية » (٥) ٠

٢ ـ وتظاهرت اسرائيل بانها مستعدة للتضحية بمصالحها المادية في سبيل السلام ٠ فقد أعلن وزير الطاقة والتجهيزات فيها ان اسرائيل « لن تتردد في

التضحية بحقول النفط في الطور من اجل السلام الحقيقي » · وقال انه على الرغم من مرور شهرين فقط على اكتشاف النفط في السويس فقد انقض علينا غضب السلام · ولكنه استدرك وأضاف : « ان السلام أفضل من النفط » (٦) · وعندما ظهرت حركة « السلام الان » رفعت عدة شعارات كان أبرزها شعار « السلام أفضل من قطعة أرض » (٧) ·

٣ ـ وأفاض المسؤولون الاسرائيليون في الحديث عن مزايا التعاون وزعموا ان هذا التعاون سيكون لمصلحة الدول العربية · ففي العام ١٩٦٥ ، وبتكليف من غولدا مائير ، وضع المدير العام لمصرف اسرائيل ، المتخصص باقتصاديات الدول العربية ، دراسات حول التعاون الاقتصادي بين اسرائيل والدول العربية · وجاء في هذه الدراسات ان انشاء علاقات تجارية مع اسرائيل سيسهم في تحسين الميزان التجاري للدول العربية ويسمح لهذه الدول بالاستفادة من الموقع الجغرافي الذي تتمتع به اسرائيل كبلد مرور للتجارة العربية (تجارة الترانزيت) ، فميناء حيفا وميناء اشدود قد يستخدمان كمنفذ الى البحر المتوسط ، وخصوصا بالنسبة الى الاردن · والاتصال البري بين مصر والدول العربية في المشرق غير متاح الا عبر اسرائيل · وهو يعتبر ذا أهمية قصوى لنجاح السوق العربية المشتركة (٨) ·

وأبلغ جاد يعقوبي ، عضو الكنيست ، اللجنة الاقتصادية التابعة للامم المتحدة « ان اسرائيل تتطلع نحو اقامة سوق شرق اوسطية تخدمكسوق مشتركة بيننا وبين جيراننا العرب » · وذكر « ان الاردن ، في اطار السوق المشتركة ، يستطيع الاستفادة من موانىء حيفا وأشدود » وانه « يمكن اصلاح واتمام شبكة الخطوط الحديدية الممتدة من حيفا الى الاردن ، ومن تركيا الى الحدود اللبنانية على طول ساحل البحر المتوسط الى قناة السويس » (٩) ·

وزعم الاسرائيليون أحياناً **ان التعاون بين اسرائيل والدول العربية سيعود بالفائدة على كل الاطراف** · لقد قدم يعقوب مريدور ، احد مؤسسي حركة حيروت (حزب بيغن) ، وصاحب احد الاساطيل البحرية ، مشروعا بشأن التعاون الاقتصادي بين اسرائيل والدول العربية ، في حال التوصل الى السلام · ووصف هذا المشروع بانه « مشروع مارشال موسع » · وقال عنه انه « مشروع اقتصادي من أجل تعمير الشرق الاوسط » يقوم على انشاء صندوق برأسمال مقداره ١٥ مليار دولار · واكد على ان « مصر والاردن وسوريا واسرائيل ستكون المستفيدة من هذا المشروع » (١٠) ·

بل ان الاسرائيليين لم يتورعوا عن الادعاء بان هذا التعاون المزعوم سيكون « من شأنه احداث المعجزات في الشرق الاوسط » (١١) ·

٤ ـ ولم يكد ملك المغرب ، الحسن الثاني ، يطرح فكرته حول الجمع بين

« العبقرية الاسرائيلية والموارد العربية » (١٢) ، حتى سارع الزعماء الاسرائيليون الى تلقفها والتركيز عليها بغية ايهام العرب بان اسرائيل قادرة على مساعدتهم · فقد استهوت الفكرة بيغن فقال ، في الكلمة التي عقب بها على خطاب الرئيس السادات في الكنيست : « انني مستعد للتصديق على كلام جلالة ملك المغرب الذي قال علانية بانه اذا قام السلام في الشرق الاوسط فان الدمج بين الثروة العربية والعبقرية اليهودية سيحول هذه المنطقة الى جنات عدن على الارض » (١٣) · وساير نقيب المهندسين الاسرائيليين هذا التيار فأعلن ان الدول العربية تمتلك مناجم ومصادر طبيعية ضخمة وان اسرائيل تمتلك الخبرة والتكنولوجيا المتطورة ، وأكد على ان المركز الدولي للتعاون التقني في اسرائيل « سيكون قادرا على مساعدة شعوب المنطقة وانه مستعد للتعاون مع اية دولة عربية في المنطقة » (١٤) ·

٥ ـ وركز الاسرائيليون على فكرة التخلف الاقتصادي الذي يلف المنطقة وادعوا ان ازالة هذا التخلف مرهونة بمدى التعاون بين اسرائيل وجيرانها · فقد أعلن بيغن في خطاب الكنيست ، المذكور ، ما يلي : « اننا نقترح تعاونا اقتصاديا لتطوير بلدينا · هناك بلاد رائعة في الشرق الاوسط · هكذا خلقه الله : واحة الصحراء · ولكن يوجد فيه أيضا صحارى وبالامكان احياؤها · هيا نتعاون في هذا المجال ونفتح بلدينا ونقض على الفقر والجوع والنقص في السكن ، ونرفع شعبينا الى مستوى الدول المتطورة ولا نسمى بعد ذلك بالدول النامية » (١٥) ·

٦ ـ وبرعوا في اسلوب الضرب على وتر التنمية الاقتصادية التي تحتاج اليها أقطار المنطقة ، للادعاء بعد ذلك بان هذه التنمية تضيع او تتقلص بسبب ارتفاع الميزانيات المخصصة للدفاع · فبعد زيارة السادات للقدس المحتلة ، قرر مصرف اسرائيل الكشف عن الدراسات التي أعدها المدير العام للمصرف · وقد ورد فيها ان ميزانيات الدفاع هي المشكلة الاقتصادية الرئيسية لدول المنطقة ، لانها تشكل ما بين ٢٥ و ٣٠٪ من الدخل القومي لكل من مصر واسرائيل · ويمكن ، في حال اقامة علاقات طبيعية بين الدولتين ، توجيه موارد تقدر بمليار دولار الى التنمية الاقتصادية · واذا أمكن خفض النفقات الامنية لكل من الدولتين الى الثلث فقط أصبح من الممكن زيادة التوظيفات في التنمية الاقتصادية بمعدل ٥٠٪ ومضاعفة ميزانية الانعاش الاجتماعي دفعة واحدة (١٦) ·

٧ ـ وتحمست بعض المؤسسات الاسرائيلية لفكرة التعاون فوضعت « خرائط سلام » اقتصادية ، واقترحت مشاريع تعاون متعددة في حال التوصل الى اتفاق سلام مع الدول العربية · فقد ذكرت بعض الصحف ، بعد الزيارة ، ان وزارة المال ورجال الصناعة يعدون « خرائط سلام » اقتصادية ، وان بعض المؤسسات

الاقتصادية تدرس السوق العربية ، وان المستشار الاقتصادي لوزارة المـــال بدأ باعداد التقديرات الاولية لتأثير السلام في الاقتصاد بكامله (١٧) ٠

٨ ـ **وحاول بعض الزعماء الاسرائيليين تحديد مجالات التعـــاون بيـــن الطرفين ، وخصوصا بين مصر وأسرائل** ، فأعلنوا ، كما فعل نائب وزير المالية ،انه « ستتبلور قريبا خطة عمل في مجال التعاون الاقتصادي » ، واشاروا الـــى امكان التعاون مع مصر لاستغلال طاقة مياه الري ، ومد سكة حديـــد الـــى ايلات (١٨) ٠ ومن أهم محاولات التعاون المقترحة : التعاون في مجال الثروات الطبيعية ، وفي المجال الذري ، وفي المجال النفطي ٠

لقد اهتم المسؤولون السياسيون والاقتصاديون في اسرائيل بامكان استغلال **الثروات الطبيعية في الاقطار العربية** ، ضمن اطار التعاون الاقتصادي المحتمل ، فاقترح موشى شفرير (الخبير الجيولوجي ، ورئيس اللجنة التي كانت تشرف على آبار أبو رديس) ، في المذكرة التي رفعها الى رئيس الحكومة بيغن حـــول استغلال حقل النفط الذي تم اكتشافه في خليج السويس ، اقامة تعاون بيـــن اسرائيل ومصر لاستغلال الثروات الطبيعية في سيناء ٠ وبين انه « بالامكـــان ضخ كميات هائلة من المياه الجوفية العميقة في وادي تسين ، وتوطين شبـــه جزيرة سيناء بلاجئين فلسطينيين ومستوطنين يهود » ٠ وأكد على وجود ثروات طبيعية في سيناء بالامكان استغلالها ، كالفوسفات والرمل الزجاجي والجبـــس والفحم (١٩) ٠

ورأى احد الباحثين ان اسرائيل تستطيع ، ضمن اطار التعاون مع الاردن ، استغلال ثروات البحر الميت ، وضمن اطار التعاون مع مصر ، استغلال الثروات المعدنية في سيناء ، وضمن اطار التعاون مع الدول العربية ، استغلال المواد الخام المهملة ٠ واكد انه بالامكان ، في حال تطور التجارة بين اسرائيل والدول العربية ، اقامة مشاريع مشتركة تندمج فيها الثروات الطبيعية والخبرة ورؤوس الاموال (٢٠) ٠

وفي مجال التعاون الذري قدم البعض مشروعا لاقامة محطة قوى ذريـــــة مشتركة بين مصر واسرائيل في احدى مناطق العريش ٠ فقد أعلن المدير العـــام لشركة الكهرباء ان شركته اخذت في الآونة الاخيرة تعد دراسة اولية عـــــن تعيين مواقع في احدى مناطق العريش من اجل اقامة محطة قوى ذرية مشتركـــة بين الدولتين ، من المحتمل أن تقام في المستقبل (٢١) ٠

وقدم عالم الذرة ، شمعون يفتاح ، اقتراحا باقامة مركز ذري مشترك بيـــن مصر واسرائيل في صحراء سيناء ، يحتوي على مفاعلات ذرية لانتاج الكهرباء والوقود الذري وتحلية مياه البحر ٠ واعتبر ان « اقامة مثل هذا المركز ستربط مصر باسرائيل مدة ثلاثين سنة على الاقل في مجال التعاون ، حيث ان هذه المدة

الزمنية هي المعقولة لنشاط مفاعل ذري » (٢٢) ٠

ووجه يوسف روم ، عميد كلية الهندسة الجوية في معهد التخنيون ، والنائب في الكنيست ، دعوة الى تحويل سيناء الى جسر سلام يربط بين مصر واسرائيل بتعاون اقتصادي وتكنولوجي ، ويقوم على أعمدة تتكون من مشروعات مشتركة في حقلي الذرة والنفط ، فسيناء ، في رأيه ، « تشكل مصلحة اسرائيلية ـ مصرية مشتركة ، حيث ان الحقائق التكنولوجية والاقتصادية التي ستتعين فيها ستؤثر بصورة حاسمة في الناحية السياسية للمشكلة » (٢٣) ٠

وبالاضافة الى الثروات الطبيعية والمحطات والمفاعلات الذرية ، فقد اهتم الاسرائيليون **بمجال التعاون النفطي** ٠ ويبدو ان الاكتشافات النفطية التي تمت مؤخرا في سيناء وخليج السويس تشير الى وجود كميات هائلة من الذهب الاسود يمكن ان تجعل من اسرائيل ، في نهاية هذا العام ، دولة منتجة ومصدرة للنفط ، ويمكن ان تجعل من خليج السويس ، كما قال الخبير موشى شفريسر في مذكرته المشار اليها ، « المصدر الثاني للنفط ، من حيث الاهمية في الشرق الاوسط ، بعد الخليج الفارسي » ٠ وهنا يكمن سر حرص اسرائيل على البقاء في سيناء ، او على مشاركة المصريين في استغلال ثروات سيناء في حال انسحابها منها ٠

ومما لا شك فيه ان حاجة اسرائيل الى النفط تتضاعف عاما بعد عام ٠ ومن المنتظر ان تستهلك هذا العام ١٢ مليون طن ٠ وزيادة حاجتها الى النفط لا تفسر بسبب ازدياد الاستهلاك الفردي له ، بل بسبب اتساع حجم الصناعة فيها ٠ والنفط لم يعد بالنسبة اليها مصدرا للطاقة فحسب ، بل اصبح كذلك مادة تدخل في انتاج كل السلع الصناعية (من الصناعة البتروكيماوية الى صناعة المطاط والبلاستيك والالبسة النسائية) ٠ وبما ان طموحها الصناعي ، مع ما يتطلبه ذلك من قدرة على تصريف السلع باسعار مغرية وعلى سد الفجوة بين الصادرات والواردات ، يفرض عليها الحصول على موارد نفطية كافية ، فقد عمدت ، منذ اليوم الاول لاحتلالها سيناء ، الى استخراج النفط من آبارها بطريقة استنزافية ترمي الى الحصول على اكبر كمية ممكنة باسرع وقت ممكن ، دون أدنى اهتمام بالاضرار الفنية التي يمكن ان تصيب ابار النفط ٠ وبقيت على هذا المنوال حتى فك الاشتباك الثاني ورحلة السادات الى القدس المحتلة ، فقد أيقنت انذاك ان الرئيس المصري على استعداد للتنازل وان مصلحتها تقضي بالأقلاع عن فكرة الاستنزاف والسعي الى استملاك النفط أو مشاركة مصر في ملكيته (٢٤) ٠

ولجأت اسرائيل ، لتبرير موقفها وتمويه مسلكها ، الى بعض الحجج القانونية الواهية ، فزعمت ان القانون الدولي يسمح لها بالاحتفاظ بحق استثمار ابار النفط التي اكتشفتها في سيناء ، حتى ولو أجبرت على الانسحاب منها (٢٥) ٠

ثانيا ـ القانون الدولي واستغلال ثروات الاراضي المحتلة

الاحتلال الحربي ، في القانون الدولي العام ، مرحلة تعقب لجوء احدى الدول الى استخدام القوة المسلحة · ومن دلائل الاحتلال وقوع كل اقليم الدولة المغلوبة، او وقوع جزء منه ، تحت سلطة الدولة الغازية · وتبتدىء فترة الاحتـــلال ، حسب اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧ ، بمجرد اكتمال سيطرة الدولة المنتصـــرة وممارسة الجيش الغازي للسلطة الفعلية فوق الاقليم المحتل او فوق الجزء المحتل منه · والاحتلال مرحلة مؤقتة تنتهي بانسحاب القوات الغازية من الاقليـــم المحتل ، بالتفاهم او بالقوة ·

ومع ان غالبية الدول قد عبرت ، في نهاية الحرب العالمية الثانية ، عن رغبتها في تحريم اللجوء الى القوة بأي شكل كان ، فان ميثاق الامم المتحدة قد اضطر الى السماح باستعمال القوة المسلحة في حالتين : حالة الدفاع المشروع عـــن النفس ، وحالة قيام الامم المتحدة نفسها باستخدام القوة ضد دولة معينـة · واذا نتج عن الحالة الثانية احتلال لاقليم هذه الدولة ، او لجزء منه ، فانـــه يعتبر عملا مشروعا ·

ومن المسائل المهمة التي يثيرها الاحتلال الحربي : مسألة السيادة ومسألـة ادارة الاقليم المحتل ·

١ ـ ففي الماضي كان الغزو او الاحتلال سببا من أسباب اكتساب الاقليـم · وكانت دولة الاحتلال تعتبر الاراضي المحتلة جزءا من اقليمها تتصرف به كمـا تتصرف باملاكها · ولكن الوضع أخذ يتغير ويتطور ابتداء من القرن الثامـن عشر ، حيث بدأ المجتمع الدولي يميز بين الاحتلال والغزو والاستيلاء · وبصدور اتفاقيتي لاهاي لعامي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ ، اصبح للاحتلال وضع قانوني متفـق عليه ·

وفي العام ١٩٤٩ ، صدرت اتفاقيات جنيف ووافقت عليها غالبية دول العالم · وقد حددت الاتفاقية الرابعة منها المبادىء والقواعد الاساسية التي يخضع لها الاحتلال الحربي · ويمكننا تلخيصها بالنقاط التالية :

أ ـ **الاحتلال وضع مؤقت** ليس له صفة الدوام وليس له اي تأثير في استمرار وجود الدولة ·

ب ـ **الاحتلال لا يؤدي ، من الناحية القانونيـــة ، الـى نقـل السيـــادة** من دولة الى اخرى ، اي انه لا يكسب دولة الاحتلال حق السيادة على الاقليـم المحتل ، لان السيادة تبقى كامنة في السكان الذين يحق لهم ، خـــلال فتـرة الاحتلال ، رفض الغزو او الضم واللجوء الى المقاومة · ان كل ما يمكن ان يسفر

عنه الاحتلال ، بالنسبة الى السيادة ، هو تجميد ممارستها ٠

ج ـ الاحتلال يخول دولة الاحتلال **صلاحية ممارسة سلطة فعلية واقعية تستهدف حفظ النظام والامن في الاقليم المحتل** وتسيير شؤون سكانه ٠ وهذه السلطة لا تستند مطلقا الى حق السيادة على الاقليم ولا تؤثر في الوضع القانوني للاقليم ٠ انها تستند فقط الى قانون الاحتلال الحربي المستمد من الاتفاقيات الدولية ٠

د ـ **قانون الاحتلال هو الذي يحدد الاطار التشريعي والاجرائي الذي يحق لسلطة الاحتلال ان تتحرك ضمنه** ٠ وكل تغيير تدخله هذه السلطة على شؤون الاقليم يجب ان يتم في اضيق نطاق ويقتصر على مواجهة متطلبات الحياة اليومية للسكان ٠

٢ ـ والمسألة الثانية التي يعالجها قانون الاحتلال الحربي هي مسألة ادارة الاقليم المحتل ٠ فالاحتلال يؤدي الى انهيار السلطة الشرعية للبلاد ونشوء فراغ سياسي واداري فيها ٠ ولتجنب قيام حالة من الفوضى بسبب غياب سلطة القانون وتوقف المؤسسات والمرافق العامة عن العمل ، فان قانون الاحتلال قد نص على وجوب قيام سلطة حكومية بديلة تسد الفراغ وتحول دون تدهور الاوضاع الداخلية ٠

والقانون الذي أوجد السلطة البديلة رسم لها حدود الصلاحيات التي تملكها في ادارة الاقليم المحتل وفي احداث التغييرات في الاراضي المحتلة ٠ ويمكننا ايجازها بالنقاط التالية :

أ ـ على سلطة الاحتلال **الامتناع عن احداث التغييرات في المؤسسات الاساسية** الا في حالة الضرورة القصوى ، او في حدود الضرورات التي يفرضها حفظ النظام والامن ٠

ب ـ على سلطة الاحتلال ان تكتفي ، في الاقليم المحتل ، بممارسة **حقوق الادارة** ، لانها لا تملك ، بموجب قانون الاحتلال ، اي حق في ضم الاقليم الى أراضيها ، او في تقسيم الاقليم ، او في تشكيل حكومة مدنية فيه ٠ ثم ان حق الادارة الذي تمارسه يعتبر حقا استثنائيا لا يجوز مقارنته بحق الادارة الذي تمارسه السلطة الشرعية الاصلية على الاقليم في الاحوال العادية ٠ ومن هنا يحظر على سلطة الاحتلال اجراء اي تغيير اداري من شأنه خدمة مصالحها السياسية او الاقتصادية وتهيئة الاقليم للضم فيما بعد ٠

ج ـ على سلطة الاحتلال ان تدير الاقليم المحتل بواسطة **حكومة عسكرية** ٠ وتعرف هذه الحكومة بانها « ذلك الشكل من الحكومة التي يؤسسها ويقيمها أحد الاطراف المتحاربة بقوة السلاح في الاقليم المعادي الذي جرى احتلاله من

اجل حكم ذلك الاقليم » · وتختلف الحكومة العسكرية هنا عن الحكم العسكري العرفي الذي تفرضه الدولة نفسها على المواطنين في بعض الحالات الاستثنائية الخاصة (٢٦) ·

د ـ على سلطة الاحتلال **الا تقدم على تدمير الاملاك الخاصة للدولة او استعمالها الا اذا قضت الضرورة بذلك** · ولمنع التعسف في استعمال هذا الحق، وضع قانون الاحتلال قيودا وحدودا مستمدة من مبدأين : الضرورة والانسانية· وهذه القيود والحدود ليست ثابتة لان وضعها مرتبط بطبيعة املاك الدولة المحتلة (املاك منقولة او غير منقولة · املاك قابلة لخدمة اغراض عسكرية · املاك ضرورية لسد حاجات جيش الاحتلال) · واذا كانت اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧ ، التي تنظم العلاقات الاقتصادية في وقت الحرب ، تسمح للعدو الموجود فوق ارض خصمه بتدمير الاملاك العامة غير المنقولة ، لاغراض حربية ، او باستعمالها لاغراض ادارية او استراتيجية ، فانها تحظر عليه حرية التدمير من أجل التدمير · واذا كانت المادة ٥٥ من الاتفاقية تخول العدو المحتل حق ادارة املاك دولة الخصم واستثمارها ، فانها تفرض عليه بالمقابل المحافظة على جوهرها واصولها من التلف (٢٧) ·

تلك هي أهم القواعد العامة التي يخضع لها الاحتلال الحربي والتي حظيت بموافقة كل دول العالم تقريبا · غير ان اسرائيل ترفض احترامها والرضوخ لها ·

ان الاستناد الى الغزو العسكري ، كحجة قانونية لتبرير التوسع الاقليمي ، لم يعد أمرا مقبولا او متصورا في المرحلة الحالية لتطور القانون الدولي ، « فلم تعد هناك دولة واحدة تجادل في صحة القاعدة القائلة بعدم جواز استخدام القوة لتحقيق مكاسب اقليمية وما تستلزمه لزوما من عدم الاعتراف بالتغييرات الاقليمية الناجمة عن استخدام القوة · بل انه يمكن القول ، بغير مبالغة ، ان هذه القاعدة هي الركن الاساسي في بناء القانون الدولي المعاصر كله ، اذ بها فقط يتأكد دور هذا القانون كالوسيلة البديلة عن الحرب لتسوية المنازعات الاقليمية بين الدول » (٢٨) · ولكن اسرائيل ترفض الاعتراف والعمل بمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الاقاليم باستعمال القوة · ان احتلالها للاراضي العربية ، في العام ١٩٦٧ ، قد تم نتيجة لاستعمال القوة الذي تحرمه القوانين والاتفاقيات الدولية المعاصرة وليس دفاعا عن النفس ، كما يدعي زعماؤها · واحتلالها لهذه الاراضي ، بعد استيلائها على قسم من فلسطين العربية في العام ١٩٤٨ ، يستهدف ضمها والاستيلاء عليها نهائيا ·

وعندما نلقي نظرة على الكيفية التي استغلت بها ، منذ العام ١٩٦٧ ، ابار النفط في سيناء نجد ان استنزاف هذه الآبار كان ديدنها وهاجسها · فقد صرح

يوما نائب وزير المالية الاسرائيلية ان آبار ابو رديس تعمل باقصى طاقتها وانه ينتظر نضوبها بعد عشر سنوات (٢٩) ٠

ومع ان القانون الدولي يحرم على السلطة المحتلة ان تتنازل لطرف ثالث عن حق استغلال املاك العدو ، فان اسرائيل قد تنازلت لشركات أجنبية عن حق استغلال آبار النفط او عن حق التنقيب عنه في سيناء وخليج السويس ٠ وكشفت نشرة (بلاتس اويل غرام) الاميركية عن ان وزارة الطاقة الاسرائيلية أصدرت اوامرها الى شركة (نبتون اويل) ، التي تتولى تشغيل منطقة الامتياز في خليج السويس ، بان ترفع انتاج حقل النفط الجديد في علما (جنوب غرب الطور) ، الى الحد الاقصى ، بغض النظر عن اي اعتبار ٠وذكرت ان مراقبين نفطيين يعتقدون ان الاوامر « باستنزاف البئر بأسرع وقت ممكن » تستند الى قرار اتخذه مجلس الوزراء الاسرائيلي (٣٠) ٠

لقد أتيح للجنة الخاصة للامم المتحدة ، في العام ١٩٧٢ ، ان تناقش الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل في الاراضي المحتلة وان تذيع المبادىء التالية التي تجسد أحكام القانون الدولي في هذا الصدد :

أ ـ تحريم ضم الاقليم وتحريم نقل اي قسم من سكان دولة الاحتلال لاستيطان الاراضي المحتلة ٠

ب ـ اعتبار الاحتلال العسكري او الحربي وضعا مؤقتا وحالة واقعية لا تجيز التصرف بالاقليم المحتل ٠

ج ـ حظر مصادرة الاملاك الخاصة او بيعها ، وجعل حق سلطة الاحتلال مقتصرا على ادارة واستغلال الاملاك العامة للخصم ٠

د ـ وجوب التمييز ، عند الحديث عن حق الانتفاع بالاملاك العامة ، بين **الاموال المتجددة والاموال غير المتجددة** ٠ والاولى هي تلك التي لا تنضب باستغلالها ، وانما تتجدد ٠ اما الثانية فهي تلك التي تنفد نتيجة الاستغلال ٠ والاراضي الزراعية مثل على الاموال المتجددة ٠ ويحق لسلطة الاحتلال الانتفاع بها واستثمارها ٠ ولكنه يحظر على هذه السلطة استغلال الاموال التي لا تتجدد لانه يترتب على ذلك نفادها بعد فترة من الزمن وحرمان السكان من احد مصادر ثروتهم ٠

واعتبرت احدى اللجان التابعة للامم المتحدة ، التي اهتمت بمسألة حقوق الانسان في الاراضي المحتلة ، ان النفط الخام الذي يجري استخراجه هو من المصادر غير المتجددة التي لا يجوز للسلطة المحتلة الانتفاع بها عن طريق الاستخراج لانه يترتب على عملية الاستخراج نفاده بعد مدة من الزمن ، وبالتالي حرمان سكان الاراضي المحتلة من مصادر ثروتهم ، وهو أمر مخالف لاحكام القانون الدولي لا يحق لاسرائيل ، باعتبارها دولة محتلة ، القيام به (٣١) ٠

الحواشي

١ ـ **الاهرام** ، في ٢٦ـ٤ـ١٩٧٨ ٠

٢ ـ **النهار** و **السفير** ، في ٢٨ـ٤ـ ١٩٧٨ ٠

٣ ـ نشرة (**عالم النفط**) ، في ١٦ـ٥ ١٩٧٨ ٠

٤ ـ وكالات الانباء العالمية في ١٦ـ٥ـ ١٩٧٨ ٠

٥ ـ **دافار** ، في ٢٠ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠ ونشير الى ان المصادر العبرية مقتبسة من **نشرة م٠د٠ق٠**

٦ ـ **معاريف** ، في ٢٥ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

٧ ـ **السفير** ، في ٢٢ـ٥ـ١٩٧٨ ٠

٨ ـ راجع العرض الذي قدمه يسرائيل تومار لدراسات المدير العام لمصرف اسرائيل ، في صحيفة **يديعوت احرونوت** ، في ٢ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

٩ ـ **السفير** ، في ١٢ـ١٠ـ١٩٧٧ ٠

١٠ ـ **معاريف** ، في ٢٣ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

١١ ـ هذا ما قاله نقيب المهندسين الاسرائيليين ٠ **دافار** ، في ٢٠ـ١٢ـ ١٩٧٧ ٠

١٢ ـ صرح الحسن الثاني ، قبل الزيارة بيومين ، انه يرغب في ان يرى الشرق الاوسط وقد جمع بين « العبقرية الاسرائيلية والموارد العربية » ٠ **السفير** ، في ١٨ـ١١ـ١٩٧٧ ٠

١٣ ـ **السفير** في ٢١ـ١١ـ١٩٧٧ ٠

١٤ ـ **دافار** ، في ٢٠ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

١٥ ـ **شؤون فلسطينية** ، عدد يناير ـ فبراير ١٩٧٨ ، ص ٣٤٦ ٠ وكتاب : **زيارة السادات لاسرائيل** ٠ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٣٨ ٠

١٦ ـ **نفس المرجع** الوارد في الحاشية الثامنة ٠

١٧ ـ **يديعوت احرونوت** ، في ١٩ـ١٢ـ ١٩٧٧ ٠

١٨ ـ **معاريف** ، في ٢٨ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

١٩ ـ **دافار** ، في ١١ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

٢٠ ـ **دافار** ، في ٢ـ١ـ١٩٧٨ ٠

٢١ ـ **هآرتس** ، في ٣ـ١ـ١٩٧٨ ٠

٢٢ ـ **معاريف** ، في ٩ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

٢٣ ـ **معاريف** ، في ٢٩ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

٢٤ ـ راجع ما كتبه حسين ابو التمل عن : تزايد اهمية النفط في الاقتصاد الاسرائيلي ، في **السفير** ، في ١ـ٦ـ ١٩٧٨ ٠

٢٤ ـ من تصريح لوزير الطاقة الاسرائيلي ٠ **النهار** ، في ٦ـ٤ـ١٩٧٨ ٠

٢٥ ـ من تصريح لوزير الطاقة الاسرائيلي ٠ **النهار** ، في ٦ـ٤ـ١٩٧٨ ٠

٢٦ ـ د٠ تيسير النابلسي : **الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية** ٠ مركز الابحاث ٠ بيروت ١٩٧٥ ، ص ٩٥ـ٩٦ ٠

(27) Odile Debbasch, L'occupation mititaire , **L.G.D.J.** Paris 1962, P.P. 25 - 29 .

٢٨ ـ د٠ ابراهيم شحاته : **الحدود الامنة والمعترف بها** ٠ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١٧ ٠

٢٩ ـ من تقرير المكتب الرئيسي لمقاطعة اسرائيل ٠ دمشق ١٩٧١ ٠

٣٠ ـ نشرة **عالم النفط** ، المذكورة ٠

٣١ ـ نقلا عن د٠ النابلسي ، **المرجع المذكور** ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ٠

عبد الحفيظ محارب

الموقف من التسوية بين ليكود والتجمّع العمّالي

تتزاحم في مخيلة المرء عندما ينتهي من البحث في هذا الموضوع ويشرع بالكتابة حوله ، صورتان ، وتهمتان صادرتان عن طرفين مختلفين ، موجهتان ضد المفاوض الاسرائيلي بشكل خاص والسياسة الاسرائيلية بشكل عام ٠

بطلة الصورة رئيسة وزراء اسرائيل سابقا غولدا مئير وهي تقف وسط حشد كبير ، في التاسع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي في مطار اللد ، تأهبا لاستقبال السادات الضيف الذي شاءت الظروف ان يكون الرجل الاول في استقباله مناحيم بيجن وليس غولدا مئير ٠ فعندما هبطت الطائرة واخذ الضيف برفقة بيجن يحيي مستقبليه فردا فردا ، ومن بينهم غولدا مئير ، بادرته وعلى مسمع من بيجن بالقول : « لقد تأخرت ! » ، فرد عليها : « ها انذا قد جئت ! » ٠ وليس خافيا على احد ما رمت اليه غولدا مئير في قولها ، الا ان ما كان يخفيه الزمن ، توجهها بعد ذلك الى المستوطنين في الاغوار وهضبة الجولان ، والقاء الخطب الحماسية هناك ضد « التنازلات الكبيرة » التي قدمتها حكومة بيجن للطرف المصري ، مع حث المستوطنين على البقاء « الى الابد » في مستوطناتهم تحت السيادة الاسرائيلية ٠

والصورة الثانية ، ارتسمت فوق منصة الكنيست خلال اليوم الثاني للزيارة ، حين نصب الضيف نفسه حكما على كلمتين سياسيتين القيتا داخل القاعة ، الاولى لزعيم التكتل اليميني الحاكم مناحيم بيجن ، والثانية لزعيم التجمع العمالي المعارض شمعون بيرس ٠

وأصدر الضيف الحكم ، حكمه الى جانب بيريس ، حين امتدح كلمته ناعتا

اياها بانها « بناءة » · ولا نعرف اذا كان ما يزال واثقا من عدالة حكمه ام لا ·

اما التهمتان فموجهتان اساسا ضد السياسة الاسرائيلية التي يختطها التكتل اليميني الحاكم تجاه المفاوضات مع مصر · وقد صدرت التهمة الاولى عن الطرف المصري ، عندما ضاق ذرع المسؤولين والمعلقين المصريين وعيل صبرهم من طريقة واسلوب المفاوض الذي يجلس امامهم ، فما كان منهم الا نعت المفاوض الاسرائيلي بـ « شايلوك » ، بطل مسرحية « تاجر البندقية » لشكسبير ! ومن الجدير بالذكر ان هذه التهمة حظيت بدراسة وتعليق عدد من المسؤولين والمعلقين الاسرائيليين ، فمنهم من اعتبرها نوعا من اللاسامية ، ومنهم من رأى غير ذلك ناظرا اليها من زاويتها الادبية فقط !

اما التهمة الثانية ، وهي شبيهة بالتهمة الاولى ، فقد صدرت عن احد قادة حزب مبام ، شريك حزب العمل في التجمع العمالي ، مردخاي بنطوف ، ووردت في مقال له (١) يتهم فيه سياسة حكومة التكتل اليميني تجاه السلام باللجوء الى « الكذب والخداع » ، معلنا انه بصفته يهوديا فانه يخجل من تمسك «الحكومة اليهودية بوسائل الكذب والخداع » ، والتي تقوم حسب رأيه بكل ما يلصقه اللاساميون باليهود ·ولا يبدي بنطوف استغرابا من ذلك بل يكتفي بابداء «الخجل» اعتقادا منه ان الجناح التصحيحي اليميني في الحركة الصهيونية الذي يعتبر الاساس الفكري المسير لليكود ، لم يخلق اية فكرة جديدة او طريق جديدة ، ليصل بعد ذلك الى تفجير التهمة : « ولا غرابة اذن ان ما بقي له ، يتمثل في الذهنية المهجرية للبائع المتجول اليهودي الذي يرى **كبرياءه في خداع الاغيار ، ويحلم في الحاق الاذى بهم** · وعلى هذه الخلفية فقط يمكن لسياسة حكومة بيجن شق مسار لها » · ومن اللافت للنظر ان هذه التهمة الشبيهة بتهمة « شايلوك » التي اطلقها المصريون ، وربما تكون ابشع منها ، باعتبار انها تفتقر الى جانب ادبي كما في مسرحية « تاجر البندقية » ، لم تحظ بتحليل او رد فعل من جانب اي كان في اسرائيل ، مع العلم انها صادرة عن شخصية سياسية مرموقة ، ومن زعامة حزب مبام ·

□

يهدف هذا المقال الى تسليط الضوء على مواقف التكتلين الاساسيين في اسرائيل ، الليكود الحاكم والمعراخ (التجمع العمالي) المعارض ، تجاه التسوية مع مصر ، والتسوية الخاصة بالضفة الغربية وقطاع غزة ، للوقوف على الفوارق المختلفة بينهما · وبسبب الاختلاف في نظرة كل من الفريقين تجاه الاراضي الفلسطينية وسيناء ، ارتأينا ، تقسيم الموضوع الى قسمين رئيسيين ، الاول يتعلق بنظرة كل من الفريقين تجاه التسوية مع مصر ، والثاني تجاه

الحلول المطروحة بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة · وقد حرصنا في بحثنا عن التصورات المختلفة لكلا الفريقين ، تجاه التسوية ، على ثلاثة امور : (١) الاعتماد بقدر الامكان على ما كتبه او افضى به المسؤولون في تلك التكتلات السياسية ، (٢) التركيز على المواقف السياسية المستجدة عقب زيارة السادات ، دون الرجوع الى البرامج السياسية السابقة ، والمعروفة ، للتيارات السياسية ، (٣) تسليط الضوء على موقف التجمع العمالي ـ الذي يعتبر البديل للتكتل اليميني الحاكم ـ وذلك لسببين ، الاول ، يعود الى عدم وضوح افكاره مقارنة مع موقف الليكود اليميني المحدد ببنود ، والثاني ، ازالة الوهم العالق عند البعض بالنسبة لـ « اعتدال » الجناح العمالي ·

الموقف الرسمي تجاه سيناء

في الثامن والعشرين من شهر كانون الاول (ديسمبر) الماضي شهدت الكنيست الاسرائيلية نقاشات سياسية خطيرة امتدت قرابة عشر ساعات ، اثر تقديم رئيس الحكومة مناحيم بيجن مشروعه الخاص بالتسوية تجاه سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة · وقد حظي المشروع بموافقة اكثرية اعضاء الكنيست (٦٤ عضوا ، ومعارضة ٨ اعضاء ، بينما امتنع الباقون عن التصويت) · واعتمدت خطة التسوية مع مصر ، كما عرضها بيجن في بيانه في الكنيست (٢) على المبادىء التالية :

« ١ ـ التجريد من السلاح ـ الجيش المصري لن يجتاز ممري الميتلا والجدي·

٢ ـ يبقى اتفاق خفض القوات ساري المفعول على المنطقة الواقعة بين ممري الميتلا والجدي وقناة السويس ·

٣ ـ بقاء المستوطنات الاسرائيلية في اماكنها ، وستكون هذه المستوطنات مرتبطة بالادارة والقضاء الاسرائيليين لفترة انتقالية تستمر سنوات عدة ، وسترابط قوات الجيش الاسرائيلي خلال هذه الفترة على امتداد خط دفاعي وسط سيناء ، مع الاحتفاظ بمطارات ومحطات انذار اسرائيلية ، حتى انسحاب قواتنا على الحدود الدولية ·

٤ ـ ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران ··· » ·

من الملاحظ في هذه الخطة ان بيجن لم يطالب بسيادة اسرائيلية رسمية على اي جزء من سيناء ، واعترف بالحدود الدولية كحدود نهائية بين مصر واسرائيل · وقد اجمعت المصادر الاسرائيلية ، بعد القائه بيانه ، ان بيجن تعهد للسادات خلال لقائه معه بالاسماعيلية باعادة السيادة المصرية على جميع سيناء مقابل السلام الحقيقي · كما واوضح وزير الخارجية موشيه ديان كذلك ،

في مقابلة تلفزيونية معه (٣) بقوله « ... ليس بوسع اسرائيل مطالبة مصر بسيادة اسرائيلية على اجزاء من سيناء ، ولم يسبق لاسرائيل ابدا ان طبقت سيادتها على اي منطقة في سيناء ، ولم تعارض سيادة مصر على شبه الجزيرة » . الا انه من الواضح ايضا ان بيجن اطر هذه السيادة بشروط تتسم بالغموض ، ويمكن لها نسف جوهر السيادة المصرية ، وتحويلها الى سيادة اسمية فقط .

والسؤال الذي يطرح نفسه : ما هو سر « سخاء » بيجن حين اعترف بالسيادة المصرية على سيناء مقابل السلام الحقيقي مع مصر ؟

اقدم بيجن على ذلك تصورا منه انه بذلك يخدم المشروع الاسرائيلي تجاه مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، فقد اعتقد ان متطلبات اللعبة السياسية تستوجب احداث « تنازلات كبيرة » لمصر لدفعها للموافقة على مشروع الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، والعمل من خلال هذا « الطعم » لرسم مستقبل السلام الشامل ، كما ترتأيه اسرائيل ، بالاشتراك مع اكبر دولة عربية في المنطقة ، الا ان الرئيس السادات لم ينجذب نحو الطعم الذي نصبه له بيجن ، حين رفض مشروع الادارة الذاتية الخاص باراض فلسطينية . وقد اعتبر عدد كبير من الاسرائيليين ان الخطأ الاساسي الذي ارتكبه بيجن في تعامله مع المفاوضات ، يكمن في « سخائه » غير المدروس تجاه مصر .

وكان من نتيجة عدم قبول مصر لمشروع الادارة الذاتية ، واستمرارها بمطالبة اسرائيل بالانسحاب من جميع المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧ ، تصليب الموقف الاسرائيلي الرسمي تجاه مستقبل سيناء عن طريق تفسير البنود الاسرائيلية المتسمة بالغموض ، والمتعلقة بالاستيطان والامن . ولذلك اخذت تثير مسألة ضرورة بقاء ثلاثة مطارات حديثة في سيناء لفترة طويلة تحت السيطرة الاسرائيلية ، بالاضافة الى المطالبة ببقاء المستوطنات ، وخاصة تلك الواقعة في شمال سيناء تحت الادارة الاسرائيلية ، مع الاعلان عن عدم استعداد اسرائيل للتخلي عن مستوطنة واحدة ، كما قال رئيس الحكومة مناحيم بيجن عشية اعلان مصر عن وقفها للمفاوضات في « اللجنة السياسية » المصرية الاسرائيلية في القدس : « يجب ان تبقى هذه المستوطنات على ما هي عليه ، ولن نوافق ازاء التجربة التي مرت على الشعب اليهودي في هذا الجيل ، على ان تكون هنالك مستوطنات يهودية دون قوة حماية يهودية ... واذا ما تقرر ازالة هذه المستوطنات ، فانني لن انتظر حتى يأتوا ليقيلوني ، بل سأتوجه بنفسي الى رئيس الدولة » (٤)

واتبعت حكومة اسرائيل تهديد بيجن بالاستقالة ـ ومن الطريف حقا ان يعتمد بيجن في اللعبة السياسية نفس السلاح الذي يلوح به السادات بين الحين

والاخر ـ بنشاط استيطاني في الاراضي المصرية · فعند مطلع العام ، ووسط مفاوضات اللجنة السياسية ، قامت السلطات الاسرائيلية باعمال تمهيد للاراضي في المنطقة الواقعة بين العريش وبير لحفان ، لمدة تزيد عن اسبوع ، حيث قامت بتمهيد عشرين قطعة من الارض ، مساحة كل منها خمسون دونما ، مع الحرص على نشر الانباء عن اعمال التمهيد ، والتكتم على الهدف من ورائها· واتضح فيما بعد ان القصد من وراء ذلك هو اقامة عدد من المستوطنات الصورية في عمق سيناء ، لحمل المصريين على التنازل عن منطقة مشارف رفح ، مقابل تنازل المفاوض الاسرائيلي عن المستوطنات الصورية !

ثم ارفقت حكومة اسرائيل تصرفاتها تلك بقرارين متناقضين · ففي الثامن من كانون الثاني (يناير) قررت عدم اقامة مستوطنات جديدة في سيناء خلال المفاوضات ، واللجوء بدلا من ذلك الى «تسميك» المستوطنات القائمة في مشارف رفح ، اي دعم الاستيطان بزيادة عدد المباني ومضاعفة عدد السكان · كما راح ليكود الحاكم يعلن عن سياسة جديدة تربط بين مبادىء التسوية في سيناء ومشروع الحكم الذاتي في الضفة الغربية ، ككل لا يتجزأ ، اي ان اسرائيل لن تقبل حلا في سيناء يعتمد على المبادىء الانفة الذكر ، اذا لم يكن هذا الحل ضمن « صفقة رزمة » تشمل الاراضي المصرية والفلسطينية معا ·

اذن يمكن القول ان سياسة اسرائيل تجاه الحل مع مصر ، تعتمد على الاعتراف بالسيادة المصرية على جميع اجزاء سيناء ، مع ربط هذا الاعتراف بشروط تجعل من السيادة المصرية سيادة اسمية ، وفق المبادىء الواردة في خطة بيجن ، والتي تخضع للمراجعة الاولى بين الطرفين في عام ٢٠٠١م·

موقف المعارضة

اذا استثنينا موقف الحزب الشيوعي ، راكاح ، نجد ان المعارضة « المبدئية » لمشروع السلام لحكومة التكتل اليميني ، لا تكمن في اوساط التجمع العمالي المعارض ، وانما في الاجنحة المتطرفة داخل الليكود والاحزاب المشاركة له في الحكم ، وكذلك في الهيئات الممثلة لغلاة المستوطنين والتوسعيين التي تدور في فلك الليكود وعلى يمينه · وربما تكون هذه الفئات اكثر التيارات السياسية تجانسا مع نفسها تجاه السلام والتسوية ، وتخشى اكثر من غيرها ان تؤدي عملية السلام والتسوية الى انسحاب اسرائيلي من اراض تعتبرها جزءا لا يتجزأ من « ارض اسرائيل المحررة » · ولذا فانها استقبلت زيارة السادات ـ على الرغم مما تضمنته من مكاسب عظيمة للكيان الاسرائيلي ـ بفتور مصحوب بالتخوف من احتمال حدوث تنازلات اسرائيلية للطرف العربي · وقد تحركت هذه الاوساط قبل ان يطرح بيجن مشروعه امام السادات · فعشية توجه بيجن الى الاسماعيلية ، عقد قرابة مئة شخص من الليكود برئاسة غيئولاه

كوهين وموشيه شمير ، اجتماعا تمخض عن مذكرة موجهة الى بيجن اعربوا فيها عن « الذهول والالم » من الخطة التي تحمل بين طياتها ، حسب قولهم ، « بذور الكارثة لشعب اسرائيل · انها خطوة غير اخلاقية ، واستسلام للعدوان العربي ، وقد تؤدي الى كارثة وليس الى سلام · اننا على اعتقاد ان الرأي القائل بضرورة دفع مناطق ارض اسرائيل مقابل السلام لهو رأي خاطىء من اساسه » · وعندما طرح بيجن خطته في الكنيست للتصديق عليها لم يجد من يرفع صوته ضدها ، غير الحزب الشيوعي وعدد بسيط من بين صفوف الليكود، وكل منهما ، بالطبع ، لمواقفه الخاصة به ·

وكان من نتيجة طرح مشروع بيجن الذي وافقت عليه حكومة الائتلاف ، ان برزت وتبلورت « معارضة بيتية » تجاه التسوية المقترحة · ويكاد لا يخلو حزب او جناح ضمن التشكيلة الحزبية التي تشكل الحكومة الائتلافية من مثل هذه المعارضة · ففي حركة « حيروت » التي يتزعمها بيجن ، قاد المعارضة كل من النائبين غيئولاه كوهين وشموئيل كاتس · وفي كتلة « لعام » المنضوية تحت لواء الليكود ، قاد المعارضة كل من موشيه شمير وتسفي شيلواح · وبلغت حالة الغضب عند الاخير درجة اندفع معها الى تقديم استقالته من ادارة الليكود · وفي كتلة الحزب الديني القومي (المفدال) تزعم المعارضة النائب الحاخام حاييم دروكمان · اما في كتلة الحركة الديمقراطية للتغيير (داش) فقد تزعم المعارضة هناك مئير زوريع الذي لم يجد امامه سوى الاستقالة من الحركة احتجاجا على موقف حزبه (الى جانب اسباب اخرى) · وسعت هذه التيارات الى خلق مجموعة ضغط داخل الكنيست ضد سياسة الحكومة تجاه التسوية ، بيد ان فاعلية ضغطها لا زالت محدودة · ومن المستبعد ان تشكل هذه المعارضة خطرا حقيقيا على الائتلاف الحكومي ، ولكنها مع ذلك تعتبر بمثابة مؤشر لامكانية بروز مراكز قوى داخل التنظيمات اليمينية ، يمكن لها ان تعمل على تفتيت مركزية تلك الاحزاب ، كما حدث لحزب العمل خلال السبعينات حين ظهرت « المنابر » داخله بكثرة ، وامعنت في تمزيق الحزب من الداخل · وليس هنالك شك بأن ظهور مثل هذه المعارضة قد اثر ، ولو بشكل محدود ، على قيادة بيجن للحزب ، وقد جرب بيجن قوته تجاه المعارضة « البيتية » (داخل حركة حيروت) عندما جرى التصويت في مركز الحركة لاختيار احد اعضائها لشغل منصب وزير في الحكومة · وجرت المنافسة بين حاييم لنداو ، وشموئيل كاتس ، فوضع بيجن كل ثقله الى جانب المرشح الاول ، بينما وضع الجناح المعارض لسياسته تجاه التسوية مع مصر ، ثقله الى جانب المرشح الثاني ، فنال مرشح بيجن ٦٠٪ من الاصوات بينما نال مرشح المعارضة ٤٠٪ · الا انه ينبغي ان لا يغيب عن البال ان النسبة الكبيرة التي تصدت لبيجن ، ليست ناجمة كلها عن سياسته تجاه التسوية فقط ، بل عن اسباب

اخرى متعددة ، اهمها معارضة سياسته او التحفظ تجاهها ٠

ويعتبر شموئيل كاتس ــ احد قادة اتسل سابقا ــ المعبر عن « فكر » هذه المجموعة ، والذي يتلخص كما يقول في مقال له (٥) في ان « لا يوجد حق مطلق علي ارض اسرائيل سوى حق شعب اسرائيل ، اما حقوق العرب فانها تتمثل في المواطنة الكاملة اذا ما ارادوا ذلك » ٠ وتجد هذه المعارضة الاطمئنان في اتساع الهوة بين الموقفين المصري والاسرائيلي ، ولا ترى والحال كذلك ، ضرورة القيام بنشاطات محمومة ضد سياسة الحكومة ، او كما تقول غيئولاه كوهين (٦) : « ربما لا نحتاج الى استخدام المعارضة ضد مشروع السلام ، لانه اتضح ان بيجن لن يقدم تنازلات اخرى في خطته ، وسيشكل السادات معارضة للمشروع ، واذا لم يتنازل السادات ، فان بيجن هو الذي سيعارض »٠

الى جانب المعارضة « البيتية » هنالك ايضا معارضة الهيئات السياسية التي تدور في فلك الليكود وعلى يمينه ، مثل جوش ايمونيم وحركة ارض اسرائيل الكاملة ومنبر « فيرد » ، التي تتشكل من غلاة التوسعيين والاستيطانيين ٠ وقد اعتمدت هذه المعارضة في تصديها لسياسة الحكومة تجاه التسوية اسلوب عقد الاجتماعات الاحتجاجية والتظاهرات ٠

وهنالك معارضة من نوع اخر تتمثل في مجموعة المستوطنين في المناطق العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ ٠ ويختلف هذا النوع من المعارضة عن تيارات المعارضة السابقة ، بسبب الانتماءات السياسية المختلفة لهؤلاء المستوطنين الذين يتوزعون في ولاءاتهم على مجموعة الاحزاب الصهيونية من عمالية ويمينية ٠ الا انه من اللافت للنظر ان المستوطنين المنتمين الى الاحزاب العمالية يبدون معارضة اكثر واشد من احزابهم تجاه التسوية ، وكذلك الامر بالنسبة للمنتمين الى التيارات اليمينية ٠ وقد افصح هؤلاء عن مواقفهم بالاجتماعات الاحتجاجية التي جرت في مشارف رفح وغور الاردن وفي كريات اربع ٠ ومن الجدير بالذكر ان قادة حزب العمل المعارض ، مثل غولدا مئير وبيريس ، شمروا عن سواعدهم اثناء المفاوضات المصرية الاسرائيلية ، وتوجهوا نحو المستوطنين في الاراضي العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ ، داعين اياهم للبقاء « الى الابد » في مستوطناتهم ٠ واحتفل هؤلاء القادة في السابع من كانون الثاني (يناير) الماضي بتدشين مستوطنة ناحال حوليت في مشارف رفح وتحويلها الى كيبوتس مدني ، بينما انهمك قادة التكتل اليميني بتهدئة روع المستوطنين ، من خلال الادلاء بتصريحات تقول انه لا يمكن التنازل عن مستوطنة واحدة ٠

اذن يمكن القول ان المعارضة « البيتية » الرافضة للتسوية قلبا وقالبا ، ليست في عجلة من امرها ٠ فمن خلال مراهنتها على الهوة الكبيرة بين الموقفين المصري والاسرائيلي ، تنشط بالتصدي لسياسة الحكومة ، مع الحرص على

عدم تجاوز الحد الذي يؤدي الى احتمالات الانشقاق · ومع ذلك فانها اوضح بكثير من المعارضة الاخرى ، والاهم ، التي سنركز الحديث حولها ·

موقف التجمع العمالي المعارض

يعتبر التجمع العمالي المعارض الذي يتشكل من تحالف حزبي العمل ومبام ، الكتلة السياسية الرئيسية والوحدة التي يمكن ان تكون بديلا او خلفا لليكود اليميني الحاكم ، فضلا عن كونها الكتلة السياسية الاساسية التي قادت البيشوف اليهودي والدولة الاسرائيلية حتى السابع عشر من ايار (مايو) ١٩٧٧ ، حين حدث الانقلاب السياسي ، واسفرت الانتخابات عن سقوط التجمع العمالي وفوز الليكود · وقد اعتبر الكثيرون ذلك اليوم المشهور بمثابة الحد الفاصل بين **الاعتدال** السياسي **والتعنت** السياسي في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين ، وذهب البعض انطلاقا من هذه الرؤيا الى تأبين « التسوية »، وهذا يقودنا الى السؤال ، كيف ينظر التجمع العمالي الى التسوية؟ ويمكن الوقوف على ذلك من خلال الاحاطة بنظرة التجمع تجاه « مشروع السلام » الاسرائيلي الوارد في بيان بيجن عند اواخر العام الماضي في الكنيست · فعندما طرح المشروع للتصويت عليه ، لم يرفع احد من اعضاء التجمع صوته ضده او الى جانبه ، اي ان كتلة التجمع التزمت « التحفظ » تجاه المشروع · وقد عادت الكتلة بعد وقف المباحثات السياسية بين مصر واسرائيل ، واثناء طرح الثقة بالحكومة ، الى تبني عدم رفع اليد سلبا او ايجابا ، والتزمت بمبدأ « التحفظ » مع اشفاع هذا التحفظ بتحميل الليكود ثلث اسباب فشل المفاوضات وتحميل مصر عبء الثلثين الباقيين ·

ولعله من المفيد هنا الوقوف على سر التحفظ الذي يعتمده التجمع العمالي المعارض · لقد فسر زعيم التجمع بيريس ذلك بقوله (٧) « لو تأكدنا من ان اقتراحنا سيقبل في حال سقوط اقتراح الليكود ، لصوتنا ضده · ولكن بما اننا اعتقدنا ان معارضة الليكود تؤدي الى فشل المفاوضات ، فقد ارتأينا انه من الافضل ان يطرح الليكود مشروعا سيئا من ان تظهر اسرائيل كمفشلة للمفاوضات · ولم يكن بوسعنا التصويت الى جانب المشروع لاننا نعارضه ، ولكن ليس بوسعنا التصويت ضده لاننا نقف الى جانب السلام » · ويبدو ان تخوف رئيس المعارضة من فشل المفاوضات او توقفها ، ورغبته في استمرارها ومواصلتها ، هما اللذان دفعاه بعد اعلان مصر عن وقفها لمفاوضات اللجنة السياسية في القدس ، الى الذهاب الى سالسبورغ لمقابلة الرئيس السادات واقناعه باعادة المفاوضات ·

ولكن ما الذي يريده حزب العمل من المفاوضات ؟

في الخامس من كانون الثاني (يناير) واثناء سير المفاوضات بين مصر

واسرائيل ، عقد المكتب السياسي لحزب العمل جلسة تدارس فيها مشروع السلام لحكومة الليكود ، وانتقده فيما يخص المستوطنات القائمة خـــارج « الخط الاخضر » · وتقرر ان يقوم الحزب بنشاط جماهيري لمطالبة الحكومة « بذل كل جهد سياسي بهدف ان تبقى المستوطنات التي اقيمت خارج الخط الاخضر ، وفق القرارات الرسمية ، في حال استتباب السلام ، داخل اراضي دولـــة اسرائيل ، وفي حدود قابلة للدفاع » ·

وفي هذا الاجتماع اعاد ابا ايبن سبب « نقدنا للحكومة » الى كونها « لم تعمل لضمان بقاء المستوطنات تحت الحكم الاسرائيلي » معتبرا ذلك بمثابة « عطاء دون اخذ » · اما يوسي سريد فقد قال « لا اقول ان مشروع الحكومة هو مشروع استيطاني ، ولكن يجب النضال من اجل ان تبقى المستوطنات فـــي اراضينا » · وحذا مئير زرحي الرئيس السابق لحزب العمل ، حذو زميليه (هؤلاء الثلاثة من فئة الحمائم في الحزب) حين قال ان « خطة التجمع العمالي تعتمد على وجود دولة يهودية واستيطان ليس وسط التجمعات العربية ، بـــل في المناطق الخالية · وعلى ضوء ذلك اقيمت المستوطنات ، ولذا يجـب النضال من اجل بقائها تحت السيادة الاسرائيلية » (٨) ·

وقد وجد قادة التجمع العمالي انفسهم نتيجة موقفهم هذا في تنافس مـــع الليكود حول موضوع الاستيطان · وربما كان هذا الواقع هو الذي دفع السادات للادلاء بتصريح « متشدد » تجاه الاستيطان في مشارف رفـــح حين قـــال « فليحرقوها » ، اي المستوطنات ، وعاد وخفف من حدة تصريحه وقـــال « فليحرثوها » ، على اثر وصف بيجن له بـ « نيرون » ·

الا ان حزب العمل يرى ان المشكلة لا تتمثل في الاستيطان بقدر ما تتمثل فـــي استعداد حكومة التكتل اليميني لاعادة السيادة المصرية على شبه جزيرة سيناء، ذلك ان هذا « الاستعداد » يمكن له ان يحول دون الاستيطان الاسرائيلي هناك· وقد عبر رئيس الحزب شمعون بيريس عن ذلك ، حين انتقد في بيانه فـــي الكنيست (٩) عدم تمسك الحكومة في مشروعها بمناطق معينة فـــي سينـــاء ، موضحا انه « يجب ان نذكر ان هنالك مكانا ، حسب القرار ٢٤٢ ، لتعديلات حدودية من اجل خلق حدود آمنة · ومع الاخذ بعين الاعتبار حجم منطقة سيناء، ما الذي حال دون الحكومة في المطالبة بتعديلات لا تثير الضجـــة عـــلى امتداد الحدود الدولية ؟ » · ويرى بيريس ان هذه التعديلات ، التي لا تثيـر الضجة ، يمكن لها ان تحتل « شريطا ارضيا بعرض ٢٠ ـ ٣٠ كم الى الغرب من الحدود الدولية [اي داخل الاراضي المصرية] يمنح طائراتنا مجالا ، ومستوطناتنا وتشكيلاتنا العسكرية اراض » ·

وعاد بيريس واوضح انه على استعداد لاعادة السيادة المصرية على ٩٨٪

من سيناء (١٠) ، واخذ يركز بعد وقف المفاوضات على ان خطأ الحكومة يتمثل في « التنازلات الكبيرة » في سيناء في بداية المفاوضات · ففي مقابلة معه (١١) اعلن انه يعتقد « ان الحكومة كانت على خطأ في تقويمها للوضع · لقد اعتقد رئيس الحكومة انه من الممكن بواسطة بدء المفاوضات من النهاية ، انهاء المفاوضات بسرعة ، وخاصة في سيناء · الا ان المشكلة هي : عندما يبدأون من النهاية قد يصلون الى نهاية المفاوضات وهي في بدايتها · ان الفرضية القائلة بأن التنازلات الكبيرة في سيناء ستخلص الحكومة من مفاوضات سريعة في يهودا والسامرة ، غير صحيحة ·ومن المفهوم ان لهذا الخطأ جذورا ايديولوجية· وكذلك فان مسألة المستوطنات لم توضح فورا من جانب رئيس الحكومة ، وقد اتضح ان القيام بتسويات تحت عنوان الدفاع اسهل منه تحت عنوان «الاستيطان» · انني اتهم الحكومة التي بدأت الحوار ، ولكن يجب الامتناع عن الدخول الى المضمون بسرعة كهذه » ·

من الواضح ان نقد بيريس منصب بالاساس على موافقة الليكود على الانسحاب الى الحدود الدولية ، ولكن لو قدر للتجمع العمالي الفوز في الانتخابات الاخيرة ، وحل السادات ضيفا على بيريس ، بدلا من بيجن ، عارضا عليه السلام كما عرضه على زعيم التكتل اليميني الحاكم ؛ فما هو رده على ذلك بالنسبة لسيناء ؟ حول ذلك يجيب زعيم المعارضة العمالية في مقابلة صحفية اخرى (١٢) « قبل كل شيء ما كنت التزم بانسحاب الى الحدود الدولية ، لانه في اللحظة التي تصدر فيها سلفا موافقة على هذا الانسحاب ، يأتي السادات ويعلن انه يرغب في سلام كامل ، فتنتهي ادعاءاتك · كنا سنعثر على طريق وسط لانسحاب الى حدود آمنة » ·

واذا كان بيريس « لا يلزم » نفسه بالانسحاب الى الحدود الدولية ، حتى مقابل الاعتراف ومعاهدة السلام ، فان ابا ايبن وزير الخارجية الاسبق ومن اقطاب حزب العمل المعارض ، يرى هو الاخر ان الحكومة اخطأت في تسرعها بابداء الاستعداد للانسحاب الى الحدود الدولية ، ويفضل ان تعتمد « معاهدة السلام على اساس الحدود السابقة ، ومتطلبات امن اسرائيل ، واتفاق خاص في شرم الشيخ » · وهذه الصيغة بنظر ابا ايبن افضل من الصيغة التي طرحها بيجن · ويكمن « الافضل » هنا في تعبير « على اساس » الذي يمكن من خلاله ازالة معالم الحدود الدولية وطمسها لصالح اسرائيل · ويوضح ابا ايبن سبب تفضيله لهذه الصيغة بقوله انها « تبدو لي افضل من تلك التي تنتهجها الحكومة اليوم ، ذلك ان تعبير « على اساس » مدروس ، وجاء لتمكين احداث تعديلات معينة هنا وهناك · كما ان اضافة متطلبات اسرائيل الامنية تعطي غطاء اخر لهذه الامكانية البسيطة الحيوية · وينبغي على الحكومة الان الاخذ بعين الاعتبار الواقع الذي طرأ في منطقة مشارف رفح ، ليس فقط كوقائع مادية ، بل

ايضا كحقائق انسانية عميقة · فبعد ان رددت اسرائيـــل طوال عشر سنوات ونصف الادعاء القائل بأن مشارف رفح تغلق محور الغزو الكلاسيكي الـــى اسرائيل ··· فانه من غير المعقول الان التغاضي عن احد ادعاءاتنا الامنيـة القليلة التي حظيت بتقدير ايجابي من جانب اطراف ثالثة ··· » (١٣)

من الواضح ان الاتفاق الذي يقدر له الاعتماد « على اساس » الحـــدود السابقة يعني عند ابا ايبن ضم منطقة مشارف رفح وربما مناطق اخرى الـى اسرائيل ·

واذا كان ابا ايبن قد انحى باللائمة على الحكومة لعدم اعتمادهـا كلمـــات مطاطية غامضة مبهمة ، وفق اصول « الدبلوماسية اللبقة » التي يتقنها وزير الخارجية الاسبق ، لتمكين اسرائيل من التسلل من خلال تلك الكلمات لنهش سيادة اراضي الغير ، فان كلا من يغئال الون وحاييم بارليف ، من قيادة حزب العمل ، يريان ان حكومة التكتل اليميني اخطأت في تنازلها عن شبه جزيرة سيناء ، وكان يجب عليها الاصرار على عدم التنازل عن اماكن معينة منها ، ولكن ليس من خلال اعتماد مقولة « على اساس الحدود الدولية » بل على أساس امن اسرائيل · فبارليف ، الذي قاد الحملة الانتخابية لكتلة التجمـــع العمالي ، يرى انه « لا يجوز لاسرائيل ، كما لا يجوز لاية حكومة التخلي عن مشارف رفح · فهذه منطقة حيوية لاسرائيل يستحيل التقليل من اهميتها لسببين اساسيين وحيويين : الاول هوان المشارف تفصل بين سيناء وقطاع غزة وتحول دون الامتداد المتواصل بين القطاع وسيناء ··· والثاني لا يقل اهمية : قاعدة اسرائيل الجوية في المشارف وهي ذات اهمية كبيرة جدا لمتطلبات توزيـــــــع طائرات سلاح الجو الاسرائيلي » (١٤) · اما يغئال ألون فقد بنى نقده لسياسة بيجن ، في اجتماع لحزب العمل في نتانيا ، على اساس « تهوره حين تسرع وتنازل بسرعة عن جميع سيناء ، بما في ذلك المستوطنات اليهودية ، انطلاقا من الافتراض الخاطىء بأنه سيحصل بواسطة ذلك على قبول مصر لخطته بالنسبة ليهودا والسامرة » · واعرب ألون عن اعتقاده بأن الحكومة قد « ارتكبت ظلمـا بحق المستوطنين في مشارف رفح وخليج شلومو [العقبة] ··· » وركز على ان هؤلاء المستوطنين يقومون برسالة قومية « ونضال سياسي لتحقيق حدود قابلة للدفاع » (١٥) ·

وقبل الانتقال الى اراء وسط حزب مبام شريك حزب العمل في التجمـــع العمالي ، يجدر بنا الوقوف قليلا حول فكرة ترددت وسط التجمع العمالـي وعند بعض الاطراف في حكومة التكتل اليميني الحاكم ، تمثل في مبادلـــة الاراضي مع مصر ·

فكرة استبدال الاراضي

وسط الجدل حول « تهور » بيجن بوعده للسادات في لقاء الاسماعيلية باعادة السيادة المصرية على كل شبه جزيرة سيناء ، برزت فكرة استبدال المناطق او الاراضي ، وهي تهدف بالاساس الى ازالة نتائج « التهور » المذكور مع الحرص على ان لا يؤثر ذلك على مبدأ السيادة المصرية الذي اعترف به بيجن ! كيف ؟

ينتمي اصحاب هذه الفكرة الى مدرسة التجمع العمالي او خريجي هذا التجمع ، مثل امنون روبينشتاين ، احد اقطاب الحركة الديمقراطية للتغيير (داش) المشاركة في حكومة التكتل اليميني • وقد ارتأينا معالجة هذه الفكرة التي يتبناها زعيما « داش » اكثر من غيرهما ، في مجال الحديث حول المعارضة العمالية وليس في مجال الحديث حول سياسة حكومة الليكود ، لسببين : (١) عدم تبني الفكرة من قبل التيارات اليمينية ، (٢) حقيقة كون زعماء داش اقرب من ناحية البنية الفكرية الى التجمع العمالي منهم الى الليكود ، على الرغم من اشتراكهم في حكومة التكتل اليميني • فزعيما الحركة ، ينتميان تاريخيا الى مدرسة حزب العمل ، وكان احدهما ، امنون روبينشتاين ، من الوجوه البارزة في الحزب ، ومن جناحه الحمائمي ! بينما كان يئغال يدين مقربا اليه • وسنقف هنا على وجهة نظر كل من ابا ايبن وروبنشتاين حول الموضوع •

يرى ابا ايبن في مقال له (١٦) انه في حال رفض مصر التنازل من طرف واحد عن اجزاء معينة من سيناء « سيكون من المستحسن فحص امكانية قيام مثلث مكتظ بالمستوطنات في مشارف رفح كجزء من ارض اسرائيل ، مقابل تنازل عن قطعة صغيرة داخل حدودنا ، **لا تزيد ولا تقلل** ، من الناحية الامنية الاستيطانية » • ويعتقد ايبن ان استبدال المناطق ولو بشكل رمزي « لا يتعارض ومبدأ السيادة المصرية الذي التزمت به الحكومة فيلقاء الاسماعيلية»•

ولعله من المفيد والطريف هنا الوقوف على معالجة امنون روبنشتاين في مقال له (١٧) عن قطعة الارض التي ستتنازل عنها اسرائيل وفق مبدأ التبادلية والتي وصفها ابا ايبن بأنها « لا تزيد ولا تقل ••• » •

يعارض روبينشتاين تثبيت الحدود الدولية بين مصر واسرائيل كحدود دائمة ، بحجة ان ذلك لا يمنح اسرائيل بعض المناطق الحيوية لامنها ، كما ويعارض احداث تعديلات على الحدود لصالح اسرائيل فقط ، ولان ذلك بمثابة « خدش للكرامة الوطنية المصرية » ، ولذا فانه يرى ان الحل الامثل يكمن في احداث تعديلات على الحدود لصالح الطرفين ! كيف ؟

تحصل اسرائيل على منطقة مشارف رفح وقطاع بالقرب من ايلات ، مقابل

تنازلها عن « منطقة ما في المنطقة الوسطى من الحدود مع سيناء » · الى هنا يمكن ان يكون الطرح « معقولا » ، الا ان « العبقرية » تجلت في الاشتراط المشفوع بهذا الطرح ، وهو « ليس من الضروري ان يقوم التبادل على اساس المساواة في قطع الارض المتبادلة ، فمن الممكن والضروري ان يقوم على اساس التساوي النسبي ، اي ان تكون قطع الارض المتبادلة مرتبطة بشكل مباشر مع حجم الدولة التي تعطيها ، وليس على اساس التساوي الميكانيكي بين هذه وتلك » · ويضيف روبينشتاين موضحا « وبهذا الخصوص ، يجدر بنا ان نذكر ان مشارف رفح تشكل ٥٪ من مساحة مصر ! ومن حق اسرائيل **الصغيرة** ، المطالبة باعتماد مبدأ التبادلية على التباين الكبير في مساحة كل من الدولتين ، وعلى مصر الاخذ بعين الاعتبار الفارق الكبير بين تنازل اسرائيل وتنازل مصر عن هذه المنطقة من ناحية الحجم » · وتجدر الاشارة الى ان روبينشتاين يعارض تطبيق مبدأ التبادلية في الحدود الاخرى · كما وانه تراجع واضفى على مفهومه لمبدأ التبادلية نوعا من الكرم ، حين عرض على مصر ان يتم الحساب ، ليس مع حجم مساحة مصر ككل ، بل مع حجم سيناء فقط ، ولو افترضنا جدلا ان مصر تمشت مع مبدأ التبادلية حتى وفق شروط روبينشتاين ، واختارت منطقة ، ولنقل ان الاختيار وقع على منطقة ايلات باعتبارها منطقة حيوية جدا لمصر ، حيث تربطها بالجزء الشرقي من العالم العربي ، وتجعل منها حلقة وصل بين مشرقه ومغربه ، فليس هنالك شك بأن روبينشتاين ، لن يكتفي حينئذ بالكفر بمبدأ التبادلية بل بلعنه ايضا !

موقف مبام من التسوية مع مصر

يعتبر حزب مبام شريك حزب العمل في التجمع العمالي في نظر الكثيرين ، الجناح « المعتدل » في التشكيلة العامة للتيارات السياسية الصهيونية · كما وينظر اليه الكثيرون من بين صفوف التيارات اليمينية ، كيسار متطرف · وليس هنالك شك بأنه الحزب الوحيد في مجموعة الاحزاب الصهيونية الذي يحرص على اقامة علاقات مع الاحزاب والحركات اليسارية العالمية ، وذلك بهدف « تجميل » الصهيونية في نظر تلك التيارات ·

والسؤال المطروح ، هل تختلف نظرة مبام ـ الجناح المعتدل في الصهيونية ـ تجاه التسوية مع مصر ، عن وجهات النظر الاخرى ، اليمينية والعمالية ؟ الحقيقة هي ان مبام يحمل في جوفه الواسع ، معظم الطروحات السابقة للتكتلين الاساسيين السائدين في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين ، وتكمن ميزته في اجترارها وتليينها بشكل يضفي عليها مسحة من « الاعتدال » وسط التغني لدرجة الاسفاف بالسلام · بيد ان مسحة « الاعتدال » هذه تزول عندما يجد الحزب نفسه مضطرا لاتخاذ موقف مصيري ، لتحل محلها مسحة تتسم بالغموض ، ومؤطرة بالتطرف ·

هكذا هو حزب مبام ماضيا وحاضرا · ففي الماضي ، وكمثل فقط ، انتفض الحزب عقب العدوان الثلاثي على مصر ضد الرأي العام العالمي المطالب بالانسحاب ، رافعا شعار « لن نخرج من غزة » · وفي الوقت الحاضر ، وخاصة عندما يجد نفسه مضطرا لاتخاذ موقف مصيري ، يقوم بنفس الدور · ففي اعقاب الحديث عن مصير مستوطنات رفح ادلى سكرتير مبام مئير تلمي بدلوه واكد على ان « المستوطنات التي اقيمت في حينه في مشارف رفح ، حسب قرار الحكومة يجب ان تبقى ، ويجب عدم وقف تطويرها » (١٨) · كما ان مئير يعري، وهو من ابرز اقطاب الحزب ويلتقي في كثير من الحلول مع «المعارضة البيتية» في الليكود ، يرى ان الحل مع مصر يجب ان يعتمد على فرض السيادة الاسرائيلية على منطقة مشارف رفح ضمن عملية « التعديلات الطفيفة » على الحدود ، وايجاد ترتيبات أمنية في شرم الشيخ ·

وفي اعقاب وقف مباحثات اللجنة السياسية المصرية ـ الاسرائيلية ، ثار الحزب وهاج ضد وقف المفاوضات ، وجمع انصاره للتظاهر امام الكنيست ، وهم يرفعون شعارات بهذا المعنى ـ من بينها « نعم لحدود الامن ، لا لنسف المفاوضات » ـ وذلك خلال النقاش الدائر في الكنيست حول سياسة اسرائيل تجاه التسوية · وفي الوقت نفسه كان احد زعماء مبام ، الوزير السابق فيكتور شمطوف يلقي خطابا داخل الكنيست ينتقد فيه الحكومة ويحذرها قائلا « اذا لم تبذل الحكومة قصارى جهدها لاستئناف المفاوضات ، يحتمل ان تطرأ ديناميكية سلبية تغلق نهائيا الباب امام السياق السياسي » · واضاف « حقا ، هنالك هوة كبيرة بين موقفي مصر واسرائيل تجاه سيناء ، ولكن يمكن ردم الهوة بين الموقفين » · كيف ؟

« بما ان حكومة بيجن اعترفت بالسيادة المصرية على سيناء ، يتوجب على مصر الموافقة على تعديلات في الحدود حيوية بالنسبة لاسرائيل ، على شكل استبدال مناطق ، او بشكل اخر » (١٩) ·

والحقيقة ان المرء يجد نفسه شبه عاجز عن تفسير اسباب التظاهرة التي تتهم الحكومة الاسرائيلية بدفع مصر لوقف المفاوضات ، اللهم اذا كان هؤلاء المتظاهرين ينتمون الى حزب اخر غير حزب فيكتور شمطوف الذي يدعو السادات للتنازل عن « سيادة » منحها له بيجن ! واذا ما ارجعنا سبب التظاهرة الى رغبة الحزب في استمرار مفاوضات السلام « الى الابد » بين مصر واسرائيل ، فهل يعقل ان تستمر المفاوضات حسب شروط شمطوف اكثر مما استمرت حسب شروط بيجن ؟ واذا ما اخذنا بعين الحسبان ، ان هنالك فئة من مبام ، مستعدة لتقول للسادات ، وتنتقد بيجن لعدم قوله ذلك له، ان اسرائيل « على استعداد للتنازل عن قطاع غزة مقابل ان تبقى بأيدينا منطقة مشارف

رفح » يتضح لنا مدى ما يحمل جوف هذا الحزب من تناقضات ورغبات مرتعشة تصل الى درجة السخف ٠

ذكرنا ان حزب مبام درج على تغليف مطالبه ومواقفه السياسية بالتوق الى السلام والتغني به ، وخير مثال على ذلك مقال يعقوب حزان ، احد شيوخ الحزب ودهاقنته ٠ ففي مقاله (٢٠) تحت عنوان « ضوء احمر على المفترق » يعرب حزان عن اعتقاده الراسخ انه « لا شيء في نظري اسمى من السلام » والسلام حسب رأيه هو جوهر هذا الوجود ٠ ولا شك ان صورة المهاتما غاندي تأخذ طريقها لترتسم في ذهن المرء وهو يقرأ هذا الكلام حول السلام ٠ بيد ان الصورة ما تلبث ان تزول بسرعة لتحل محلها صورة اخرى مغايرة تماما ٠ ولكن ما هو السلام الذي يريده حزان ؟ اعتبر حزان « الخطأ الذي لا يغتفر لمناحيم بيجن » استعداده لاعادة السيادة المصرية على سيناء بغرض تمرير مشروع الحكم الذاتي في الضفة الغربية دون ان يكون متيقنا من قبول السادات للمشروع ٠ ويكشف حزان النقاب عن انه وافق على مشروع بيجن بالنسبة لسيناء على اساس انه يبقي المستوطنات حتى عام ٢٠٠١م لتخضع حينذاك « للمراجعة » فقط ٠ « في حديثي مع اعضاء مبام وحزب العمل ادعيت ان امامنا فترة ٢٥ سنة ، واذا ما عرف الشعب اليهودي كيف يستغل هذه الفترة بحيث يصبح بعد ٢٥ عاما عدد المستوطنين اليهود في مشارف رفح ١٠٠ر٠٠٠ ـ ١٥٠ر٠٠٠ ، فان الواقع هو الذي سيقرر حينئذ ٠٠٠ ولن تقاتل مصر من اجل اعادة هذه المنطقة المكتظة بالمستوطنين اليهود ٠٠٠ ولكن اتضح مع مرور الوقت ان هذا الافتراض ليس سليما ، فالسادات مصر على موقفه » ٠ وامام اصرار السادات على الغاء المستوطنات ، يجد حزان ان لا مناص من السير في طريق اخر : امن اسرائيل ٠ ووفق ذلك يمكن الابقاء على المشارف والمستوطنات معا ، ذلك ان « مشارف رفح هي بمثابة الحزام الامني الحيوي بالنسبة لاسرائيل ٠ الى هذه المنطقة عدنا وخضنا حروبا ، وروى مقاتلونا هضابها بدمائهم ٠ انها حيوية لامن اسرائيل بقدر حيوية ممري الميتلا والجدي لامن مصر ٠ وعندما تكون الصحراء الممتدة بينها وبين ممري الميتلا والجدي مجردة من السلاح ، فان امننا سيترسخ ، ويترسخ امن السلام » ٠

واذا ما عدنا الى ايمان حزان بأن « لا شيء في نظري اسمى من السلام » ، لن نستطع التخلص من اصبع الاتهام البارز وسط مشارف رفح المصرية والموجه ضد حزان بشكل خاص وسياسة مبام بشكل عام ٠

ونجد هنا من المفيد الوقوف على نظرة مبام من خلال الاحاطة بفكر مردخاي بنطوف ، احد قادة الحزب الذي اتهم ، كما ورد معنا سابقا ، الليكود بـ « الذهنية المهجرية للبائع المتجول اليهودي ، الذي يجد كبرياءه في خداع

الاغيار ، ويحلم في الحاق الاذى بهم » · فبنطوف يتحدث في مقال له (٢١) عن موقفه تجاه المفاوضات بالقول : « انني اقف الى جانب جميع الجهود الكبيرة للحصول على افضل حدود يمكن الحصول عليها ، شريطة ان لا ينضم الينا سكان عرب ، بحجم كبير ، وان لا تفشل المفاوضات الجارية حول السلام » ·

ولا يعارض بنطوف اقامة مستوطنات في المناطق العربية المحتلة ، الا انه ينتقد الحكومة في اختيار الزمان والمكان ، وافتقارها الى ما اسماه بـ «اللياقة» لادارة المفاوضات حول السلام ، ويرى ان فشل الحكومة ينبع من « الفهم القائل بامكانية خداع الاغيار » · وتمثل ذلك حسب رأيه بابداء حكومة بيجن استعدادها للانسحاب من سيناء حتى الحدود الدولية ، للوصول الى اتفاق منفرد مع مصر، لتحظى من خلاله بالسيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة · ويعتقد بنطوف ان الحكومة تسرعت فيعرضها هذا على السادات ، اعتقادا منه انه كان من الممكن في حال توفر لياقة وقدرة على ادارة المفاوضات ان يتخلى السادات عن بعض المناطق في سيناء · « كان من الممكن اذن التوصل الى اتفاق معه حول نفس نسبة ٢٪ التي تشكل مشارف رفح ونقاطا اخرى ، والتي يكتفى بها حتى ابطال الحدود القابلة للدفاع ، مثل بيريس ، لولا « المفاهيم » التعيسة والمعالجة الفاشلة للحكومة » · ويستطرد بنطوف : « انني اؤمن بان لا يزال من الممكن التوصل الى اتفاق مع مصر حول تعديلات على الحدود في سيناء ، تشمل مشارف رفح ، وترتيبات على الاقل لفترة طويلة في شرم الشيخ ، ومنطقة ايلات ··· يمكن ان نقترح على المصريين (صفقة رزمة)ونقول للسادات : اذا كنت انت معنا الى هذه الدرجة بمساعدة الفلسطينيين ، سنقترب نحوك حول هذا الموضوع ، في حال اقترابك منا في قضية حدود سيناء » ·

ويبدو ان مردخاي بنطوف الذي يضيق ذرعا بـ « الذهنية المهجرية للبائع المتجول اليهودي » تسيطر على مخيلته ذهنية **الصهيوني الرأسمالي الكبير** ، فهو يتحدث عن « امكانية ثانية لحل مشاكلنا الامنية في حدودنا مع مصر » · وتعتمد فكرته على احداث تزاوج بين ما يسميه بـ « الكمية العربية » و«النوعية الاسرائيلية » · ولم يجد مكانا لهذا التزاوج افضل من المناطق الصحراوية المصرية في سيناء الواقعة على امتداد الحدود الدولية « حيث قوة العمل المصرية ، والتكنولوجيا الاسرائيلية والمال العربي (بترو دولار) مع العبقرية اليهودية » ·

في نهاية حديثنا عن موقف التجمع العمالي بجناحيه تجاه التسوية مع مصر ، تجدر الاشارة هنا الى موقف الجمهور الاسرائيلي تجاه ما يمكن التنازل عنه في سيناء مقابل اتفاق سلام « ضعيف » مع مصر ، وذلك من خلال نتائج

استقصاء للرأي العام اجراه معهد البحوث الاجتماعية والتطبيقية التابع للجامعة العبرية في القدس · فقد تبين من نتائج الاستقصاء (٢٢) ان ٧٠٪ يعارضون اعادة شرم الشيخ ، و٨٠٪ يعارضون اعادة جزء كبير من سيناء او معظمها الى مصر مقابل معاهدة سلام ·

ربما يتبادر الى الاذهان بعد الاحاطة بموقفي كل من التيارين الاساسيين في « المجتمع الاسرائيلي » تجاه التسوية مع مصر ، السؤال ، ايهما اكثر « اعتدالا » او اشد « تطرفا » تجاه هذا الموضوع ؟ لنترك الاجابة على هذا التساؤل لوزير الدفاع الاسرائيلي عيزر فايتسمان ، الذي رد على السادات اثناء اجتماعه به في شهر ابريل الماضي عندما اشتكى الاخير من ان بيجن يشكل عقبة امام السلام وان ديان « يتحدث اكثر من اللازم » ، بقوله ـ وفق ما ذكره الكاتب الاسرائيلي الواسع الاطلاع يوسف حماريف (٢٣) ـ موجها كلامه الى الرئيس السادات : « عليك ان تعرف سيدي الرئيس ان بيجن هو الند الوحيد لك في المفاوضات · لقد مرت ٣٠ سنة دون مفاوضات ، وهو الوحيد القادر على تسليم البضاعة اليك ، واذا كنت تعتقد غير ذلك ، فانك لا تحكم عليه بشكل سليم » ·

ولكي يكون حكمنا نحن سليما ، من الافضل لنا عدم التسرع في الاجابة ، ومن المستحسن اصدار الحكم ، بعد وقوفنا على كيفية تعاطي التيارين الاساسيين مع « البضاعة » الاخرى في الاراضي الفلسطينية عن طريق الحكم الذاتي ·

مشروع الحكم الذاتي

يعتمد مشروع الحكم الذاتي ، الشق الثاني من مشروع بيجن ، على ٢٦ بندا ، تحدد مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة خلال فترة خمس سنوات · ومن اللافت للنظر ان المشروع مليء بالبنود الجوفاء التي لا تحمل معنى ، الا التخفيف من حدة المعاني الاحتلالية البشعة الواردة في بعض البنود والتستر عليها (انظر نص المشروع في « شؤون فلسطينية » ، عدد ٧٦ ، ص ١٨٢) ·

وسنقف هنا عند البنود الجوهرية الاساسية في المشروع ، للاحاطة بجوهر سياسة الليكود تجاه مستقبل الاراضي الفلسطينية ولنتمكن من الوقوف على نقاط الاختلاف القائمة بينه وبين التجمع العمالي ·

ينص البند ١١ من المشروع : « يعهد بشؤون الامن والنظلم العام في مناطق يهودا والسامرة وقطاع غزة الى السلطات الاسرائيلية » ·

والبند ١٤ : « يمنح سكان يهودا والسامرة ولواء غزة ، بغض النظر عن جنسياتهم سواء كانوا مجنسين ام لا ، حق الاختيار الحر ، للحصول على

الجنسية الاسرائيلية ، او الجنسية الاردنية » ٠

والبند ١٥ : « تمنح الجنسية الاسرائيلية للذين يطلبونها من المقيمين في مناطق يهودا والسامرة وقطاع غزة ، وفقا لقانون التجنس في دولة اسرائيل »٠

والبند ١٦ : « يحق لسكان يهودا والسامرة وقطاع غزة ، الذين يختارون الجنسية الاسرائيلية ، بناء على حق الانتخاب ، ان ينتخبوا وينتخبوا للكنيست وفقا لقانون الانتخابات » ٠

والبند ٢٠ : « يحق لسكان اسرائيل تملك الاراضي والاستيطان في مناطق يهودا والسامرة واقليم غزة ، كما يحق للعرب ، من سكان يهودا والسامرة واقليم غزة الذين يصبحون مواطنين اسرائيليين ، بناء على حق الاختيار الممنوح لهم تملك الاراضي والاستيطان في اسرائيل » ٠

والبند ٢٤ : «تتمسك اسرائيل بحقها ومطلبها في السيادة على يهودا والسامرة واقليم غزة وادراكا منها لوجود مطالب اخرى ، فانها تقترح ، من اجل الاتفاق والسلام ، ابقاء مسألة السيادة في تلك المناطق مفتوحة » ٠

اما البند الاخير ٢٦ فينص : « تخضع هذه المبادىء لاعادة النظر فيها بعد خمس سنوات » ٠

وقد اكد بيجن على اهمية البند ١١ اثناء مخاطبته اعضاء الكنيست بالقول « بدون هذا البند ، ليست هنالك اهمية لمشروع الحكم الذاتي الاداري » ٠ وعاد بعد ذلك ، في مناسبات مختلفة ، وكرد على الانتقادات الموجهة اليه من المعارضة البيتية والمعارضة العمالية ، وسيج مشروع الحكم الذاتي ، بشروط لا تؤثر عليها عملية « المراجعة » بعد مضي خمس سنوات ، وهي :

١ ــ عدم اعادة « يهودا والسامرة » الى سلطة اجنبية ، وبطبيعة الحال لن يكون هنالك تنازل عن اجزاء من «ارض اسرائيل الغربية » ٠

٢ ــ حق الاستيطان الاسرائيلي في مناطق الحكم الذاتي قائم وسيستمر ٠

٣ ــ سياسة الامن والخارجية ستبقى بيد اسرائيل ٠

٤ ــ الحفاظ على جميع العوامل التي تحول دون اقامة دولة فلسطينية ٠

٥ــ الاخذ سلفا بعين الاعتبار جميع المعاني والنتائج الممكنة من ناحية الارتباط الصهيوني في « يهودا والسامرة » وبالعكس ، في المستقبل القريب والبعيد معا (٢٤) ٠

هذه « البضاعة » نقلها رئيس حكومة اسرائيل مناحيم بيجن الى الرئيس انور السادات في الاسماعيلية ، وعرضها للتداول معه في جزيرة الفرسان التي

غدت تعرف ، بعد ان وطئتها قدما بيجن بـ «جزيرة السلام » ! الا ان السادات لم يستسغ هذا النوع من « البضائع » مما اضطر بيجن الى العودة بها ، وتحمل عبء الترويج لها امام منتقديه وخاصة اوساط التجمع العمالي ٠

ازاء رفض مصر للمشروع ، وانتقادات التجمع العمالي له ، وانسجاما مع سياسة الليكود تجاه الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ ١٩٦٧ ، سيج بيجن مشروعه بموقف متطرف ، حين اعلن ان تعبير « الانسحاب من مناطق » الوارد في قرار مجلس الامن ٢٤٢ لا يتعلق بالاردن من قريب او بعيد ، ولا يسري على الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ واجتهاد بيجن في هذا الصدد هو ان قرار مجلس الامن يدعو الى انسحاب من اراض كانت خاضعة لسيادة دول ، ولم يخسر الاردن ، حسب رأيه سيادة على اراض في الحرب ، وانما خسر ضما كان قد فرضه على الضفة الغربية ، لم تعترف به الاسرة الدولية باستثناء دولتين هما بريطانيا والباكستان ٠ اما بخصوص قطاع غزة ، فلم يسبق لمصر ان اعلنت سيادتها عليه ٠ وانطلاقا من هذه الرؤيا لقرار مجلس الامن ، يرى بيجن ان مسألة الانسحاب لا تمس الاراضي الفلسطينية ، ولا يحق للاردن بموجب القرار المطالبة بشيء في المناطق التي كانت خاضعة له في السابق ٠

وقبل الانتقال الى نظرة التجمع العمالي تجاه مشروع الحكم الذاتي ، تجدر الاشارة هنا الى ان صاحب المشروع حرص على عدم اشتمال مشروعه على مدينة القدس العربية ، على اساس انها جزء لا يتجزأ من اسرائيل وفق قرار الضم الذي اتخذته حكومة الائتلاف الوطني بزعامة حزب العمل عقب حرب ١٩٦٧ ٠

موقف التجمع العمالي

لم يواجه التجمع العمالي هنا ما سبق له ان واجهه في الاراضي المصرية ، فالوضع هنا مختلف تماما ، والتعاطي معه مختلف بعض الشيء ومصحوب بالغموض وربما بالتناقض الظاهري في بعض الاحيان ٠ ولذلك يجدر بنا اولا الوقوف قليلا حول الاختلافات الاساسية القائمة بين التيارين الاساسيين في « المجتمع الاسرائيلي » تجاه صبغة الدولة اليهودية ومستقبلها ٠ فالتجمع العمالي الذي سبق له ان قاد اليشوف « والمجتمع الاسرائيلي » حتى السابع عشر من ايار (مايو) ١٩٧٧ ، **تتنازعه طوال تاريخه نزعة التوسع ، وشهوة نقاء الدولة اليهودية** ٠ وما بين النزعة والشهوة ، يجد هذا التيار مبتغاه ، في الاراضي قليلة السكان او غير المكتظة ٠ اما التيار اليميني فتتملكه وتسيطر عليه نزعة التوسع ولا يعير اهتماما كبيرا لشهوة النقاء ، فهو لا يرى ، خلافا للتجمع العمالي ، عيبا في الايديولوجية الصهيونية بالسيطرة على الارض مع

سكانها خاصة وان منطلقاته الفكرية تعبر عن مصالح الشرعية البرجوازية اليهودية التواقة الى الايدي العاملة الرخيصة ٠

بسبب هذا التباين في الفهم الصهيوني لدى كل من التيارين تجاه المسألتين الاقليمية والديمغرافية ، هنالك تباين في الحلول التي يطرحها كل من الفريقين لحل معضلة الارض والسكان الاغيار ٠ فالتجمع العمالي يحرص في حله الخاص بالاراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ على فرض السيادة الاسرائيلية على اكبر قدر من الاراضي قليلة السكان دون تطبيقها على المناطق المكتظة بالسكان ، الذين يشكلون حسب منظريه « قنبلة موقوتة » ٠ والحل الذي يرتأيه اصحاب هذا التيار ، لا يكمن في منح سكان « المناطق المأهولة » حتى بعد انتزاع اراضيهم غير المكتظة ، الاستقلال ، لان في ذلك استمرارا لوجود « القنبلة الموقوتة » ، وصمام الامان لهذه القنبلة الذي اثبت ــ حسب اعتقاد هذا التيار ــ ان جدارته قائم في الاردن ٠ اما التيار الاخر فيرى ان صمام الامان ليس موجودا في هذه الدولة العربية او تلك وانما في يد اسرائيل ٠

والان كيف ينظر قادة التجمع العمالي تجاه مشروع الحكم الذاتي ؟

افصح رئيس المعارضة العمالية شمعون بيريس عن وجهة نظره تجاه الموضوع في مناسبات عدة ، من بينها مقابلة صحفية (٢٥) اعرب فيها عن اعتقاده ان مشروع الحكم الذاتي « مزروع بالعقبات والمشاكل » ، واوضح انه « اذا ما قبل مشروع الضفة الغربية ، فسيكون بمثابة نواة لاقامة دولة فلسطينية، واذا ما رفض فستتركز جميع الضغوطات على اسرائيل ٠ وتساءل بيريس : هل بوسع بيجن اصدار جواز سفر اردني لسكان الضفة ؟ من الواضح لا ٠ وماذا سيفعل عندما يطالب قسم من سكان قطاع غزة بالحصول على جوازات سفر اسرائيلية؟ان ذلك من شأنه ان يخل بشكل واضح بالتوازن الديمغرافي،ويمهد الطريق امام مطالب العرب لاستعادة ممتلكات واراض ٠٠٠ وهنالك مسألة هامة اخرى : الهجرة ٠ لن يكونبوسعنا الحيلولة دون تبني الادارة قانون العودة » ٠ كما وانتقد بيريس المشروع لكونه لم يحسم مسألة السيادة وابقاها « مفتوحة » الامر الذي يتسبب حسب اعتقاده بحدوث خلافات مستقبلا حول هذا الموضوع ٠

فالواضح ان الامر الذي يزعج بيريس يتمثل في وجود السكان العرب ، واغلاق المشروع الباب امام النظام الاردني للمشاركة في تقرير مستقبل هؤلاء السكان ٠ ويعتقد بيريس انه لا يمكن لمصر المساهمة في حل هذا الموضوع ، فالمشكلة ، كما يقول في مقال له (٢٦) بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة هي « مسألة واقع مشترك عملي لمفاوضات اكثر منها مسألة طرح خطة كلامية ٠ يجب اعفاء مصر من هذه المفاوضات عن طريق ادخال الملك حسين وبسرعة

وبقدر المستطاع في المسار السياسي » · ثم عاد واوضح رأيه امام الكنيست (٢٧) نافيا تهمة « العمالة للتاج الهاشمي » التي تتندر بها عادة اوساط اليمين ملصقة اياها بالفريق العمالي ، فقد انتقد بيريس الحكومة بقوله انها « تغمض عينيها امام الخيار الحقيقي الماثل امامنا في يهودا والسامرة · فعلى المدى البعيد يمكن لاجزاء هامة من هذه الاقاليم ان تكون اما شريكة مع الاردن او قاعدة لمنظمة التحرير الفلسطينية · نحن لسنا عملاء للتاج الهاشمي · ولكن من يرفض م·ت·ف· عليه تأييد الاردن » ·

ومن الجدير بالذكر هنا ان بيريس تمنى اكثر من مرة على النظام الاردني تغيير اسم « المملكة الاردنية الهاشمية » بحيث يحمل الاسم الجديد كلمة فلسطين الى جانب الاردن ، مدفوعا بذلك من المعاناة التي تلحقها به المعضلة الديمغرافية في الضفة الغربية وقطاع غزة · ويشفع بيريس التمني بشحنة من الانتقادات ضد مشروع بيجن الذي يغلق الباب امام الدور الذي يريده بيريس للاردن في الضفة الغربية وقطاع غزة · والحل البديل الذي يطرحه زعيم المعارضة العمالية هو « الحل الاقليمي الوسط » في الضفة الغربية وقطاع غزة بين اسرائيل والاردن ، اي التوصل من خلال المفاوضات مع الاردن الى حل يتيح لاسرائيل سلخ مناطق ـ غير مكتظة بالسكان ـ من الضفة الغربية ، ومنح الاردن سائر المناطق المأهولة · « والحل الاقليمي الوسط » الذي يتبناه التجمع العمالي بجناحيه ، ومناهره المختلفة ، ليس حلا اقليمية وسطا بين اسرائيل والاردن ، يمكن للطرفين بمقتضاه التنازل عن مناطق ، كأن يتنازل الاردن عن منطقة ما في الضفة الغربية ، مقابل تنازل اسرائيل عن ايلات مثلا · فكلمة « الوسط » المرادفة للحل الاقليمي ، تحوم باستمرار حول مناطق معينة في الضفة الغربية ، وتظلل مناطق غير مكتظة بالسكان · وباختصار شديد ، فان « الوسط » هو **حالة الرضى الكامنة بين نزعة التوسع وشهوة النقاء** ، وتجد هذه الحالة عند حزب العمل تعبيرا لها في مشروع الون ·

ومن الطبيعي والحال كذلك ، ان يتمسك يغئال الون ، احد قادة حزب العمل ، بمشروعه ، ويوجه انتقادات لاذعة ضد مشروع الحكم الذاتي المنافس له والذي لا يعتمد على مبدأ « الحل الاقليمي الوسط » · ومن بين الانتقادات ما ورد على لسانه في اجتماع عقده حزب العمل في مدينة نتانيا (٢٨) حيث شن هجوما عنيفا على مشروع الحكم الذاتي ، مركزا على النقاط الواردة فيه والتي تمنح العرب حق اختيار الجنسية الاسرائيلية ، ليقول ان « المشروع ضد الصهيونية ، ومن شأنه تحويل الدولة اليهودية الى دولة ثنائية القومية » ·

اما القطب الاخر في حزب العمل ابا ايبن ، فلم يختلف في معارضته للمشروع عن زميليه في مقالاته المتعددة · وسنقف هنا من خلال مقال له (٢٩) على نظرة التجمع العمالي حول قزار مجلس الامن المغاير لنظرة الليكود · فأبا ايبن يعتقد

ان تفسير الليكود لقرار مجلس الامن ٢٤٢ ، الذي جاء كانسجام مع مشروع الحكم الذاتي ، يسيء الى مكانة اسرائيل في المحافل الدولية ، ومع ذلك لا ينكر امكان حدوث اختلافات في وجهات النظر لو ان الحكم الان بيد التجمع العمالي حول تفسير القرار ٢٤٢ و « حجم الانسحاب الذي يتطلبه » · الا انه يعتقد ان « الحكومة الاسرائيلية التي كانت على استعداد لاعادة معظم عرب يهودا والسامرة للحكم الاردني ــ مع مناطق سكناهم ــ كانت ستحظى بمكانة مختلفة في ميدان المفاوضات والرأي العام العالمي ، عن المكانة التي تحظى بها الحكومة اليوم » ·

وكشف ايبن النقاب عن ان الحكومة العمالية كانت قد اعطت تفسيرا دقيقا في اب (اغسطس) ١٩٧٠ لقرار مجلس الامن ٢٤٢ فيما يتعلق بمصير الضفة الغربية ، وذلك في المذكرة التي قدمتها للاردن بواسطة مندوب الامم المتحدة يارينغ ، حيث اقترحت اجراء مفاوضات للتوصل الى اتفاق « على اساس » قرار مجلس الامن ٢٤٢ · وقد سبق لنا ان وقفنا على المعاني الكامنة في تعبير « على اساس » في نظر ابا ايبن بالنسبة للاراضي المصرية · اما بالنسبة للضفة الغربية فتعني « انسحاب قوات عسكرية اسرائيلية من مناطق اخذت في يونيو ١٩٦٧ ، الى حدود امنة ، معترف بها ومتفق عليها ، يتم تثبيتها في اتفاق السلام » ·

ما هو موقف زعماء حزب مبام شريك حزب العمل في التجمع العمالي تجاه مشروع الحكم الذاتي ؟

لا يختلف موقف حزب مبام عن حزب العمل من حيث الجوهر تجاه مشروع الحكم الذاتي · الا ان الاختلاف يكمن في مسألة التشديد على « المخاطر » الكامنة في المشروع ، والمتمثلة في الخطر على صيغة « المجتمع » اليهودي ، واحتمال خطر قيام دولة فلسطينية ، تتطابق حدودها مع حدود الحكم الذاتي · ويمكن استشفاف ذلك من خلال كتابات زعماء الحزب وعلى رأسهم مئير تلمي ويعقوب حزان · فالاول يخشى ان يؤدي مشروع الحكم الذاتي في نهاية الامر ، وعقب صراعات عنيفة ، الى اقامة دولة فلسطينية على كامل تراب الحكم الذاتي ، وبذلك تحرم اسرائيل من اقتطاع بعض المناطق في الوقت الحاضر · اي انه يخشى ان تؤدي الاطماع « الكبيرة » لبيجن في الضفة الغربية الى فقدان الاطماع « الصغيرة » لحزب مبام والاطماع « المتوسطة » لحزب العمل والتي يمكن لها حسب اعتقاده ان تتحقق في الوقت الحاضر بواسطة « الحل الاقليمي الوسط » · ويحذر تلمي من المخاطر التي « تنتظرنا » اعتقادا منه انه ليس بوسع اسرائيل السيطرة على مر السنين على تجمع فلسطيني داخل اسرائيل واخر في الحكم الذاتي ، واذا ما حاولت ذلك فانها « تصنع بيديها الطبخة

الحارة ، ذات المذاق المعروف جيدا في تاريخ الحكم الذاتي في اقطار العالم · اننا بأيدينا نذكي العداء والكراهية اللذين سيتفجران في يوم من الايام ··· كما ويجب علينا التحلي بالرؤيا المستقبلية : ان الحد لمنطقة الحكم الذاتي هو الذي سيثبت حدود دولة اسرائيل مستقبلا » (٣٠) · اما في حال تمكن اسرائيل من السيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة ، فانه يرى في ذلك خطرا يهدد الصيغة اليهودية لاسرائيل · ولا يختلف حزان عن ذلك ، ففي مقال له (٣١) شجب مشروع الحكم الذاتي لكونه يحمل بين احشائه خطرين : خطر الاقلية العربية الكبيرة ، وخطر احتمال قيام دولة فلسطينية · والخطر الاول ناجم عن الضم ، والثانيناجم عن احتمال انتهاءالضم نتيجة التطورات المستقبلية · حول ذلك يقول حزان ان « ضم الضفة الغربية ··· يهدد بتشويه الجوهر الاجتماعي والاخلاقي لدولة اسرائيل · ويعتبر الجوهر القومي والاجتماعي لدولتنا عاملا في تثبيت أمنها وقدرة دفاعها بشكل لا يقل ، ان لم يزد ، عن حدود الامن ··· فالاقلية الكبيرة ··· ستتحول الى اقلية معادية مقاتلة ··· » · وبالنسبة الى خطر قيام دولة فلسطينية يشير حزان الى « ان خطة بيجن تحمل بذورا خطرة لاقامة دولة فلسطينية تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، تتطابق حدودها مع حدود عام ١٩٤٨ » ·

والخلاص من ذلك كله ، حسب وجهة نظر زعامة مبام يكمن في التصدي لمشروع بيجن ، واعتماد « الحل الاقليمي الوسط » في الضفة الغربية مع الاردن ·

لعلنا نكون في ما تقدم قد احطنا بنظرة كل من التيارين الاساسيين في « المجتمع الاسرائيلي » تجاه التسوية ، واقتربنا الى اقرب موقع يمكننا من النظر الى حقيقة موقف كليهما ، واستنتاج النتائج من « الحقيقة » الماثلة امامنا · سنترك الاستنتاجات للقارىء ، ونترك له ايضا الاجابة على التساؤل الذي طرحناه عند نهاية الحديث عن موقف كلا التيارين من التسوية مع مصر ، واجاب عليه وزير الدفاع عيزر فايتسمان ·

ولكن ما نود قوله هنا ان موقف التيارين قد جاء بعد حدوث انقلاب في الموقف العربي الرسمي · فقد كان هذا الموقف حتى التاسع عشر من نوفمبر ١٩٧٧ يعتمد على ركيزتين اساسيتين لاحلال السلام في الشرق الاوسط : (١) انسحاب اسرائيل من جميع المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧ ، (٢) اعادة الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني · الا ان الركيزة الثانية سقطت خلال الزيارة واقعا ونصا · فقد تهدمت الركيزة بمجرد وصول رئيس اكبر دولة عربية الى اسرائيل ، وتكرس هدمهاباعترافه باسرائيل وتمسكه في بيانه في الكنيست بالركيزة الاولى فقط · اي ان الموقف العربي الرسمي الذي تقوده مصر الان قد اسقط نصف المطلب العربي الرسمي ، على امل ان تقوم اسرائيل

في المقابل بالتراجع عن مطالبها في المناطق المحتلة حديثا ، لتنعم بالاعتراف الرسمي والسلام مع العالم العربي في حدود ١٩٦٧ · بيد ان هذا الامل سقط كما سقطت الركيزة الثانية في الفهم العربي للسلام ، وبقي الفهم الاسرائيلي للسلام عند كلا التيارين الاساسيين يدور حول التنازلات الممكنة في المناطق العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ ، دون التصور على الاطلاق حدوث اية تنازلات داخل « الخط الاخضر » · اي ان السلام الذي تريده اسرائيل مرتهن بحدوث انقلاب اخر في الفهم العربي للسلام ، يمعن فيالركيزة الوحيدة المتبقية قضما ، ويتيح لاسرائيل سلخ مزيد من الاراضي العربية ، ونهش السيادة العربية على اجزاء كبيرة منها ·

ان سبب عدم حدوث نقلة في الموقف الاسرائيلي والفهم الاسرائيلي للسلام ، لجهة « الاعتدال » لا يعود حسب رأينا الى روحية « شايلوك » التي انبعثت من جديد وحلت في بيجن كما يزعم البعض في مصر ، ولا يعود كذلك الى « الذهنية المهجرية للبائع اليهودي المتجول الذي يرى كبرياءه في خداع الاغيار ويحلم في الحاق الاذى بهم » ، التي تهتدي بها سياسة الليكود كما يزعم بنطوف احد زعماء مبام ، وانما يعود الى عاملين اثنين ، شرحهما يطول ، ونكتفي بذكرهما فقط :

١ ـ النزعة التوسعية المتحمكة « بالمجتمع الاسرائيلي » ، والنابعة عن الفكر الصهيوني ·

٢ ـ واقع الدول العربية المؤطر بعامل مشترك : غياب دور الجماهير من خلال قمعها بطرقووسائل شتى ·

وبين النزعة والواقع علاقة جدلية ، حيث تنتعش النزعة بتدهور الواقع ، وتتلاشى وتزول بتغييره رأسا علىعقب الى الافضل · ولا شك ان عملية التغيير تسبق التلاشي والزوال ، ومن يرى غير ذلك فسيبقى يئن تحت وطأة اعباء تلك النزعة التي ابتلينا بهامنذ قرابة ثمانين عاما ·

الحواشي

(١) حوتام ، ١٧ـ٢ـ١٩٧٨ ·

(٢) النص في دافار ، ٢٩ـ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٣) المصدر نفسه ، ١ـ١ـ١٩٧٨ ·

(٤) معاريف ١٦ـ١ـ١٩٧٨ ·

(٥) معاريف ، ٣ـ٣ـ١٩٧٨ ·

(٦) المصدر نفسه ، ١٥ـ١ـ١٩٧٨ ·

(٧) دافار ، ٤ـ١ـ١٩٧٨ ·

(٨) معاريف ، ٦ـ١ـ١٩٧٨ ·

(٩) النص في دافار ، ٢٨ـ١ـ١٩٧٨ ·

(١٠) يديعوت احرونوت ، ٢٠ـ١ـ١٩٧٨·

(١١) عل همشمار ، ١٣ـ٢ـ١٩٧٨ ٠

(١٢) هاتسوفيه ، ٢٧ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(١٣) معاريف ، ٦ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، ٢٠ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(١٥) دافار ، ٦ـ٣ـ١٩٧٨ ٠

(١٦) معاريف ، ٦ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(١٧) هارتس ، ١٣ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(١٨) دافار ، ٤ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(١٩) معاريف ، ٢٧ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(٢٠) عل همشمار ، ٣ـ٢ـ١٩٧٨ ٠

(٢١) حوتام ، ١٧ـ٢ـ١٩٧٨ ٠

(٢٢) دافار ، ٤ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(٢٣) معاريف ، ١٤ـ٤ـ١٩٧٨ ٠

(٢٤) انظر يديعوت احرونوت ، ٢٣ ـ ٢ـ١٩٧٨ ٠

(٢٥) هاتسوفيه ، ٢٧ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(٢٦) يديعوت احرونـــوت ، ٢٠ـ١ـ ١٩٧٨ ٠

(٢٧) دافار ، ٢٨ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(٢٨) المصدر نفسه ، ٦ـ٣ـ١٩٧٨ ٠

(٢٩) معاريف ، ٣ـ٣ـ١٩٧٨ ٠

(٣٠) عل همشمار ، ٢٧ـ١ـ١٩٧٨ ٠

(٣١) المصدر نفسه ، ٣ـ٢ـ١٩٧٨ ٠

صدر حديثا عن مركز الابحاث

اليمين الصهيوني
نشأة وعقيدة وسياسة

بقلم

صبري جريس

اطلب نسخك من : مركز الابحاث : قسم التوزيع

ص٠ب : ١٦٩١ ـ بيروت

سعر النسخة ٥ ل٠ل٠ (عدا اجور البريد).

عبد القادر ياسين

التطوّر الصّناعي في فلسطين حتى عام ١٩٤٨

ملامح التطور الصناعي

تطورت الصناعة في فلسطين ، منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى ، تطـــورا سريعا ، فأنشىء عدد كبير من المحلات الصناعية الحديثة ، اتسم أكثرهـــــا بالصغر ، في حين توسع العديد من المحلات القديمة · وارتفع مجموع المحلات الصناعية من ١٫٥٠٠ تقريبا في العام ١٩١٣ ، الى نحو ٦٫٠٠٠ ، في العـــام ١٩٣٦ · ومن هذا العدد كان نحو ٤٫٥٠٠ محلا للحرف ، و ١٫٥٠٠ معمـــل ودكان صناعي (★) ، وارتفع مجموع رؤوس الاموال ، في المدة نفسها ، مـــن حوالي مليون جنيه مصري الى أكثر من عشرة ملايين · وزاد عدد المشتغليـــن بالصناعة ، في العام ١٩٣٦ ، على أربعين الف عامل · ونقص العدد النسبـــي لاصحاب الحرف ، في حين زاد العدد النسبي للعمال المستخدمين في المعامل ، وتطورت طرق الانتاج ، واخذت المعامل المجهزة بآلات حديثة وعمال مستأجريـــن تحل تدريجيا محل دكاكين الصناعة التقليدية ، وادخلت انواع عديـــدة مـــن الصناعات الجديدة ، وبلغت قيمة الالات الصناعية المستوردة نحو خمسة ملايين جنيه ، في المدة من ١٩٢٥ ــ ١٩٣٧ ، وأدخلت صناعة الاسمنت ، والمرايـــا ، والاسرة ، والاواني الالمنيوم (١) ·

ولفت نظر احدى لجان التحقيق البريطانية الرسمية ، في العام ١٩٣٠ ، سرعة تقدم الصناعات الصغيرة ، بينما كانت الصناعات الكبيرة أقرب الى الثبات على حالها (٢) ·

وأدى فتح الاسواق الفلسطينية ، من قبل الاستعمار البريطاني ، الى احداث تغييرات جوهرية في التكوين الاجتماعي لفلسطين ، وتزايد تفهقر العلاقات الانتاجية الاقطاعية لحساب العلاقات الرأسمالية · كما أدى هذا الفتح الى افساح المجال ـ نسبيا ـ امام الصناعة العربية · فكان ٥ر٦٠٪ من مجموع المحلات الصناعية في فلسطين ، في العام ١٩٢٧ ، يمتلكها العرب ، وبلغ رأس المال المستثمر فيها نحو ٦١٣ر٠٠٠ جنيه فلسطيني · اما الاستثمار الاجمالي فبلغ ، انذاك ، ٣ر٥١٤ر٨٨٦ جنيها فلسطينيا · وكان يعمل في هذه المحلات ١٧ر٩٥٥ شخصا (٣) · وغني عن القول بأنه كان في فلسطين ، بين العامين ١٩٢٠ و ١٩٢٥ ، مائة وثلاثون شركة ، هبط عددها ، بين ١٩٢٦ و ١٩٣١ ، الى مائة فقط ، بتأثير الازمة الاقتصادية التي اجتاحت فلسطين ، اواخر العشرينات، ثم عاد عدد الشركات وارتفع ، فوصل فيما بين العامين ١٩٣٢ و ١٩٣٧ ، الى ٨٤٢ شركة (٤) · وقفز عدد المشروعات الصناعية العربية ، في العام ١٩٣٨ ، الى ما يزيد عن ألفي مشروع صناعي ، بواقع ١١٪ من مجموع رأس المال المستثمر في صناعات البلاد · وتراوح حجم انتاج المشاريع العربية هذه ما بين ٢٠٪ و ٢٥٪ من مجمل الانتاج الصناعي في فلسطين ، في العام المذكور (٥) ·

واخذ رأس المال الاجنبي بعنق البرجوازية العربية في فلسطين ، حيث بلغ في العام ١٩٣٦ ، نحو ثمانين مليون جنيه فلسطيني ، مما أدى الى اطالة أمد المرحلة التجارية في حياة البرجوازية العربية الفلسطينية ، والى تشويه نموها · وحاول قطاع منها التحول الى برجوازية كومبرادورية ، تتاجر بالخامات وتسوق البضائع الاوروبية المستوردة · رغم ان الرأسمالية اليهودية قد سبقتها في هذا المجال ·

ويرى اقتصادي صهيوني ان اتجاه التطور الصناعي في فلسطين خضع لعاملين اثنين : أولهما ، ان رأس المال الاجنبي كان يسعى الى الاستثمار في ميدان يقل فيه عنصر المخاطرة ، الى ابعد حد ممكن ، كما هو الحال في قطاع الخدمات (الغاز ، الكهرباء ، الهاتف ، سكة الحديد ، ووسائل المواصلات الاخرى) ، حيث يتسع مجال الحصول على فائدة منتظمة من رأس المال فضلا عن الطابع الاحتكاري لهذا القطاع · كما اختصت المصالح الاجنبية بمشروعات التعدين ، التي حصلت على امتيازات بشأنها · وكان لهذه المشروعات التعدينية وضع خاص يعلو على مستويات البلد العادية ، من حيث ان انتاجها كان معدا للسوق العالمية ، وليس للسوق المحلية · وكلما عظم نطاق هذه المؤسسات ، ظل تكوين هذه الصناعات « غير عضوي » ، بالموازنة مع الاقتصاد بوجه عام (٦) ·

وزادت رؤوس الاموال الاجنبية من نشاط التجارة الفلسطينية بشكل ملفت للنظر · وارتفعت حمولة السفن التي دخلت موانىء فلسطين ، حاملة تجارتها ،

من ٥٧٥ر١ طنا في العام ١٩٣٢ ، الى ٠٠٠ر٣٠٠ر٧ طن في العـــام ١٩٣٥ ٠ وضخامة هذا الرقم تتضح اذا ما علمنا ان حمولة السفن التي دخلت موانـــىء الهند ، في العام نفسه، بلغت ٠٠٠ر٢٢٠ر٨ طن٠ ونتج عن هذا النشاط التجاري تدفق البضائع الاجنبية الى الاسواق الفلسطينيـــة ، فارتفعـــت الصادرات الفلسطينية من ٥٣٠ر٤١٢ر١ جنيها مصريا ، في العام ١٩٢٣ ، الى ٧٦٩ر١١٧ر٥ جنيها فلسطينيا في العام ١٩٣٩ ، في حين تضاعف حجم الواردات ، في الفترة نفسها من ٩٠٧ر٩٤٨ر٤ جنيها مصريا الى ٢٢٨ر٦٣٢ر١٤ جنيها فلسطينيـــا ٠ وأدى فتح الاسواق الفلسطينية ، من جهة اخرى ، الى احداث تطورات جوهرية في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المجتمع العربي الفلسطينـــي ، فأخذت العلاقات الاقطاعية في التلاشي ، وحلت المعاملات التجارية النقدية بيـــن الافراد (٧) ٠

وبالرغم من اسهام الاستعمار البريطاني في احداث التحول الرأسمالي فـــي فلسطين ، بنصيب كبير ، الا انه لم يدفع به الى اكثر مما يخدم اقتصاد احتكاراته، في الاساس ٠ ومن ثمة لم يكن الاستعمار البريطاني معنيا بادخال اصلاحـــات بعيدة المدى في البلاد ، ولجأ ، بدلا من ذلك ، الى تنمية علاقاته الطيبة مع الطبقات العربية الفلسطينية السائدة ــ كبار الملاك والرأسمالية الزراعية ٠ لذا ، ليـــس غريبا ان تبقى ، تحت القشرة الرأسمالية ، الاشكال والاسس القديمة للحيـــاة السياسية والاجتماعية في فلسطين (٨) ، طوال فترة الانتداب البريطاني ٠

وعلى الرغم من بلوغ الصناعة في فلسطين درجة عالية من التطور ، الا ان المهم هو الطريقة التي سار بها التصنيع ، فالخطط الصناعية تحققت من دون تشجيع الحكومة ، التي لم تمنح سوى قدر ضئيل للغاية من الحماية ، وفـــي القطاع اليهودي دون القطاع العربي (٩) ٠

وكان لتطور التصنيع في فلسطين نتائج عدة ، لعل اهمها : (١٠)

١ ــ اتساع نطاق القطاع الصناعي (عدد المنشآت الصناعية ، عدد العمال المستخدمين ، حجم الانتاج ، والاجور المدفوعة) ، ٢ ــ زيادة الواردات مـــن السلع الرأسمالية ، كالالات والمعدات والوقود ، ٣ ــ نقص الوارد من السلع التي يجري انتاجها داخل البلاد ، ٤ ــ زيادة الصادر من السلع الصناعية المحلية ٠

وثمة عوامل عدة دفعت بالصناعة في طريق النمو ، اهمها : (١١)

١) **اضطرار حكومة الانتداب البريطاني الى تطوير الاقتصاد المحلي** ، بمـــا يفيد الاقتصاد الامبريالي البريطاني ، فزادت الخطوط الحديدية (من ٢٠٠ كـــم عام ١٩٠٣ الى ٤٧٢ كم في العام ١٩٣٦) والطرق المرصوفة (من ٣٠٠ كم في العام ١٩١٣ الى ٧٥٠ في العام ١٩٣٦) ، **وبنت ميناء حيفا** ، وحسنت **مرفـــأ يافا** الطبيعي ، كما أدخلت الهاتف والبرق الى البلاد ٠ وخفضت الضرائـــب

المفروضة على الصناعة ، والزراعة المرتبطة بالصناعة ، واهتمت ـ الى حد ما ـ بالزراعة ، من حيث استخدام الري والاساليب العلمية وتأمين حقوق المالكين ، وخاصة اليهود منهم · وترتب على ذلك كله رفع القدرة الشرائية لدى المزارعين، مما عاد على الصناعة بالفائدة ·

٢) بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، **بدأ التغيير الى الاتجاه الاستهلاكي** في اذواق الناس ، فأخذ سكان المدن بمظاهر الحياة الغربية ، شيئا فشيئا ، **وزاد الاقبال على السلع الاجنبية** ، ومن ثمة تأثرت صناعات النسيج والصابون والدباغة والاحذية التقليدية ·

٣) **الهجرة اليهودية** ، وما ترتب عليها من زيادة الطلب على السلع ، وانشئت صناعات ، واستمرت ، بسبب حركة البناء ، بما فيها الاسمنت والآجر والقرميد والادوات المعدنية والنجارة الخ ··· كما رافق الهجرة تدفق هائل من رؤوس الاموال · وحتى اواخر الثلاثينات ،استثمر المستوطنون اليهود ما بين ٩٠ ـ ٩٥ مليون جنيه فلسطيني · وبلغ عدد المهاجرين اليهود من ذوي رؤوس الاموال (١٫٠٠٠ جنيه فلسطيني فما فوق) ، في السنوات ١٩٣٢ ـ ١٩٣٦ ، حوالي ١٨٫٣٨٠ مهاجرا ، من حوالي ١٧٤٠٠٠ ، هم مجموع المهاجرين اليهود الى فلسطين خلال تلك السنوات · ومن المبالغ استثمر ٨٫٦٥٤٫٠٠٠ جنيه في الصناعات والحرف اليهودية ، حتى ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ · كذلك كان قسم كبير من المهاجرين يتألف من أرباب الصناعات والصناع المهرة ·

٤) بالرغم من افتقارها للمواد الاولية ، تتمتع فلسطين بميزة **الوصول الى البحر بسهولة** · كما يسر لها **موقعها** اغلب احتياجاتها بسعر رخيص نسبيا · فشركة الكهرباء الفلسطينية (**روتنبرغ**) امكنها توفير الطاقة الكهربائية بسهولة، وبرزت قيمة خط انابيب البترول المنتهي عند حيفا · واخيرا **فان العمال الفلسطينيين قادرون على التكيف** ·

على ان ثمة مصاعب واجهت الصناعة في فلسطين ، وكان ابرزها (١٢) :

١ ـ صعوبة تصريف المصنوعات في الاسواق الخارجية · ٢ ـ منافسة المنتوجات الاجنبية (التي تباع ، احيانا ، بأسعار غير مربحة) · ٣ ـ **وقلة كمية المنتوج** ، نسبيا ·

واستحوذت المواد الاستهلاكية ـ حسب احصاء اجرته حكومة الانتداب في العام ١٩٢٨ ـ **على أغلبية الصناعة** · فالمنسوجات والالبسة وادوات الزينة والمأكولات شكلت نحو نصف مجمل الصناعات، واستوعبت ٤٢٫٦٪ من مجمل العاملين في الصناعة · بينما لم تمثل الصناعات المتقدمة الا نسبة ضئيلة من مجمل الصناعات · فالادوات المعدنية والكهرباء لم تشكل سوى ٩٫٦٪ من

مجموع العاملين في الصناعة • وثمة استنتاج اخر هو ضالة رأس المـــال المستثمر في المنشأة الواحدة ، واستنتاج رابع هو ضالة الايدي العاملة في كل منشأة (١٣) • وهذا ما يؤكده الجدول رقم (١) ، الذي يوضح نسبة المحـــلات الصناعية الصغيرة والكبيرة ، وحجم العاملين في كل نمط منهما على حدة •

جدول رقم (١)

العمالة حسب احصاء ١٩٢٨ الحكومي (١٤)

فئات العمال	المحـــــلات		العمال المأجورون	
	عدد	٪	عدد	٪
من دون عمال مأجورين	١ر١٠٠	٣١ر٤	ـ	ـ
بعامل واحد	٧٠٣	٢٠ر١	٧٠٣	٦ر١
بعاملين ـ ٣	٩٢٠	٢٦ر٢	٢ر١٧٨	١٨ر٧
٤ ـ ٥	٤٦٥	١٣ر٣	٢ر٠٠١	١٧ر٢
٦ ـ ١٠	١٨٢	٥ر٢	١ر٣٠٨	١١ر٣
١١ ـ ٢٠	٦٢	١ر٨	٠ر٩٢٢	٧ر٩
٢١ ـ ٣٠	٢٧	٠ر٨	٠ر٦٨٩	٥ر٩
٣١ ـ ٤٠	١٥	٠ر٤	٥٣٨	٤ر٦
٤١ ـ ٥٠	٤	١ر٠	٠ر١٦٨	١ر٦
٥١ ـ ١٠٠	١٥	٠ر٤	١٠٥٨	٩ر١
فوق ـ ١٠٠	١٢	٠ر٣	٢ر٠٤٤	١٧ر٦
المجموع	٣ر٥٠٥	١٠٠	١١ر٦٢٧	١٠٠

يؤكد الجدول رقم (١) النسبة الكبيرة التي تمثلها المحلات الصغيرة (خمسة عمال فاقل ، برأس مال ألف جنيه فاقل) بين المحلات الصناعية في فلسطين ، اذ بلغت نسبتها حوالي ٦١٪ من مجموع المحلات الصناعية في فلسطين ، في العام ١٩٢٨ • واحتلت المحلات المتوسطة (٦ ـ ٥٠ عاملا ، برأس مال من ألف الى عشرين ألف جنيه فلسطيني) المرتبة الثانية ، اذ شكلت زهاء ٣ر٨٪ من جملة المحلات ، بحيث لم يبق للصناعات الكبيرة سوى ٧ر٠٪ من مجمل المحلات •

وبالرغم من اجتياح الازمة الاقتصادية فلسطين ، فيما بين العامين ١٩٢٥ و ١٩٢٩ (اي في السنوات الاربع السابقة على الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٨ ـ ١٩٣٢) ، فان زيادة مطردة حصلت في الانتاج الزراعي والصناعي معـا • وكانت ايرادات المشاريع الصناعية مشجعة • ووسعت الصناعات الكبـــرى ـ كالاسمنت والدقيق والصابون ـ نطاق تجارتها • وازدهرت صناعة الدخان الحديثة العهد ، حتى ان الصناعات الصغيرة في تل أبيب اخذت تزيـــد مـــن

انتاجها ، وتوسع اسواقها في فلسطين وخارجها · وهكذا ، بينما كانت **الواردات في هبوط مستمر ، اخذت الصادرات في الصعود البطيء** · فقد كانت قيمة المنتوجات الفلسطينية المصدرة الى الخارج ، في العام ١٩٢٥ ، نحو ١ر٣٣٠ر٨٣٠ جنيها مصريا ، وفي العام التالي بلغت ١ر٣٠٨ر٣٣٢ جنيها مصريا ، وفي العام ١٩٢٧ وصلت الى ١ر٨٨٩ر٧٥٩ جنيها مصريا · وفي العام نفسه زادت الصادرات الزراعية على الواردات الزراعية ، لاول مرة منذ الحرب العالمية الاولى (١٥) ·

وفي اوائل الثلاثينات كانت احوال عرب فلسطين الاقتصادية ، عموما ، تسير في مدارج التحسن ، فارتفعت الاجور ، واتسعت الاسواق لتصريف حاصلات البلاد ، وبنيت الطرق والجسور والمدارس الجديدة ، وبدأ العمل في التدابير التي قر الرأي ، في العام ١٩٣٠ ، على اتخاذها ، تحت زعم صيانة مصالح العرب وتحسينها (١٦) ·

ودل احصاء الصناعات ، الذي **أجرته دائرة الجمارك والمكوس والتجارة** ، في العام ١٩٢٨ ، على ان قيمة المنتوجات الصناعية في ذلك العام ، بلغت ٣ر٨٨٦ر١٤٩ جنيها فلسطينيا · وقفز هذا الرقم الى اكثر من خمسة ملايين ونصف المليون جنيه ، في العام ١٩٣٣ ، والى اكثر من ستة ملايين ونصف المليون ، في العام التالي ، والى حوالي سبعة ملايين جنيه ، في العام ١٩٣٥ · وبهذا تكون الزيادة من العام ١٩٢٩ ــ ١٩٣٥ ، اكثر من ثلاثة ملايين جنيه ، (بواقع ١ر٨٤٪) من المنتوجات الصناعية (١٧) ·

وبالرغم من عدم قيام تجارة صادرات واسعة في فلسطين ، لتصدير البضائع المصنوعة محليا ، الا ان الصادرات الصناعية حققت تقدما ملموسا ، خلال النصف الاول من الثلاثينات · وهو ما يوضحه الجدول رقم (٢) ·

جدول رقم (٢)

الصادرات الصناعية الفلسطينية من العام ١٩٢٧ ــ ١٩٣٦ (١٨)

السنة	قيمة المصدر (بالجنيه الفلسطيني)	السنة	قيمة المصدر
		١٩٣٢	٤٣٥ر٠٠٠
١٩٢٧	٤٢٦ر٩٨٣	١٩٣٢	٤٠٦ر٠٠٠
١٩٢٨	٤٢٦ر١٦٠	١٩٣٤	٤٠٤ر٠٠٠
١٩٢٩	٤٨٢ر٨٢٦	١٩٣٥	٤٧٨ر٠٠٠
١٩٣١	٣٦٤ر٠٠٠	١٩٣٦	٥٤٧

ويستدل من الجدول رقم (٢) ان صادرات السلع الصناعية المحلية قفزت ، خلال تسعة اعوام امتدت من العام ١٩٢٧ ــ ١٩٣٦ ، الى ما نسبته ١٢٨٪ ،

وهو معدل بطيء • كما يلاحظ **سمبسون** ان صادرات الصابون ، في السنتين الاولى والثانية ، من هذه السنوات التسع ، زادت على الخمسين في المائة ، وهي الصناعة التي قدر ناتجها السنوي في نابلس وحدها ، في العام ١٩٣٠ ، بمائتين وأربعين الف جنيه فلسطيني • واستخدم أصحاب معامل الصابون ، وهم من العرب ، قرابة مائتي عامل عربي في معاملهم (١٩) •

على أن هذا التطور الصناعي لم يكن كله ملكا لعرب فلسطين ، بل لم ينلهم سوى نسبة ضئيلة جدا منه • بعد أن دخل فلسطين عنصر جديد مع الاحتلال البريطاني ، هو الصهيونية ومؤسساتها ، التي أخذت تمد نشاطها الى مختلف مجالات الحياة الفلسطينية • على ان بحثنا سيقتصر على الصناعة العربية دون اليهودية ، لان تطور ونمو الصناعة الاخيرة لم يؤثر ايجابيا على الطبقة العاملة العربية الفلسطينية ، اذ رفعت الصهيونية في وجه هذه الطبقة شعاري « **احتلال العمل** » و « **العمل العبري** » ، اللذين حالا دون تشغيل العمال العرب الفلسطينيين في المصانع اليهودية •

الصناعة العربية

حتى اواسط الثلاثينات ، كانت الصناعة العربية متنوعة ، وتشتمل على بعض المعامل الكبيرة ، وعدد كبير من المحلات الصناعية الصغيرة ، التي تؤلف في مجموعها ، قسما لا يستهان به في صناعة فلسطين • واشتملت الصناعات العربية على الصابون ، الطحن ، الآجر ، القرميد ، السجاير ، الحياكة ، القطن، التعدين (الملح ، الرمل ، والحجارة) ، الاسرة ، المسامير ، الحلويات ، الملابس، والصناعات الصغرى •وفيما بين العامين ١٩٣١ و١٩٣٧ جرى تسجيل ٥٢٩ محلا عربيا (شركات وتعاونيات وشركات تضامن) ، وبين هذه المحلات عدد كبير من المعامل الكبيرة ، احدها للادوات المعدنية ، واخر للكبريت ، ومضرب للارز (٢٠) •

ويبين الجدول رقم (٣) مدى تطور وحجم المنشآت الصناعية العربية ، فيما بين العامين ١٩٢١ و ١٩٣٩ •

الجدول رقم (٣)

منشآت عربية سجلتها دائرة الصحة (٢١)

النوع / السنة	١٩٢١	١٩٣٥	١٩٣٩
مخابز	١٥١	٢٠٥	٢٩٥
مطاحن	٤٥	١٠٧	١٤١
مصانع مياه غازية	٧	١٣	١٧
مصانع ثلج	٤	١١	١٩
مصانع ومخازن الزيوت	٦٢	١٣٢	٩١
منشآت تستخدم الات تدار بالقوة الطبيعية	٧	٣١٣	٥٤١
مصانع الصابون	٤١	١٤	٣٠

ومنذ الاحتلال البريطاني لفلسطين توسعت البرجوازية المحلية في تكوين شركاتها • ومن استقرائنا لبعض صحف الفترة الاولى للاحتلال ، نجد انه قد تألفت ، في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ « **شركة صندوق التوفير الوطني** » من أرباب الحرف وقسم من رجال الطبقة الوسطى (٢٢ـ٢٣) • كما تشكلت في الرملة جمعية تحت اسم « **الجمعية الخيرية الاقتصادية** » وفي العام ١٩٢١ تأسس « **مصنع دخان ديك وسنطي للسجاير** » في حيفا ، و « **معمل حزبون للسجاير** » في القدس ، و « **شركة الدخان والتنباك الوطني** » في نابلس ، والاخيرة كانت تحت ادارة **شكري فخري الدين** ، وضمت لجنتها التأسيسية كلا من : **الحاج عبد الرحيم النابلسي ، قاسم كمال ، طاهر المصري ، عبد الفتاح آغا طوقان ، عبد الرحيم التميمي ، حسن عرفات ، صادق كنعان ، عثمان الخياط ، وشكري فخري الدين** • وبلغ رأسمالها ـ عند التأسيس ـ ستة الاف جنيه مصري (٢٤) • وفي صيف العام ١٩٢٨ كان في فلسطين ١١ معملا للسجاير ، وخمسة معامل للتنباك • وبلغت مقطوعية هذه المعامل مجتمعة ، من ايار (مايو) ١٩٢٧ الى نيسان (ابريل) ١٩٢٨ ، نحو ٥٩٠ر٥١٦ كيلوغراما ، مقابل نحو ٦٣٠ر٤٩٩ كيلوغراما في العام ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ ، و ١٩١ر٤٢٢ كيلوغراما في العام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ (٢٥) •

وقفز عدد مشاريع عرب فلسطين الصناعية من ١٢٠٠ مشروع ، عشية نشوب الحرب العالمية الاولى ، الى ٢٢٠٠ مشروع في العام ١٩٣٣ ، وان عجزت الصناعة العربية عن منافسة الصناعة اليهودية ، بسبب افتقار الاولى لرؤوس الاموال الضخمة والى المهارة الفنية ، والمواد الخام المجتلبة من الخارج ، واخيرا الى الحماية الجمركية (٢٦) • وهي امور تمتعت بها الصناعة اليهودية وحدها ، مما جعلها تتقدم على الصناعة العربية باضطراد • فصناعة الصابون في القطاع اليهودي ، مثلا ، اضرت بصناعة الصابون العربية ، على الوجه الذي يبينه الجدول رقم (٤) •

جدول رقم (٤)

قيمة المصدر من الصابون الفلسطيني (٢٧)
خلال الاعوام من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤

السنة	قيمة المصدر (بالجنيه الفلسطيني)
١٩٣٠	٢٥٩ر٢٠٦
١٩٣١	٩٤١ر١١٩
١٩٣٢	١٠١ر١٠٨
١٩٣٣	٣٤٢ر٧٩
١٩٣٤	٥٣٢ر٧١

وهكذا ، يوضح الجدول رقم (٤) مدى التدهور الذي اصاب صناعة الصابون العربية · ففي خمسة اعوام انحدر المصدر من هذه الصناعة الى نحو الثلث · وربما عاد هذا الانحدار ، ايضا ، الى الكساد العالمي ، انئذ ، والى فرض الحكومة المصرية رسوما جمركية ، منذ العام ١٩٣٠ ، على الصابون الوارد اليها (٣٨) · ومعروف ان مصر كانت السوق الرئيسية للصابون الفلسطيني ·

وفي هذا الصدد ، لاحظ مدير الجمارك والمكوس والتجارة في فلسطين ـ بحق ـ انه « حتى يقيض لاي معمل النجاح الثابت يجب ان يوجه انظاره الى الاسواق المصرية والسورية ، لاستهلاك القسم الاكبر من منتوجاته ، لا الى الاسواق الفلسطينية » · (٢٩)

وخلال العام ١٩٣٤ ، بلغ عدد الشركات (عربية ويهودية) التي تسجلت ، ٢٢٧ شركة ، لا يقل مجمل رؤوس اموالها عن ٢٫١٨٠٫٠٠٠ جنيه فلسطيني، يقابل ذلك ٨٩ شركة تسجلت في العام ١٩٣٣ ، لم تزد رؤوس اموالها عن ٥٤٠٫٠٠٠ جنيه فلسطيني · يضاف الى ذلك ان ٣٥ شركة زادت رأس مالها من ١٫٧٣٧٫٠٠٠ جنيه فلسطيني الى ٤٫١٤١٫٠٠٠ جنيه · وما حصل في هذا الصدد ، في العام المذكور ، كان ان زادت ١٥ شركة فقط رأسمالها من ٨٧٫٠٠٠ الى ٨٠٫٠٠٠ جنيه فلسطيني · وعليه زادت ، في العام ١٩٣٤ ، قيمة البضائع المصنوعة محليا (عربية ويهودية) ١٠٪ على مثلها في العام السابق · حتى بلغت نحو ستة ملايين ونصف مليون جنيه فلسطيني · واتسعت حركة البناء لدرجة ان الاسمنت المستخرج محليا ، مع ازدياد مقاديره ، لم يكف لسد حاجة البلاد ، واقتضى الامر زيادة الوارد منه من الخارج الى أربعة أمثال · (٣٠)

وفي نهاية العام ١٩٣٤ ، أصدرت « **شركة مناجم الكبريت المحدودة في غزة** » ميزانيتها عن ذلك العام ، وفيها اعلنت ان رأسمالها المسجل والمدفوع بلغ ٢٥٫٣٠٠ جنيه فلسطيني ، وبلغ ما صرفته الشركة لنهاية العام ١٩٣٤ ، على الامتياز وحقوق المناجم والماكينات والعمارات والطرق واجهزة توريد الماء ومصاريف التجارب وغيرها ، ٢٨٫٩٨٠ جنيها فلسطينيا · (٣١)

وشهد العام ١٩٣٥ نشاطا ملموسا في تشكيل الشركات العربية الفلسطينية · فشكلت ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٥ ، « **شركة باصات الرملة ـ اللد المحدودة** » ، كنتيجة لدمج خطي الرملة ـ يافا ، واللد ـ يافا · وكان رأس مال الشركة ١٤٫٠٠٠ جنيه فلسطيني ، قسم الى ١٤٫٠٠٠ سهم (٣٢) · وفي شباط (فبراير) من العام نفسه زادت « **الشركة العربية للسجاير والتبغ** » رأسمالها من ١٠٫٠٠٠ جنيه فلسطيني الى ١٥٫٠٠٠ جنيه · كما تألفت « **شركة استيراد الافلام السينمائية** » ، من **مصطفى محي الدين الحسيني** (القدس) ، **ممدوح النابلسي** (يافا) ، **نافذ محي الدين الحسيني** (القدس) ، **الدكتور داوود**

الحسيني (يافا) ، **على محي الدين الحسيني** (القدس) ، **وزين الدين طاهر الحسيني** (القدس) (٣٣) · وفي أيار (مايو) من العام نفسه ألف بمدينة يافا ، كل من **فرح ونقولا وسمعان وخليل واندراوس شامية** شركة عاديـــة باســم « **شركة مصنع الشمنتو** » ، غايتها صنع البلاط والاغراض الاخرى التي تصنع من الاسمنت (٣٤) · وفي تموز (يوليو) أسس ، في نابلس ، كل من **حمدي النابلسي وتركي كنعان** معملا للحرير · كما تكونت « **شركة المعامل العربيـــة** » لبيع واصلاح وسكب وتركيب كافة انواع الموتورات والماكينات والمواسيـــر ، والقيام بجميع الاشغال الحديدية والخشبية ، برأس مال قدره عشرون الـــف جنيه فلسطيني ، مقسما الى عشرة الاف سهم (٣٥) · وفي ايلول (سبتمبـر) ، تسجلت **شركة السيارات لنقل الركاب والمشحونات العادية والتجارية** ، بين عكا والبصة ، وخول كل من **حسني العاصي** ، **وميخائيل جبور منصور** ، **وروبيـــن الشاطر** ، بالتوقيع عن الشركة مع اثنين من شركائهم الاخرين · كما سجلـــت **الجمعيات التعاونية للتسليف والتوفير : ١ ـ جمعية الجورة** (قضاء غـزة) ، **٢ ـ جمعية بربرة** (قضاء غزة) ، **٣ ـ جمعية سليوة** (قضاء يافا) ، **٤ ـ جمعية عصيرة** الشمالية (قضاء نابلس) ، **٥ ـ جمعية دير غسانة** (قضاء رام الله) ، **٦ ـ جمعية بزبغ** (قضاء رام الله) ، **٧ ـ جمعية بيت لفتا** (قضاء رام الله) ، **٨ ـ جمعية ريما** (قضاء رام الله) (٣٦) ·

وفي نهاية العام ١٩٣٦ ، كان في فلسطين نحو ستة الاف مشروع صناعـي ، منها ٤٥٠٠ مشروع صناعة يدوية ، يشتغل في كل منها ما يقل عن خمســـة اشخاص ، بما فيهم اصحاب المشروع ، و ١٥٠٠ مؤسسة صناعية · وقد ربـا مجمل رؤوس الاموال المستثمرة في هذه الصناعات على عشرة ملايين جنيـه فلسطيني ، وبلغ عدد العمال الذين يشتغلون فيها حوالي اربعين الف عامل · واحتل المستوطنون اليهود ومؤسساتهم ٤١٥٧ مشروعا من المشاريـــع الالاف الستة المذكورة ، منها ١٢٤٦ مؤسسة صناعية و ٢٩١١ حرفة ، وبلغ مجمـــل رأس المال المستثمر في هذه المشاريـــع الصناعيـــة ٨ر١١٦ر٠٠٠ جنيـه فلسطيني (٣٧) ·

وما ان اندلعت ثورة ١٩٣٦ العربية الفلسطينية ، في ٢٠ نيسان (ابريـل) من العام المذكور ، حتى أصابت بتأثيرها الصناعات العربية واليهودية عـــلى السواء : العربية بفعل توقف الاعمال ، واليهودية بسبب اغلاق الاسواق العربية الفلسطينية في وجهها من جهة ، ولانخفاض معدل الهجرة اليهودية الوافدة الى فلسطين من جهة ثانية ، ولهبوط حجم رؤوس الاموال اليهوديـــة الوافـــدة بالتالي ، هذا بالاضافة الى تعطل عمال البناء ، وما ترتب على ذلك من ضعف القوة الشرائية · وتضررت محلات كثيرة من جراء الخلل في جهازها المالي · فالصعوبة الاولى أدت الى العجز واعادة تنظيم رأس المال او الاغراق فـــي

الدين · وكانت نتيجة الصعوبة الثانية ان منيت صناعات عديدة بالخسائر التي سددت في بعض الاحيان من رأس المال نفسه · وكثيرا ما كان البطء الشديد في حركة رأس المال يزيد حالات العجز والخسائر ·

ويوضح الجدول رقم (٥) حجم الانتاج الاقتصادي اليهودي والعربي في العام ١٩٣٦ ·

جدول رقم (٥)

جدول الانتاج الاقتصادي في العام ١٩٣٦ (٣٩)

	الزراعة	الصناعة	البناء	الخدمات	المجموع
اليهود	٢١١	٤٢٩	ـ	ـ	٧٥٠
غير اليهود	٧٦	ـ	٢٠٠	٨٧٤	١ر١٥٠

ومن الملاحظ في هذا الجدول ، لجوء الباحثين الاسرائيليين الى ما يلجأون اليه عادة ، اذ يركزون على القطاعات اليهودية ، ويجملون كل ما عداها في « خانة » واحدة ، تحت اسم « غير اليهود » ، ليعطوا انطباعا للقراء بان المستوطنين اليهود هم الاصل ، وما عداهم ـ بما فيهم السكان الاصليون ـ دخلاء · وبعد هذه الملاحظة الشكلية ـ الجوهرية ، نلحظ ان قطاعي البناء والخدمات في القطاع اليهودي اضيرا ، في حين اضيرت الصناعة العربية ، التي توقف عمالها عن العمل بسبب الاضراب العام الذي شمل فلسطين حوالي ستة أشهر (من ١٠ نيسان ـ ١١ تشرين الاول ، اكتوبر ، ١٩٣٦) ·

وفي نهاية الثلاثينات كانت أوضاع الصناعتين المتنافستين ـ العربية واليهودية ـ على الشكل الذي يبينه الجدول رقم (٦) ·

جدول رقم (٦)

حجم الصناعات العربية واليهودية والامتيازات في العام ١٩٣٩ (٤٠)

	الصناعة اليهودية	الصناعة العربية	الامتيازات
الاشخاص العاملون	١٣ر٦٧٨	٤ر١١٧	٢ر٦١٩
الانتاج القائم	٦ر٠٤٦	١ر٥٤٥	١ر٢٥١
الانتاج الصافي	٢ر٤٤٥	٣١٣	١ر١٠٦
رأس المال المستثمر (الف جنيه)	٤ر٣٩١	٧٠٣	٥ر٧٩٩
قوة الماكينات (حصان)	٤٠ر٦٩٤	٣ر٩١٤	١٣٣ر١٢٨
الرواتب والاجور (الف جنيه)	١ر٠٠٨	١٢٢	٠ر٢٧٤

ويتضح من الجدول رقم (٦) مدى التدهور الذي أصاب الصناعة العربية ، والهبوط الشديد في حجم العاملين فيها · بينما نجحت الصناعة اليهودية في التركيز على القطاع الصناعي في سني الثورة ، فتوسعت في استيراد الماكينات ، حتى بلغت قيمة ما استورد منها في النصف الثاني من العام ١٩٣٧ ـ حسب الاحصاء الحكومي ـ ٣٤٦ر٠٠٠ جنيه فلسطيني بينما بلغ في النصف الثاني من العام ١٩٣٦ ، زهاء ١٩٣ر٠٠٠ جنيه فلسطيني فقط ·

على ان مشكلات واجهت الصناعة الفلسطينية ، أبان الثلاثينات ، لعل اهمها (٤١) :

١ ـ **سوق محدودة** ، في الداخل والخارج ،

٢ ـ **منافسة شديدة** ، نظرا لوجود عدد كبير من المحلات المتماثلة ، وما ترتب على ذلك من هبوط في الاسعار ، وجرت محاولة لعقد اتفاقات اسعار وتحديد انتاج ، الا انها لم تدم طويلا ، هذا بالاضافة الى منافسة السلع الاجنبية ،

٣ ـ **اعتماد قسم كبير من الصناعة على حركة البناء وعلى زراعة الاشجار الحمضية** ·

٤ ـ **ضعف الجهاز المالي** ، نتيجة بطء حركة رؤوس الاموال وزيادة النفقات الادارية ، خاصة في الصناعة اليهودية ·

٥ ـ **العلاقات السياسية المتوترة** بين العرب واليهود ، وما ترتب على ذلك من مقاطعة البلدان العربية المجاورة للمنتجات اليهودية في فلسطين ·

٦ ـ **العقبات العديدة المتنوعة التي نثرها الاستعمار البريطاني** في طريق الصناعة العربية الفلسطينية ·

ويعتبر **تضييق التعليم الصناعي** ضمن هذه العقبات ، حيث لم ينشىء الاستعمار البريطاني في فلسطين سوى مدرسة صناعية واحدة في الاربعينات ، هي « **مدرسة المعارف للصناعة في حيفا** » ولم تكن تخرج في السنة الواحدة أكثر من عشرين طالبا ، بتعليم صناعي يفتقر الى الحداثة (٤٢) · أما حتى اواخر الثلاثينات فلم يكن في القطاع العربي اثر لتعليم صناعي فني ، بل ان وظيفة مراقب التعليم الصناعي الذي انتدبته ، **دائرة المعارف** في حكومة الانتداب عام ١٩٣٠ ، لم تتعد « اسداء النصح للحكومة في المسائل المتعلقة بالصناعة او الفنون » على حد تعبير تقرير حكومة فلسطين عن المعارف لسنة ١٩٣٥ (٤٣) · وعادت حكومة الانتداب فأرسلت ، في صيف ١٩٣٥ ، بعثة صناعية من الطلبة العرب الفلسطينيين الى مدرسة الصنائع والفنون بالقاهرة (٤٤) ·

على ان الاستعمار البريطاني اضطر الى الاعتماد على الصناعة الفلسطينية ،

طوال سني الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ، لسد احتياجات قواته المرابطة في فلسطين · خاصة بعد ان تضخم عدد السفن البريطانية التي اغرقتها الغواصات والسفن الحربية الالمانية ، وبعد ان ضعف الانتاج الصناعي البريطاني، بفعل الحرب ، مما حال دون امكانية مد القوات البريطانية المتناثرة في ارجاء العالم باحتياجاتها من بريطانيا · وتسبب اعتماد الاستعمار البريطاني هذا على الصناعة المحلية الفلسطينية في نمو البرجوازية الفلسطينية من جهة ، وفي نمو الطبقة العاملة العربية الفلسطينية من جهة اخرى · وان كانت الصناعة اليهودية افادت ، من ظرف الحرب ، أكثر من مثيلتها العربية ، بسبب تقدم الصناعة الاولى ، وضخامة رؤوس الاموال التي تدعمها ، وبتأثير الاستعمار البريطاني الذي يعززها ويحميها باجراءاته وتشريعاته ·

وزاد عدد المصانع والمعامل العربية الفلسطينية ، في العام ١٩٤٢ ، اكثر من اربعة اضعاف ونصف ، عما كان عليه عند نشوب الحرب العالمية الثانية في صيف العام ١٩٣٩ ، وارتفع حجم الانتاج العام الى النسبة نفسها ، في حين زادت اثمان المواد الصناعية الى نحو ثلاثة اضعاف ، ومجمل الانتاج الى نحو خمسة اضعاف · اما عدد العاملين فزادت نسبته الى اكثر من الضعف · وهو الامر الذي يبينه الجدول رقم (٧) ·

جدول رقم (٧) حجم الصناعة ومفرداتها في العامين ١٩٣٩ و ١٩٤٢ (٤٥)

السنة	عدد المؤسسات	الانتاج العام	ثمن المواد الصناعية	الانتاج الصافي	عدد العاملين	
					العدد الكلي	عدد اصحاب الوحدات الصناعية والعاملين فيها من افراد عائلته
		ج·ف·	ج·ف·	ج·ف·		
١٩٣٩	٣٣٩	٤١٣ر٥٤٥ر١	٣٦٤ر٢٣٢ر١	١٤٩ر٣١٣	٤ر١١٧	٧٥٤
١٩٤٢	١ر٥٥٨	٢٢ر٦٥٨ر٥	٤٥٩ر٩٢٣ر٣	٧٩٣ر٧٢٤ر١	٨ر٨٠٤	٢ر٥٩٥

والتفاوت بين الصناعتين العربية واليهودية يكشفه الجدول رقم (٨)

جدول رقم (٨) المنشآت الصناعية العربية واليهودية في العام ١٩٤٥ (٤٦)

	العدد	رأس المال (مليون ج·ف·)	حجم الانتاج (مليون ج·ف·)
منشآت عربية	١٥٥٨	٢	٥ر٦
منشآت يهودية	١٩٠٧	١٢	٢٩ر٠٠
المجموع	٣ر٤٦٥	١٤	٣٤ر٦

ويكشف الجدول رقم (٨) عن مدى ضعف الوحدات الصناعية العربية وصغر حجمها ، وفقرها المالي ، وبالتالي تدني انتاجها ، قياسا الى مثيلاتها في القطاع اليهودي ·

وفي خريف العام ١٩٤٧ قدم احد الخبراء الصهيونيين تقريرا ، رصد فيه التقدم الاقتصادي في القطاع الغربي من فلسطين ، فذكر ان الصناعة الفلسطينية اصبحت منظمة ، وقفز عدد المصانع العربية الى ٢٧٤١ ، باستثناء معامل عصر الزيتون ، والسيرج ، والثلج ، والمطابع ، وغيرها • ودرت هذه المصانع ارباحا سنوية قدرها زهاء عشرة ملايين جنيه فلسطيني ، واشتغل فيها حوالي ٥،٨٠٠ عامل عربي (٤٧) •

هذا ، في الوقت الذي اخذت احوال الاقتصاد اليهودي في فلسطين تتجه الى الأسوأ ، حيث ادت المقاطعة العربية للبضائع اليهودية ـ حتى شباط (فبراير) ١٩٤٧ ـ الى تصفية نشاط ٣٣ شركة يهودية ، كما اضطر عدد آخر من المصانع اليهودية الى تخفيض انتاجه ، مما زاد عدد العاطلين من العمال اليهود ، حتى بلغ حوالي (اثني عشر ألف عامل) كما ان عشرين الف عامل اخرين كانوا لا يشتغلون الا اياما محدودة في الاسبوع (٤٨) •

ويبين الجدول رقم (٩) مدى تطور الصناعة ، وتوزيعها ما بين العرب واليهود والاجانب ، في العام ١٩٤٧ •

جـــدول رقـــم (٩)

تطور الصناعة وتوزيعها بين العرب واليهود والاجانب في العام ١٩٤٧ (٤٩)

	الامتيازات الاجنبية	الصناعة اليهودية	الصناعة غير اليهودية
عدد المؤسسات	٥	١٩٠٣	١٥٥٨
عدد العمال	٣٤٢٠	٣٧ر٧٧٣	٨٨٠٤
الانتاج (بآلاف الجنيهات)	١٦٣١	١١ر٤٨٨	١ر٧٢٥
رأس المال (بآلاف الجنيهات)	٦ر٢٩٤	١٢ر٠٩٤	٢ر١٣١
القوى المستهلكة	١٣٣ر٦٧٣	٥٦ر٤١٠	٣ر٨١٢
أجور (بآلاف الجنيهات)	٦١١ .	٥ر٦٤١	٥١١

وما صنف تحت باب « الصناعة غير اليهودية » لا يعني دائما انه « صناعة عربية » ، بل ان عددا كبيرا من هذه الصناعات « غير اليهودية » هو ـ في الواقع ـ اعمال مهنية يقوم بها رجل واحد •

وعلى الرغم من هذا النمو في الصناعة العربية ، ظل البون شاسعا بينها وبين نظيرتها اليهودية ، وهو الامر الذي يوضحه الجدول رقم (١٠) •

الجـــدول رقـــم (١٠)

مقارنة بين اوضاع الاقتصاد العربي والاقتصاد اليهودي في العام ١٩٤٧ (٥٠)

الفرع	العرب (عدد السكان ١٠ر٢٠٠ر٠٠٠)	اليهود (عدد السكان ٦٦٠ر٠٠٠)
أموال مودعة	٣٩ر٣٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠	٦١ر٧٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠
اراض زراعية	٥٧ر٨٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠	٢٤ر٣٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠
صناعات	٢ر١٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠	١٢ر١٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠
اموال مستثمرة	١٣ر١٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠	١٦ر٥٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠
رأس مال تجاري	٢ر٠٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠	٩ر٢٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠
المجموع	١١٤ر٣٠٠ر٠٠٠ج٠ف٠	١٢٣ر٨٠٠ر٠٠٠ ج٠ف٠

وبعد ، فقد انعكس ذلك التطور الصناعي على اوضاع مجمل الطبقات العربية الفلسطينية ، ولعب دورا غير هين في بلورة مواقعها في المجالين الاجتماعي والسياسي ٠

الحواشي :

✶ **الحرفة** ، محل يستخدم اقل من خمسة اشخاص ، بما فيهم أصحاب المحل٠

(١) سعيد حماده ، **النظام الاقتصادي في فلسطين** ، بيروت ، ١٩٣٩ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ٠

(٢) جون هوب سمبسون ، **فلسطين ، تقرير عن الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران** ، القدس ، مطبعة دار الايتام السورية ، ١٩٣٠ ، ص ١٦٣ ٠

(٣) حمادة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥ ٠

(4) Nathan , Report , Cass, Oscar, Creamer, Daniel, **Palestine Problem and Promise** . Washington , 1941 , P. 311 .

(٥) صادق سعد ، **فلسطين بين مخالب الاستعمار** ، القاهرة ، لجنة القاهرة للتأليف والنشر ، ١٩٤٧ ، ص ٦٧ ٠

(٦) أ ٠ بونيه ٠ **الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الاوسط** ، ترجمة راشد البراوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ ، ص ٢٨٥ ٠

✶ يساوي الجنيه الفلسطيني ٩٧٥ مليما مصريا٠ ومعروف ان العمل بالجنيه المصري ظل قائما في فلسطين حتى العام ١٩٢٧ ، حين حل محله الجنيه الفلسطيني ٠ وكان الجنيه الفلسطيني مرادفا للجنيه الانكليزي : **تقرير سمبسون**، ص ١٨ ٠

(٧) سعد ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٦٣ ٠

(٨) بونيه ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ٠

(٩) **المصدر نفسه** ، ص ٣١١ ـ ٣١٢٠

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ٣١٤ ٠

(١١) حمادة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٦ ـ ٢٩١ ٠

(١٢) **تقرير اللجنة الملكية** ، القدس ، ١٩٣٧ ، ص ٢٧٨ ٠

(١٣) حمادة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٩٧ ٠

(١٤) **المصدر نفسه** ، ص ٣٠٥ ٠

(١٥) تقرير اللجنة الملكية ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ٠

(١٦) **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ ٠

(١٧) **المصدر نفسه** ، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ٠

(١٨) **المصدر نفسه** ، ص ٢٧٩ + **تقرير سمبسون** ، ص ١٦٨ ٠

(١٩) تقرير سمبسون، ص ١٥٨ـ١٦٨ ٠

(٢٠) حمادة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢١٤ ٠

(٢١) بونيه ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٢٧ ٠

(٢٢) **الكوكب** (القاهرة) ١٤ـ١ـ١٩١٩ ٠

(٢٣) **الكوكب** ، ٢١ـ١ـ١٩١٩ ٠

(٢٤) **الاخاء** (القاهرة) ، العدد السادس ، السنة الثانية ، أيلول (سبتمبر) ١٩٢٥ ٠

(٢٥) **السياسة الاسبوعية** (القاهرة) ١١ـ٨ـ١٩٢٨ ٠

(٢٦) تقرير اللجنة الملكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ٠

(27) **Parliamentary Debates** , House of Commons , Vol. 155 , P. 531 .

(٢٨) مشكلة زيت الزيتون في فلسطين، **الاقتصاديات العربية** (القدس) ، العدد الثامن ، ١٥ـ٤ـ١٩٣٥ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠

(٢٩) تقرير سمبسون ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٦ ٠

(٣٠) **الاقتصاديات العربية**، العدد ١٣، ١ـ٧ـ١٩٣٥ ٠

(٣١) **الاقتصاديات العربية** ، العدد ١١ ، ١ـ٦ـ١٩٣٥ ٠

(٣٢) **الاقتصاديات العربية** ، العدد الثاني ، ١٥ـ١ـ١٩٣٥ ٠

(٣٣) **الاقتصاديات العربية** ، العدد الخامس ، ١ـ٣ـ١٩٣٥ ٠

(٣٤) **الاقتصاديات العربية** ، العدد الحادي عشر ، ١ـ٦ـ١٩٣٥ ٠

(٣٥) **الاقتصاديات العربية** ، العدد الخامس عشر ، ١ـ٨ـ١٩٣٥ ٠

(٣٦) **الاقتصاديات العربية** ، العدد التاسع عشر، ١ـ١٠ـ١٩٣٥ ٠

(٣٨) تقرير اللجنة الملكية ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٧٩ ٠

(٣٨) حمادة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ص ٣١٤ ـ ٣١٦ ٠

(39) Szereszwski, Rebort ; **Essays on the Structure of Jewish Economy in Palestine and Israel** . Jerusalem , 1968 , P. 7.

(40) Government of Palestine ; A **Survey of Palestine** , Jerusalem , 1946 , Vol . 1, P. 499 .

(٤١) حمادة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٨٨ ـ ٣٩١ ٠

(٤٢) عصبة التحرر الوطني ، **طريق فلسطين الى الحرية** ، يافا ١٩٤٧ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ٠

(٤٣) **الاقتصاديات العربية** ، العدد السادس عشر ، ١٥ـ٨ـ١٩٣٥ ، ص ٣١ ٠

(٤٤) **الاقتصاديات العربية** ، العدد الخامس عشر ، ١ـ٨ـ١٩٣٥ ، ص ٣٥ ٠

(45) Government of Palestine ; **Statiscal Abstract of Palestine 1944/ 1945** , P.P. 53-58 .

(٤٦) اميل توما ، **جذور القضية الفلسطينية** ، بيروت منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٧٣ ، ص ٢٨٤ + محمد يونس الحسيني ٠ **التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية** ٠ يافا ، مكتبة الطاهر ، ١٩٤٦ ، ص ١٢٦ ٠

(٤٧) **صوت الامة** (القاهرة) لعدد ٣٦٧ ، السنة الثانية ، ٢٨ـ٩ـ١٩٤٧ ٠

(٤٨) **صوت الامة** ، العدد ٣٨٨ ، ٢٢ـ١٠ـ١٩٤٧ ٠

(٤٩) عصبة التحرر الوطني بفلسطين، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤٣ ٠

(٥٠) **المصدر نفسه** ، ص ٤٥ ٠

ماهر الشريف

محاولة أولية للتعرّف على حيثيات العمليّة التاريخية لولادة الحزب الشيوعي في فلسطين "١"

مدخل

عملية ولادة الحركة الشيوعية في فلسطين كانت جزءا من عملية تاريخية شمولية نتج عنها ولادة الحركة الشيوعية العالمية · ومن هنا ، ومع ان العملية التاريخية التي عرفتها فلسطين كانت ذات خصوصيات معينة ، سيكون من الخطأ ان نعزلها عن ظروف العملية التاريخية الشمولية التي عرفتها عشرات البلدان في العالم والتي ادت الى ولادة الحركة الشيوعية العالمية ممثلة بالاممية الشيوعية ·

لقد ارتبطت عملية التمايز السياسي والايديولوجي التي حصلت داخل صفوف الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية العالمية والتي ادت الى انقسام هذه الحركة وولادة الحركة الشيوعية العالمية ارتباطا وثيقا بعاملين اثنين : العامل الاول تجسد بالموقف من الحرب

---

* هذه « المحاولة الاولية » ، للاقتراب من حقيقة الواقعة التاريخية التي نحن بصدد تحليلها ، تبقى محكومة بمحدودية المادة الوثائقية التي تم الاعتماد عليها · فالوثائق العلمية الخاصة بفترة تأسيس الحزب الشيوعي في فلسطين ، والموثوق بها تاريخيا ، معدومة تقريبا ، واغلبها قد كتب من وجهة نظر صهيونية ·

حاولنا خلال هذا البحث ان ندع جانبا مؤلف « والتر لاكور » عن الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط لقناعتنا بانه قد اعتمد اكثر مما يجب من قبل بعض الباحثين العرب المختصين بدراسة الحركة الشيوعية في فلسطين ، علما بانه قد نشر في العام ١٩٥٦ ، وان كاتبه يتعاطف مع الاطروحات الصهيونية الرامية الى تشويه تاريخ الحركة الشيوعية في فلسطين · وقد اعتمدنا من جهتنا ، لانجاز هذا البحث ، على مادتين رئيسيتين : الاولى هي المحاضرة التي قدمها « ماير فلنر » السكرتير العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) تحت عنوان « خمسون سنة من نضالع حزبنا الشيوعي » ، والثانية هي رسالة الدكتوراه التي قدمها الكاتب التقدمي الاسرائيلي ←

العالمية الاولى والعامل الثاني تجسد بالموقف من انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا · فالموقف من الحرب العالمية كان بمثابة نقطة البداية لعملية التمايز التي بدأت تحصل داخل صفوف الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية الاوروبية وداخل صفوف الاممية الثانية (١) · وقد نتج عن عملية التمايز هذه ظهور تيارين متناقضين (٢) : تيار ثوري ـ اممي بقيادة لينين والبلاشفة ادان الحرب ووصفها بانها حرب امبريالية لخدمة مصالح البرجوازية الاوروبية ، ودعا الطبقة العاملة في كل بلد من البلدان المتحاربة للنضال في سبيل اسقاط سلطة (برجوازيتها) من خلال تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية ضد البرجوازية ، وتيار اصلاحي ـ شوفيني عبرت عنه مواقف معظم قادة الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية الاوروبية الذين دعوا الطبقة العاملة للوقوف الى جانب حكومات بلادها البرجوازية والالتزام بموقف « الدفاع عن الوطن » وصوتوا في البرلمانات لصالح قروض ونفقات الحرب ، فخانوا بذلك مبادىء الاشتراكية واسس الاممية البروليتارية ، وضربوا عرض الحائط بالقرارات التي اقروها بانفسهم للنضال ضد الحرب الامبريالية في حال اندلاعها ، وذلك خلال المؤتمر العالمي الذي عقدته الاممية الثانية في « شتوتغارت » في اب ١٩٧٠ ، وفي المؤتمر الاستثنائي الذي انعقد في مدينة « بال » في تشرين الثاني ١٩١٢ ··· تجاه هذا الموقف الشوفيني اعلن لينين القطيعة التامة مع الاممية الثانية وبدأ سعيه اعتبارا من خريف العام ١٩١٤ لتجميع الاتجاهات الثورية الاممية داخل صفوف الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية في سبيل اقامة الاممية الثالثة ، الشيوعية ·

العامل الثاني الذي كان له التاثير الاكبر في حسم عملية التمايز وفي ولادة الحركة الشيوعية العالمية تمثل بانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، اهم حدث عرفه تاريخ الحركة العمالية العالمية منذ ولادتها وحتى يومنا هذا · فاستلام السلطة في روسيا من قبل البلاشفة غير بصورة كاملة موازين القوى ، ليس فقط داخل الحركة العمالية في روسيا ، وانما ايضا داخل الحركة العمالية في العالم أجمع · فبانتصار ثورة اكتوبر وولادة السلطة السوفياتية انتقلت الهيمنة داخل الحركة العمالية العالمية الى ايدي البلاشفة بعد ان كانت في أيدي الالمان ومن قبلهم الانكليز والفرنسيين · لقد كان انتصار ثورة اكتوبر

« ماريو اوفينيرغ » تحت عنوان « الشيوعية في فلسطين ، الامة والطبقة في الثورة المعادية للاستعمار » · مادتان علميتان تم وضعهما حديثا بهدف الكشف عن ماضي الحركة الشيوعية في فلسطين ليكون ذخرا في ايدي القوى التقدمية العربية واليهودية تستفيد منه في نضالها ضد المعسكر الامبريالي ـ الصهيوني الرجعي ، خاصة وان هذه الحركة قد سجلت في تاريخها ، على الرغم من الاخطاء والانحرافات التي وقعت فيها ، وعلى الرغم من مظاهر الضعف التي انتابتها ، صفحات رائعة في النضال ضد الامبريالية وضد الصهيونية ، في سبيل الاستقلال القومي وتحقيق اخوة الكادحين العرب واليهود ، في سبيل اقامة صرح شامخ لافكار الاشتراكية العلمية في بلدنا ، فلسطين ···

اخيرا ، يجب اعتبار هذا البحث بمثابة تكملة ، ولو غير مباشرة ، للبحث الذي انجزناه حول قضية فلسطين ومناقشات المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ، والذي نشر على صفحات « شؤون فلسطينية » ·

مستبعدا من دون اندلاع الحرب العالمية ، مثلما كان مستبعدا اندفاع التيار الثوري الاممي داخل الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية للانشقاق نهائيا عن هذه الحركة وتشكيل الحركة الشيوعية من دون انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ٠

ضمن هذا الاطار التاريخي العالمي علينا ان نضع العملية التاريخية التي عرفتها فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، والتي نتج عنها ولادة الحركة الشيوعية ليسهل علينا التعرف على حيثيات ومراحل هذه العملية ، وعلى الظروف الخاصة التي جرت في اطارها ٠٠٠ ولكن ما هو اسلوب البحث الذي سنتبعه للوصول الى ذلك ؟ ٠٠٠

في الحقيقة هناك عدة افتراضات يمكن الانطلاق منها والسعي لاثبات صحتها ٠٠٠ بامكان الباحث الانطلاق مثلا من الرأي القائل بان الحركة الشيوعية في فلسطين قد تشكلت في أوائل العشرينات بعد أن أرسلت قيادة الاممية الشيوعية ببعض مبعوثيها الى هذا البلد لتأسيس حزب بلشفي (٣) ٠٠ اننا من جهتنا نعارض هذا الرأي ليس فقط لانه ينطلق من دوافع مغرضة ، وانما اساسا لانه ينظر للعملية التاريخية نظرة مثالية وكأنها نتاج نشاط خارق قام به بعض موفدي موسكو ٠ وانطلاقا من هنا فاننا نرفض النهج الذي ينتهجه بعض الباحثين الذين يدرسون بدايات تشكل النواة الشيوعية الاولى في فلسطين في العام ١٩١٩ ، دون ان يروا الضرورة لدراسة الجذور التاريخية لهذه النواة ، والارضية التاريخية التي قامت عليها ٠

من المعروف بأن النواة الاولى للحركة الشيوعية في فلسطين قد ظهرت بين أوساط المهاجرين من العمال اليهود ، ولذلك فمن الضروري لدراسة الجذور التاريخية لهذه النواة الرجوع الى تاريخ نشوء وتطور الحركة العمالية اليهودية في فلسطين ٠ وهكذا بامكاننا تحديد الافتراض الذي سننطلق منه على الوجه التالي: تشكلت النواة الشيوعية الاولى في فلسطين كنتاج لعملية تمايز سياسي وايديولوجي حصلت داخل الحركة العمالية اليهودية وحسمت في ظروف تاريخية ملائمة عالميا ومحليا ٠٠

اولا : نشوء وتطور الحركة العمالية اليهودية في فلسطين :

ترافق ظهور المنظمات العمالية اليهودية في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر مع تصاعد حركة الاستيطان الصهيوني ٠ فمنذ العام ١٨٨٧ تشكلت جمعية عمالية لقيادة تحرك عمال مستوطنة « ريشون تسيون » ضد ادارة البارون روتشيلد عرفت تحت اسم « منظمة العمال » ٠ وفي العام ١٨٩١ ظهرت منظمة عمالية يهودية جديدة تحت اسم « الوطن والعمل » ٠ وبعد عدة سنوات من ذلك ، اقام العمال الزراعيون اليهود منظمتهم النقابية الاولى في العام ١٨٩٩ ٠ وفي تلك الفترة كان عدد العائلات العمالية اليهودية يقدر بحوالي (٥٣٢) عائلة (٤) ٠

ولكن ، وبما أن جميع هذه المنظمات العمالية التي ظهرت في أواخر القرن الماضي لم تكن بالحقيقة سوى منظمات عابرة ووقتية ، فان تاريخ الحركة العمالية اليهودية في فلسطين لا يبدأ فعلا الا مع وصول « الرواد الاوائل » من مجموعة « هومل » (HOMEL) الذين فتحوا ، بوصولهم الى فلسطين في كانون الثاني ١٩٠٤ ، عهدا جديدا في تاريخ الاستيطان الصهيوني عرف تحت اسم الموجة الثانية من الهجرة ، التي انطلقت من روسيا القيصرية في ظل ظروف خاصة تميزت بالحرب الروسية ـ اليابانية ، وبالثورة الروسية الاولى ، وباندلاع موجة جديدة من معاداة السامية ترافقت مع مذابح همجية نظمتها

الرجعية الروسية ضد اليهود بهدف صرف غضب وسخط الجماهير الكادحة على نظام القيصر ، وهكذا غادر أوديسا الى فلسطين خلال العام ١٩٠٥ (١٢٣٠) مهاجرا ، وخلال العام ١٩٠٦ (٣٤٥٩) مهاجرا · وتراوح عدد المهاجرين الجدد الذين وصلوا الى فلسطين بين بداية العام ١٩٠٤ وبداية الحرب العالمية الاولى بين (٣٥) الف و (٤٠) الف مهاجر (٥) ·

كانت الموجة الثانية من الهجرة اليهودية الى فلسطين تعتمد اساسا على منظمتين : الاولى تدعى « شبيبة صهيون » (Zeiri zion) والثانية « بوعالي- تسيون » ، (Poalei Zion) او « عمال صهيون » (٦) ·

كانت منظمة « شبيبة صهيون » تجمع الطلاب والشباب والمثقفين الصهيونيين المستائين من عجز المنظمة الصهيونية العالمية عن انجاز مشروعها الاستيطاني في فلسطين · فكان انصار هذه المنظمة يدعون لزيادة وتائر الهجرة الى فلسطين وزيادة النشاط العملي الرامي الى انجاز المشروع الصهيوني فيها ، حيث كانوا يحلمون بتشييد « اسس مجتمع عمالي يهودي ، ديمقراطي تقدمي ويتكلم العبرية » · وكانت منطلقاتهم الاجتماعية متأثرة الى حد كبير بمنطلقات الفكر الشعبي (Populiste) الروسي ، وتتميز بطابعها المثالي والرومانسي ·

أما أعضاء البوعالي تسيون الذين هاجروا الى فلسطين فكانوا اساسا من كوادر البوعالي تسيون الروسي بقيادة « بوروشوف » (٧) الذين قرروا الانتقال الى فلسطين بشكل افرادي للمساهمة في « عملية التجميع الاقليمي للشعب اليهودي » وخوض « النضال الطبقي والقومي الحقيقيين » · وبالاختلاف عن « شبيبة صهيون » كانت مجموعة البوعالي تسيون تتمسك باللغة اليديشية وتسعى لتطوير « ثقافة يديشية ، علمانية وتقدمية » في فلسطين ·

كانت الظروف المعاشية في فلسطين قاسية جدا بالنسبة للمهاجرين القادمين ضمن الموجة الثانية من الهجرة اليهودية · فالعمل كان معدوما تقريبا في البلاد ، خاصة وان اصحاب المزارع الصهيونية كانوا يفضلون انذاك اليد العاملة العربية الاقل كلفة والاكثر تجربة على اليد العاملة اليهودية · وامام هذا الواقع الصعب ، اضطر عدد كبير من القادمين الجدد (حوالي ٨٠٪ من الذين وصلوا الى فلسطين بين أعوام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٦) الى مغادرة البلاد ، فعاد قسم منهم الى روسيا ، وتوجه القسم الاخر الى الولايات المتحدة الاميركية · وقد تشكلت النواة الاولى للحركة العمالية الصهيونية في فلسطين بين اوساط المهاجرين الذين قرروا مجابهة الظروف المعاشية الصعبة والبقاء في فلسطين ·

خلال العام ١٩٠٥ عقد اعضاء البوعالي تسيون اجتماعا عاما في مستوطنة « بتاح تكفا » لتوحيد جميع العمال اليهود في فلسطين واقامة منظمة عمالية يهودية موحدة · غير ان محاولتهم هذه باءت بالفشل بعد ظهور اختلافات حول طبيعة البرنامج السياسي والايديولوجي وحول اسم المنظمة العمالية ، خاصة بعد ان رفضت اغلبية المشاركين في هذا الاجتماع الاقتراح الذي تقدم به اعضاء البوعالي تسيون والقاضي باعطاء اسم منظمتهم للمنظمة العمالية الموحدة المزمع تأسيسها (٨) ·

وهكذا ، وبعد فشل هذه المحاولة التوحيدية ، تأسست منظمتان عماليتان مختلفتان : البوعالي تسيون الفلسطيني في اكتوبر ١٩٠٥ من جهة ، و «Hapoel Hatzair» او « العامل الفتي » في نوفمبر ١٩٠٥ من جهة اخرى · وكانت المنظمة الاولى تضم ستين

عضوا ، اما المنظمة الثانية فكانت تضم تسعين عضوا (٩) ٠

لم يكن لمنظمة « العمل الفتي » خط سياسي واضح ومحدد ، بل كانت تستند على التجريبية وترفض بصورة مبدئية الخوض في النقاش الايديولوجي٠وكانت تعطي اهمية كبرى للعمل اليدوي لقيمته المثالية ولدوره في عملية « التحرر القومي للشعب اليهودي » ٠ وكان مبدأ « احتلال العمل لصالح العمال اليهود » احد المبادىء الرئيسية لسياسة هذه المنظمة، فكان الشعار التالي يتصدر دوما الجريدة التي تصدرها : « ان الشرط الضروري لتحقيق الصهيونية يتمثل باحتلال جميع أماكن العمل في فلسطين لصالح اليد العاملة اليهودية » (١٠) ٠ وكانت منظمة « العامل الفتي » تعارض الماركسية وترفض الارتباط بأي منظمة اشتراكية صهيونية ٠

أما منظمة البوعالي تسيون فكانت تتميز على العكس بطابعها الايديولوجي الواضح وكانت المنظمة على ارتباط وثيق بالبوعالي تسيون الروسي ، وتنتمي الى الاتحاد العالمي للبوعالي تسيون (١١) ٠ وكان اول تحرك سياسي للبوعالي تسيون في فلسطين في الاول من أيار ١٩٠٦ ، حيث جرى تنظيم مسيرة جماهيرية ، للاحتفال بعيد العمال العالمي ، سار فيها بضعة عشرات من العمال اليهود خلف رايات الحزب (١٢) ٠

جابه اعضاء البوعالي تسيون في البداية صعوبات عديدة للتأقلم مع الوضع الجديد السائد في فلسطين ، واضطروا في النهاية الى القبول باللغة العبرية وقرروا المشاركة في مؤتمرات المنظمة الصهيونية العالمية ٠

انعقد المؤتمر التأسيسي لحزب البوعالي تسيون الفلسطيني في فندق « سبيكتور » بمدينة يافا في اكتوبر ١٩٠٦ ٠ وقد ساهم في أعمال هذا المؤتمر (١٥٠) عضوا ٠ وقد انتخب « دافيد بن غوريون » الذي وصل الى فلسطين قبل شهر واحد من انعقاد هذا المؤتمر ، رئيسا للمؤتمر التأسيسي للبوعالي تسيون (١٣) ٠ ويذكر « اسرائيل شوهات » (Israel Shohat) ، أحد الذين ساهموا في اعمال المؤتمر ، بان نقاشات حامية جدا قد دارت بين المندوبين للاختيار بين عبارة « العمال اليهود » وبين عبارة « عمال ارض اسرائيل ـ فلسطين » ٠ وبنتيجة هذه النقاشات وافق المؤتمر على اقامة « منظمة عامة للعمال اليهود في فلسطين » ورفض فكرة اقامة منظمة مشتركة تجمع العمال العرب واليهود جنبا الى جنب (١٤) ٠

انتخب المؤتمر التأسيسي للبوعالي تسيون الفلسطيني في نهاية اعماله لجنة مركزية مؤلفة من خمسة اعضاء ، وقرر تكليف لجنة خاصة مؤلفة من عشرة اعضاء بصياغة القاعدة الايديولوجية والسياسية للحزب ٠ وخلال الاجتماع السري الذي عقدته هذه اللجنة بمدينة الرملة ظهر اتجاهان : اتجاه « يساري » اطلق عليه اسم اتجاه « روستوف » (Rostov) كان يدعو لصياغة قاعدة ماركسية واضحة المعالم ، واتجاه « يميني » بقيادة « بن غوريون » كان يدعو لصياغة قاعدة سياسية تؤكد على « العامل القومي والضرورات الصهيونية » ٠ (١٥) وفي نهاية هذا الاجتماع تم الاتفاق على مشروع قاعدة سياسية لاقرارها من قبل المؤتمر الاول للحزب الذي تقرر عقده ، بعد اسابيع قليلة من انتهاء اعمال اللجنة ، بمدينة يافا ٠

كانت القاعدة السياسية للبوعالي تسيون الفلسطيني تنطلق من الفكرة القائلة بان تاريخ الانسانية هو « سلسلة متواصلة من نضالات طبقية ونضالات قومية » ٠ ثم تشير الى الموضوعة التي كان « بوروشوف » قد أشار اليها والقائلة « بان الطبقة العاملة اليهودية

ستتشكل في فلسطين بعد ان يستثمر الرأسماليون اليهود اموالهم في هذا البلد » · وقد أكدت القاعدة السياسية على ان البوعالي تسيون يناضل « في سبيل الاستقلال السياسي لليهود في فلسطين وفي سبيل اقامة مجتمع اشتراكي » ، كما أقرت مبدأ المساهمة بمؤتمرات المنظمة الصهيونية العالمية ومبدأ الانضمام الى الاممية الثانية (١٦) ·

خلال تلك الفترة كانت قيادة البوعالي تسيون تبحث آذن عن « طريق فلسطيني » للجمع بين الصهيونية والاشتراكية · فأضيف الى مبدأ « الصراع الطبقي » بمفهومه البورشوفي طبعا ، مبدأ « احتلال العمل » الصهيوني ، الذي كان يؤكد على ضرورة احتلال جميع أماكن العمل في فلسطين لصالح اليد العاملة اليهودية ومقاطعة المنتوجات العربية · فالقيادة العمالية الصهيونية كانت تهدف الى تهويد كافة المرافق الاقتصادية في فلسطين ، وكان شعار « احتلال العمل » و « احتلال الارض » اداة تحقيق ذلك · ومن الطبيعي ان تشكل هذه السياسة الصهيونية الشوفينية عائقا كبيرا امام تطوير علاقات نضالية مشتركة بين العمال العرب واليهود ·

في المؤتمر الاول للبوعالي تسيون الفلسطيني دارت نقاشات حامية جدا حول قضية العلاقة بين الحزب وبين العمال العرب خاصة في المجال النقابي · وقد طالب انصار « اتجاه روستوف » بتوسيع نشاطات الحزب النقابية والسعي لاقامة نقابات مشتركة يهودية ـ عربية · ولكن اغلبية المندوبين بقيادة « بن غوريون » عارضت بصورة قاطعة فكرة القيام بأي نشاط نقابي داخل الوسط العربي ورفضت فكرة اقامة نقابات مشتركة ·

وقد علق احد الذين ساهموا في أعمال المؤتمر على هذه النقاشات فكتب : « ان القياديين الذين كانوا يتحدثون بازدراء عن قضية تنظيم العمال العرب قد هوجموا بشدة اثناء النقاشات ··· وكان بن غوريون الصاعد قد رفض بصورة قاطعة فكرة انضمام العمال العرب لنقابة العمال الزراعيين ··· وقد تفاقمت الخلافات الى حد بات يهدد بالانشقاق · واخيرا تم تجاوز خطر الانشقاق بعد ان تقدمت الاغلبية باقتراح ينص على تحريم اي نشاط نقابي رسمي للحزب داخل الوسط العربي ، على شرط ان يكون لاعضاء الحزب الحق بالاهتمام بهذه القضية بصورة افرادية ·· » (١٧) ·

وقد ثبت فيما بعد بان الموقف التوفيقي الذي اتخذه مؤتمر يافا بخصوص قضية تنظيم العمال العرب غير قابل للتطبيق عمليا · فاثيرت هذه القضية من جديد في العام التالي ، وتابع انصار « اتجاه روستوف » اصرارهم على ضرورة اقامة منظمات نقابية مشتركة يهودية ـ عربية · وقد كتب «.ابراهام سافرانسكي » احد ممثلي هذا الاتجاه انذاك بانه « عوضا عن طرح شعار احتلال العمل الذي يعني طرد العرب من اعمالهم ، يجب على العامل اليهودي ان يسعى لتنظيم العامل العربي والحد من تأثير الافندية عليه » (١٨) ·

وبالفعل ساهم أنصار « اتجاه روستوف » بتنظيم اول اضراب للعمال الزراعيين العرب من قرية « يهوديا » العاملين في مزارع الحمضيات بمستوطنة « بتاح تكفا » ، وذلك احتجاجا على تدني اجورهم · غير ان هذا الاضراب قد اجهض بعد ان تحالفت الادارة العثمانية مع المستوطنين اليهود ومع القادة العماليين الصهاينة · ومع ان العمال المضربين العرب قد تعرضوا لتعذيب وحشي للافشاء عن اسماء منظمي الاضراب ، الا انهم تحملوا التحقيقات البوليسية ولم يخونوا رفاقهم اليهود (١٩) ·

لم يستمر قادة البوعالي تسيون طويلا في بحثهم عن « طريق فلسطيني » للجمع بين الصهيونية والاشتراكية · فبالتدريج اتخذ البوعالي تسيون الفلسطيني تحت قيادة « بن

غوريون » و « بن زفي » (٢٠) سلسلة من المواقف « التي كانت تضعه اكثر فاكثر في تناقض مع معلميه الايديولوجيين في روسيا » (٢١) ، خاصة بعد ان شعر قادة الحزب في فلسطين بان اهتمامات البوعالي تسيون الروسي باتت تتعدى قضية الهجرة الى فلسطين ٠

فعندما قررت قيادة الاتحاد العالمي للبوعالي تسيون ، التي كانت احزابها مستاءة من تعاونها مع العناصر « البرجوازية الصهيونية » ، مقاطعة مؤتمرات المنظمة الصهيونية العالمية ، رفض البوعالي تسيون الفلسطيني اتخاذ نفس الموقف ٠ وفي الوقت الذي كانت فيه فروع الاتحاد العالمي تتابع تنظيم اجتماعاتها وطباعة منشوراتها باللغة اليديشية « لغة الجماهير العمالية اليهودية » ، قرر الفرع الفلسطيني التخلي نهائيا عن اليديشية واستعمال اللغة العبرية ٠ وعندما بدأ اعضاء البوعالي تسيون الفلسطيني باقامة المستوطنات الزراعية جوبهوا بمعارضة شديدة من جانب الاتحاد العالمي وخاصة من جانب البوعالي تسيون الروسي الذي كان يصر على ان اقامة مثل هذه المستوطنات الزراعية تعارض تعاليم بوروشوف « فواجب العمال اليهود ان يناضلوا في سبيل مصالحهم الطبقية فقط ، وليس من واجبهم اقامة مؤسسات اقتصادية في اطار النظام الرأسمالي » (٢٢) ٠

لقد حاولت الحركة العمالية الصهيونية في فلسطين ، التي كانت تتعرض لمنافسة اليد العاملة العربية ، ان تتجاوز هذه المنافسة من خلال اقامة « اقتصاد يهودي مستقل » ٠ وكانت عملية تشكل طبقة عاملة يهودية في فلسطين تتم عبر طرد العمال العرب من المستوطنات اليهودية واقامة اقتصاد صهيوني جديد يقوم على قاعدة الاستيطان العمالي ٠ ففي العام ١٩٠٨ ظهرت اولى المزارع التعاونية اليهودية « موشافيم » وبعد ذلك بعامين ، اقامت مجموعة من العمال اليهود في « ام جونيه » « دجانيا » اول مستوطنة جماعية « كيبوتز » (٢٣) ٠

في مؤتمر يافا المنعقد في العام ١٩١٠ بمساهمة عشرين مندوبا حدد البوعالي تسيون الفلسطيني بوضوح توجهاته السياسية ٠ فبعد يومين وليلة من النقاشات المستمرة اقر المؤتمر البرنامج السياسي التالي :

« ١ ـ الهدف القومي للحزب : اقامة تجمع يهودي في فلسطين قائم في بلده وسيد مصيره ٠

٢ ـ برنامج الحد الاقصى : ان حزب العمال اليهود الاشتراكيين ـ الديمقراطيين في فلسطين (بوعالي تسيون) يهدف الى ازالة الطبقات في المجتمع الانساني ، واعطاء وسائل الانتاج الى مجموع المجتمع ، واقامة نظام اشتراكي في العالم ٠

٣ ـ برنامج الحد الادنى : تقوية مواقع العامل اليهودي في فلسطين ، والعمل على ازدهاره وزيادة عدده ٠

٤ ـ اللغة : ان الحزب يعترف باللغة العبرية لغة قومية لليهود ٠

٥ ـ سنساهم في المؤسسات الصهيونية التي تعمل على اقامة اليهود في فلسطين على شرط ان لا تعارض هذه المؤسسات بصورة اساسية القضية العمالية ٠٠٠ » (٢٤) ٠

وقد قرر مؤتمر يافا من جهة اخرى اصدار جريدة حزبية باللغة العبرية تحت اسم

« احدوت » موجهة الى العامل اليهودي « والجماهير اليهودية في فلسطين وفي تركيا » (٢٥) ٠

يامكاننا ان نلاحظ عند تفحص هذا البرنامج بأن فكرة الصراع الطبقي قد اختفت تماما ، ولو انه تضمن الاشارة باستحياء الى هدف ازالة الطبقات واقامة نظام اشتراكي في العالم ٠

أشرنا فيما سبق الى ان البوعالي تسيون « الفلسطيني » كان على علاقة وثيقة عند تأسيسه بالبوعالي تسيون الروسي الذي كان له تأثيره الواضح على سياسات ومواقف الحزب في فلسطين ٠ ولكن ، ومع الزمن بدأ تأثير اليوعالي تسيون الروسي يضعف باستمرار ، خاصة بعد ان انقطعت هجرة اعضائه الى فلسطين نهائيا خلال الحرب العالمية الاولى ٠ في هذه الظروف ، وصل قادة البوعالي تسيون الفلسطيني الى القناعة بأن المفاهيم « الماركسية » التي صاغها « بوروشوف » في روسيا ، لا تتوافق ابدا مع معطيات الواقع المحلي في فلسطين ٠

واعتبارا من هذه المرحلة ، بدأت علاقات الحزب الفلسطيني تتوطد شيئا فشيئا مع الجناح الامريكي « الاصلاحي » للبوعالي تسيون ٠ وقد وصلت هذه العلاقات الى ذروتها في العام ١٩١٤ بعد لجوء « بن غوريون » و « بن زفي » الى الولايات المتحدة الامريكية عندما أصدرت السلطات التركية قرارا بطردهما في أوائل الحرب العالمية ٠ وقد كان لمساهمة عدد من المتطوعين الاميركيين في عداد « الفرقة اليهودية » التي اشتركت باحتلال فلسطين الى جانب القوات البريطانية دور مهم في تعزيز هذه العلاقات ٠

في العام ١٩١٤ وصل عدد العمال اليهود في فلسطين الى حوالي (١٦٠٠) عامل (٢٦)٠ وفي ذلك الوقت تشكلت الى جانب البوعالي تسيون و « العامل الفتي » منظمة عمالية جديدة اطلق عليها اسم « منظمة غير الحزبيين » ٠ وبالاختلاف عن عناصر « العامل الفتي » كان اعضاء هذه المنظمة الجديدة ينتمون الى الحركة الاشتراكية اليهودية في أوروبا الشرقية والوسطى ٠

ولكنهم ، وبعد وصولهم الى فلسطين ، لم يجدوا مكانهم في صفوف اي من المنظمتين المتنافستين ، وفضلوا تسخير كافة جهودهم لتقوية اللجان الزراعية المحلية والسعي لخلق منظمة نقابية موحدة للعمال الزراعيين اليهود ٠

وقد لعبت منظمة « غير الحزبيين » دورا تحريضيا هاما في عملية بلورة التغيرات العملية والنظرية التي كانت تحدث في صفوف البوعالي تسيون الفلسطيني ، والتي أدت به في النهاية في اطار « التخلص من التحجر العقائدي الذي يطبع الحركة العمالية اليهودية في المهجر » ، الى رفض النظرية والمفاهيم « البوروشوفية » والتخلي عن مبدأ الصراع الطبقي ٠ وقد ساعد هذا التحول في مواقف البوعالي تسيون على خلق الظروف المؤاتية لطرح فكرة توحيد المجموعات العمالية الصهيونية في فلسطين ٠ وبالفعل تصاعد النشاط التوحيدي بين صفوف العمال اليهود في أواخر الحرب العالمية الاولى ، خاصة بعد ان شعرت القيادة العمالية الصهيونية بالحاجة لاقامة منظمة عمالية موحدة قادرة على استيعاب الهجرة الجماعية المنتظرة في اعقاب الحرب ٠ وقد ظهرت فكرة الوحدة العمالية لاول مرة في صفوف وحدات « الفرقة اليهودية » التي كانت تضم متطوعين منضمين لمختلف الاتجاهات داخل الحركة العمالية اليهودية (٢٧) ٠

وهكذا طرح شعار « النضال في سبيل الوحدة العمالية » في آن واحد من قبل البوعالي تسيون ومجموعة « غير الحزبيين » · وكانت المجموعتان تهدفان الى تحقيق وحدة شاملة تشمل أيضا عناصر « العامل الفتي » · (٢٨)

ودعت المنظمات المختلفة حينئذ الى عقد مؤتمرات استثنائية لمناقشة قضية الوحدة · وفي المؤتمر الذي عقدته سريا منظمة « العامل الفتي » عارضت اغلبية المندوبين فكرة تصفية الوجود المستقل للحزب ورفضت مبدأ الوحدة ·

اما البوعالي تسيون فقد عقد مؤتمره الثالث عشر بمدينة يافا في ٢١ شباط ١٩١٩ وذلك لاقرار مشروع الوحدة المطروح من قبل قيادة الحزب (٢٩) · وخلال اعمال المؤتمر اثارت قضية اللغة مرة اخرى نقاشات حامية بين المندوبين · فطالبت مجموعة من المندوبين ، القادمين من الولايات المتحدة الاميركية ومن الارجنتين في عداد « الفرقة اليهودية » ، المؤتمر بتبني اللغة اليديشية بحجة انها اللغة الوحيدة القادرة على تسهيل استيعاب المهاجرين الجدد القادمين من اوروبا ، وتأمين الاتصال مع التجمعات اليهودية في المهجر · غير ان قيادة الحزب رفضت بصورة قاطعة مناقشة هذه القضية : « هنا في فلسطين – صرخ بن زفي – لا مكان للغة اليديشية ، ولن نناقش ابدا هذه القضية » (٣٠) · وفي الوقت الذي كان فيه انصار تبني اللغة اليديشية يغادرون قاعة المؤتمر احتجاجا على موقف قيادة الحزب ، كان عدد من مندوبي الجناح « اليساري » المعارض لمشروع الوحدة مع « الاشتراكيين اليمينيين » يقاطعون التصويت على المشروع الذي تم اقراره من قبل غالبية المندوبين (٣١) ·

وبعد اقرار مؤتمر البوعالي تسيون لمشروع الوحدة تمت الدعوة لعقد مؤتمر عام لمندوبي العمال الزراعيين اليهود في فلسطين · وقد عقد هذا المؤتمر في مستوطنة « بتاح تكفا » بمساهمة (١٩) مندوبا عن البوعالي تسيون و (١١) مندوبا عن « العامل الفتي » و (٢٨) مندوبا عن منظمة « غير الحزبيين » (٣٢) · وخلال انعقاد جلسات المؤتمر ، اجتمع مندوبو « العامل الفتي » ، الذين قاطعوا المناقشات ، بصورة مستقلة وقرروا معارضة مشروع الوحدة ورفض فكرة الاندماج ضمن منظمة عمالية موحدة · اما مؤتمر « بتاح تكفا » فقد اقر مبدأ الاندماج بعد أن حصل مشروع الوحدة على تأييد (٤٨) مندوبا (٣٣) · وعلى اثر ذلك اتفق على عقد مؤتمر عام لممثلي جميع العمال اليهود في فلسطين العاملين في المدن والارياف لتأسيس « احدوت هاعفزدا » او « اتحاد العمل » ·

وقد انعقد هذا المؤتمر العام خلال شهر اذار ١٩١٩ بمساهمة (٨١) مندوبا موزعين على الشكل التالي : (٤٧) مندوبا عن العمال الزراعيين (١٥) مندوبا عن العمال الصناعيين و (١٩) مندوبا عن وحدات المتطوعين في صفوف « الفرقة اليهودية » · وكان مندوبو المؤتمر يمثلون (١٨٧١) من العمال اليهود في فلسطين (٣٤) ·

استمع مندوبو المؤتمر الى تقرير عام اعدته لجنة خاصة مؤلفة من ستة اعضاء : اربعة عن منظمة « غير الحزبيين » ، و « بن غوريون » و « بن زفي » عن البوعالي تسيون · وقد اعلنت اللجنة في تقريرها « بان« اتحاد العمل » منظمة تضم جميع العمال والكادحين اليهود في فلسطين ، بالاضافة الى الحرفيين الذين يعيشون من عملهم (···) وان هذه المنظمة ستتشكل من فروع مهنية مستقلة تجمع اعضاءها بحسب نشاطاتهم الاقتصادية المختلفة ، وان « اتحاد العمل » سيجمع العمال بهدف القيام بنشاط اقتصادي وثقافي

وسياسي » · وقد اقرت اللجنة في تقريرها مبدأ اشتراك « الاتحاد » في نشاطات المنظمة الصهيونية العالمية ومبدأ انضمامه الى الاممية الثانية (٣٥) ·

ثانيا : تأسيس حزب العمال الاشتراكيين (M.P.S.) او تشكل النـــواة الاولى للحركة الشيوعية في فلسطين :

لقد حاولنا من خلال هذا الاستعراض السريع ـ المحكوم بمحدودية المادة الوثائقيـة المتوفرة لدينا ـ لمراحل نشوء وتطور الحركة العمالية اليهودية في فلسطين التعرف ـ قدر المستطاع ـ على الارضية التاريخية التي تشكلت فوقها النواة الاولى للحركة الشيوعية في هذا البلد · وقد ركزنا على مجموعة البوعالي تسيون لانها كانت اهم المجموعـات داخل الحركة العمالية اليهودية في فلسطين ومن صفوفها ستنسلخ الاقلية اليسارية التـي ستلعب الدور المركزي في عملية تشكل النواة الشيوعية الاولى · وقد لاحظنا من خـلال استعراضنا لنشوء وتطور البوعالي تسيون الفلسطيني بان « اتجاهات » هذا الحزب قـد اتخذت مواقف متباينة بل متناقضة تجاه عدة قضايا جوهرية مثل قضية العلاقة مـع الكادحين العرب ، وقضية اللغة ، وقضية العلاقة مع مجموعات البوعالي تسيون في العالم، وقضية الوحدة مع المجموعات العمالية اليهودية الاخرى في فلسطين · ولكن هل كانت هذه المواقف المتناقضة بمثابة الدليل على وجود « اتجاهات » يمينية ويسارية داخل البوعالي تسيون ؟ ··

جوابنا هو النفي ، ولكن على شرط عدم التقليل من أهمية هذه التمايزات التي ظهـرت في صفوف البوعالي تسيون الفلسطيني ، والتي ستتبلور اكثر فاكثر في فترة لاحقة فـي اعقاب الحرب العالمية الاولى وانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية (٣٦) ·

فقد شمل تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية فلسطين كغيرها من بلدان العالم وساعد على نشر افكار الاشتراكية العلمية فيها · وقد خلق انتصار ثورة اكتوبر ، واحتلال فلسطين من قبل القوات البريطانية ، والتعاون المكشوف بين المنظمات الصهيونيـة العماليـة وبيـن الامبرياليين البريطانيين ، ومظاهر العداء الشوفيني للجماهير العربية ، لقد خلقت هـذه العوامل مجتمعة الظروف الموضوعية الملائمة لبدء عملية تمايز حقيقي ايديولوجي وسياسي في صفوف الحركة العمالية اليهودية في فلسطين ، وبدأت الشكوك تراود اذهان بعض اعضاء هذه الحركة حول مستقبل سياسة وممارسة القادة العماليين الصهاينة ·

وفي ظل هذه الظروف ، وجد بعض الاشتراكيين اليهود في فلسطين انفسهم امـام خيارين : البقاء الى جانب القادة « الاصلاحيين » لـ « اتحاد العمل » ، الـى جانـب النظام الاستعماري البريطاني والى جانب الاممية الثانية ، او اقامة منظمة سياسية مستقلة تقف الى جانب السلطة السوفياتية الجديدة والى جانب الاممية الثالثة الشيوعية ·

في العام ١٩١٩ ، رفضت اقلية يسارية من البوعالي تسيون الفلسطيني الانضمام الى « اتحاد العمل » وتابعت نشاطها المستقل · وقد كانت مدفوعة في ذلك بدافعين اثنيـن : من جهة كانت تأمل بان تبقى وفية لمبادىء الاتحاد العالمي (اليساري فيما بعد) للبوعالي تسيون وان تلتزم بموقف ايجابي تجاه ثورة اكتوبر وتجاه الاممية الثالثة ، ومن جهـة اخرى كانت تسعى لترك الطريق التقليدي الذي سار عليه البوعالي تسيون في السابـق وان تبحث عن طريق اخر يجمع بين مبادىء « الصهيونية البروليتارية » وبين المبـادىء

المعادية للصهيونية التي يتبناها القسم اليهودي التابع للحزب الشيوعي الروسي (٣٧) ٠

وهكذا اسست هذه الاقلية اليسارية للبوعالي تسيون الفلسطيني بمساعدة مجموعات اشتراكية صغيرة اخرى ، حزب العمال الاشتراكيين (M.P.S.) ٠ ومع ان ايديولوجية هذا الحزب لم تكن قد تبلورت بعد من الناحية الماركسية فقد مثل تأسيسه « في الظروف التي سادت وقتها البلاد ، خطوة شجاعة وثورية » (٣٨) ومرحلة هامة على طريق ولادة الحركة الشيوعية في فلسطين ٠

لقد سبق تأسيس حزب العمال الاشتراكيين ولادة عدة مجموعات اشتراكية صغيرة في فلسطين ٠ فقد اسس بعض المتطوعين اليهود الاميركيين من اعضاء البوعالي تسيون ومن انصار اللغة اليديشية « الحلقة الادبية العمالية اليهودية الاشتراكية » ، وذلك بدعم من « لجنة الدفاع عن يهود فلسطين » في الولايات المتحدة الاميركية ٠ وبالحقيقة ، فان نشاط هذه المجموعة لم يكن يقتصر ابدا على النشاط الادبي ، بل كان اعضاؤها يعملون على تنظيم العمال اليهود ذوي الثقافة اليديشية الذين كانوا بعيدين عن اهتمامات قيادة الحركة العمالية الصهيونية في فلسطين (٣٩) ٠ وقد ساهم اعضاء هذه المجموعة مساهمة فعالة في عملية تأسيس النواة الاولى لنقابة عمال النجارة بمدينة يافا ، تلك النقابة التي اصبحت الى جانب نقابة عمال سكك الحديد والبريد ونقابة عمال البناء ، واحدة من المنظمات النقابية النادرة داخل الحركة العمالية اليهودية التي كانت تدعو العمال اليهود للتضامن الاممي مع رفاقهم العرب والسعي لانجاز مهام النضال الاجتماعي على حساب مهام النضال « القومي » ٠

في مدينة القدس ، تأسست مجموعات اشتراكية صغيرة اخرى اطلق عليها اسم « مجموعات العمال الاشتراكيين » ٠ وقد ضمت هذه المجموعات بعض العناصر التي تركت « اتحاد العمل » بالاضافة الى عدد من المستقلين « غير الحزبيين » ٠

في ٢٥ ايلول ١٩١٩ التقى ممثلو جميع هذه المنظمات الاشتراكية اليسارية ودعوا لعقد مؤتمر لتأسيس حزب بوعالي تسيون يساري في فلسطين ٠ وقد انعقد المؤتمر التأسيسي لحزب العمال الاشتراكيين (M.P.S.) بمدينة يافا في الفترة الواقعة بين ١٥ و ١٧ تشرين الاول ١٩١٩ بمساهمة بضعة عشرات من العمال اليهود (٤٠) ٠ ويعتبر هذا المؤتمر التأسيسي لحزب العمال الاشتراكيين بمثابة المؤتمر الاول للحزب الشيوعي في فلسطين ٠

اعلن « م٠ خالدي » (٤١) في كلمة افتتاح المؤتمر : « نفتتح الاجتماع في جو مخنوق ٠ فليس لدينا قادة حزبنا السابقون ، فهم مع الاكثرية العظمى تركوا الحزب ٠ بقيت فقط اقلية قليلة وضعيفة ولكنها مخلصة لمبادئنا وتطلعاتنا ٠٠ » (٤٢) ٠

واوضح الخطيب بان اولئك من حزب بوعالي تسيون الذين لم يوافقوا على انضمام الاكثرية الى « احدوت هعفوداه » (اتحاد العمل) التقوا مع عمال اشتراكيين اخرين « لم يرغبوا منذ البداية في الانضمام الى حزب بوعالي صهيون لانهم اعتبروه اشتراكيا اقل من اللزوم وحتى غير ديمقراطي بما فيه الكفاية » (٤٣) ، واتفقوا على اقامة حزب اشتراكي راديكالي في فلسطين ٠

خلال نقاشات المؤتمر قدم « ي٠ مايرزون » (٤٤) تقريرا عاما عن « مسألة اعادة تنظيم الحزب الاشتراكي في فلسطين » ٠ وقد اعلن الخطيب في بداية مداخلته بانه من انصار الثورة الاشتراكية و « الصهيونية البروليتارية الحقيقية » ، وشن هجوما عاصفا على

قادة البوعالي تسيون الراغبين في التخلص من « روح التحجر العقائدي للمهجر - الدياسبورا » : « اذا كانت الاشتراكية اليسارية هي قضية المهجر - اعلن مايرزون - فسنحافظ اذن على فكر المهجر » (٤٥) · وذكر « مايرزون » بان حزب العمال الاشتراكيين (M.P.S.)ليس حزبا جديدا ، ولا يفعل سوى ان يأخذ بعين الاعتبار « الخيانة الطبقية » لمعظم اعضاء البوعالي تسيون الذين توحدوا مع « عناصر غير اشتراكية » · وخسر الانشقاق الذي حصل في صفوف البوعالي تسيون الفلسطيني بانه مماثل « للانقسام الذي طرأ في كل الاحزاب الاشتراكية في العالم بين يمين ويسار ، بين اصلاحيين يعتمدون على النظام الرأسمالي الراهن ويريدون ادخال بعض التحسينات عليه فقط ، وبين الاشتراكيين الذين يريدون تغيير النظام نفسه تغييرا ثوريا ويريدون الثورة الاشتراكية » · (٤٦)

خلال مداخلته حاول « مايرزون » ان يضع عملية ولادة حزب العمال الاشتراكيين في اطار الصراع الشامل الدائر على الصعيد العالمي بين معسكر القوى العمالية الثورية وبين معسكر القوى الاصلاحية ، واعلن بانه ثمة قضيتين يمتحن بهما كل حزب اشتراكي في العالم وهما : الموقف من الحرب العالمية والموقف من الثورة التي أتت بعدهما اي الموقف من ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا · وقد انتقد المحاضر المواقف الشوفينية التي اتخذتها معظم احزاب الحركة الاشتراكية العالمية ، وحيا المواقف الاممية التي اتخذها الجناح الثوري داخل الحركة الاشتراكية خلال الحرب وقال : « في الوقت الذي اوشك فيه الشيطان المتربص للاشتراكية على الاحتفال بانتصاره (٠٠٠) ، والبدء في رقصته الشيطانية على قبور الاشتراكية والاممية الندية ، هب منقذو ومخلصو الفكرة الاشتراكية الذين ضحوا بحياتهم من اجلها ومن اجل كمالها ونقاوتها · ولست اقصد بكلماتي هذه فقط الضحايا الكبيرة والخسائر التي لن تعود الى الحركة الاشتراكية والانسانية جمعاء من مثل جورس وليبنخت · فانا اتحدث عن عشرات المدافعين الذين هبوا في كل حزب اشتراكي في اي قطر ، اولئك المدافعين الذين بفضلهم امكن العفو والغفران عن كل الطائفة الاشتراكية · وهؤلاء ليسوا فقط عشرة رجال الكتلة الاشتراكية البرلمانية في المانيا (٠٠٠) الذين تجرؤا في غمرة كل الحماس الوطني وسيطرة الشوفينية على ان يقولوا بكل وضوح كلمة نحن نتهم ولم يوافقوا على ميزانية الحرب · الان عرفنا ان ثمة يمينا وثمة يسارا في الحزب الاشتراكي ايضا » (٤٧) ·

ثم انتقل « مايرزون » للحديث عن المحك الثاني للتمييز بين الاشتراكيين الثوريين وبين الاشتراكيين الاصلاحيين والمتجسد بالموقف من ثورة اكتوبر · فشن هجوما عاصفا على قادة « اتحاد العمل » وجميع الاشتراكيين الاصلاحيين في العالم الذين بحجة الدفاع عن الديمقراطية يدعون لاسقاط نظام البلاشفة في روسيا ويزعمون بأن هذا النظام يكبت الديمقراطية · وقد فسر المحاضر الفرق بين الديمقراطية البرجوازية التي يتباكى على ضياعها في روسيا الاشتراكيون الاصلاحيون وبين الديمقراطية البروليتارية التي يطبقها النظام السوفياتي وقال : « من الواضح للجميع الان ان كل الصراخ حول الديمقراطية في خطر هو امر مفتعل ومزيف ، ولم يأت الا للتستر على الخيانة الدنيئة للفكرة البروليتارية · فمن الواضح ان بالنسبة للاشتراكيين هناك (في روسيا ب.م.ش) نوعا اخر تماما من الديمقراطية وسياسة ديمقراطية اخرى بالمرة ، وشكل حكم ودولة ديمقراطية اخرى ، ديمقراطية تبتدىء بكلمة من اجل الشعب » · (٤٨) ثم انتقد « مايرزون » اللعبة البرلمانية « الديمقراطية » التي يلعبها قادة « اتحاد العمل » في فلسطين في ظل الاحتلال

البريطاني ، ووصفها بانها مهزلة ، وقال : « كارهو صهيون ، هذا هو الاسم الذي سيطلقونه علينا بعد ان يسمعوا كل هذا الكلام (٠٠٠) ولكن اذا كان حب صهيون يستلزم جعل فلسطين ملجأ آمنا للسماسرة اليهود ، واذا كان اصدقاء صهيون هم من هذا الطراز الذين يدعون الى بنائها ولكنهم يهدمون كل بناء هؤلاء « المواطنون » في المستوطنات ، الذين ان عاجلا او اجلا او في نهاية الامر سيجلبون باعمالهم الكارثة لجميعنا ، فاننا سنختار بزهو ان نسمع من افواههم ايضا هذا الاسم شريطة ان يتضح ويتأكد الخط الفاصل بيننا » (٤٩) · وقد أعرب الخطيب عن شكوكه بالنسبة لنجاح المشروع الصهيوني في فلسطين ، وحذر باسم حزبه جميع العمال اليهود من مغبة الانقياد وراء السياسة الشوفينية المعادية للعرب التي ينتهجها القادة الصهاينة ، واعلن عن قناعته بأن كل المشاريع التي تنوي الصهيونية انجازها في فلسطين ستتداعى لانها مقامة بالاساس فوق مخزون من المواد المتفجرة التي من الممكن ان تنفجر في اي لحظة ، في حال استمرار الصهيونية بانتهاج سياسة معاداة العرب واعتمادها على القوى الامبريالية العالمية : « عودوا الى الموقف العقلاني ـ صاح مايرزون مخاطبا العمال اليهود ـ ابحثوا عن طريق سليم للعيش المشترك مع الشعب الاخر الموجود هنا ، واعلموا بان نجاح كل مهاجر صهيوني باحتلال البلاد واستثمار سكانها العرب سيؤدي الى زيادة المادة المتفجرة تحت اسس بنائنا · (ومن هنا) فان هدفنا لا يجب ان يقتصر على بناء مجتمع يهودي ، بل يجب ان يتعداه لبناء مجتمع اسمى ، مجتمع عمالي حر (٠٠٠) ، قائم على قاعدة الثروة والسلام (٠٠٠) · السلام ليس فقط مع الحكومات ، بل ايضا مع الشعوب ٠٠ » · (٥٠)

اعلن « مايرزون » في نهاية مداخلته بان حزب العمال الاشتراكيين في فلسطين يعلن بصراحة « بان الصهيونية البروليتارية تربط تحقيق المثال الصهيوني بانتصار الثورة الاشتراكية · ففي هذا الانتصار فقط ترى الضمان الوحيد لتحقيق كل المثل التقدمية والصهيونية ايضا بمدى ما هي تقدمية » ، واعرب عن ثقته بان الصهيونية « ستتحقق كاشتراكية والا فانها لن تتحقق ابدا · ولهذا فهي ستناضل ضد كل صهيونية اخرى ، البرجوازية منها او البروليتارية المتهادنة ، فهي ترى فيها لا امرا غير مفيد وحسب بل ضارا ايضا » (٥١) ·

اقر المؤتمر التأسيسي لحزب العمال الاشتراكيين (M.P.S.) في نهاية اعماله عدة قرارات جاء فيها ما يلي : « يلقي الاجتماع على المركز واجب اعلام الاتحاد العالمي ـ لبوعالي صهيون ـ حول تجديد نشاط ، الحزب ، وانه يعارض الاممية الثانية وانه لا يوكل اي شخص لتمثيله فيها · وثانيا وطوال الوقت الذي يرسل الاتحاد العالمي ممثليه الى الاممية الثانية فان الحزب لا يعترف ايضا بالاتحاد العالمي » · كما دعا المؤتمر جماهير العمال اليهود في فلسطين بالسير « سوية مع كل جماهير العمال في البلاد دون فرق في القومية » ، وطالب الحزب بالعمل على ايجاد طريق التقارب والتفاهم بين العمال اليهود وبين الكادحين العرب (٥٢) ·

من خلال تحليل المداخلات التي القيت في المؤتمر التأسيسي لحزب العمال الاشتراكيين والقرارات التي صدرت عنه بامكاننا الاستنتاج بان قادة هذا الحزب قد حاولوا القيام بخطوات حاسمة نحو تشكيل وجهة نظر ماركسية ثورية عن العالم ، وبذلوا جهودهم لوضع عملية تشكيل حزبهم في اطار الصراع السياسي والايديولوجي الدائر انذاك في صفوف الحركة الاشتراكية العالمية بين معسكر القوى الثورية والاممية ، وبين معسكر القوى

الاصلاحية والشوفينية · وقد التزم قادة حزب العمال الاشتراكيين في فلسطين وبكل وضوح جانب المعسكر الاول · ففصلوا انفسهم عن الاممية الثانية ودافعوا بحماس عن ثورة اكتوبر الاشتراكية وعن السلطة السوفياتية الجديدة ، واتخذوا موقفا امميا من الحرب العالمية باعتبارها حربا امبريالية لخدمة مصالح البرجوازية ، وادانوا السياسة « الاصلاحية والشوفينية » التي ينتهجها قادة الحركة العمالية الصهيونية في فلسطين ، ودعوا العمال اليهود للتضامن والتاخي مع رفاقهم العرب في النضال ضد الاستعمار البريطاني · ولكن ، جميع هذه المواقف الثورية التي تبناها قادة حزب العمال الاشتراكيين في فلسطين كانت تنطلق من مواقع « الصهيونية البروليتارية » · وهنا كان يكمن بالتحديد التناقض الاساسي الداخلي في ايديولوجية النواة الشيوعية الاولى في فلسطين لحظة ولادتها · وكانت الاطروحات النظرية التي دافع عنها « مايرزون » في المؤتمر التأسيسي للحزب التعبير الواضح عن طبيعة هذا التناقض الاساسي الايديولوجي ·

ولكن هل كانت اطروحات « مايرزون » المتناقضة بمثابة الدليل على وجود « فوضى فكرية » داخل حزب تجذب قادته من ناحية افكار الاشتراكية الثورية وانتصاراتها وتعترضهم من ناحية اخرى افكار الايديولوجية الصهيونية ؟ ام ان « مايرزون » ـ وكما يقول اوفينبرغ ـ كان يشعر بعقم اطروحاته النظرية ويعترف شيئا فشيئا بالتناقض القائم بين الصهيونية والاشتراكية ، ولكنه كان يهدف ، ولاسباب تكتيكية ، الى تحقيق هدفين : عدم صدم غالبية اعضاء الحزب الذين اتخذوا مواقف راديكالية نسبيا بتقرير معاد للصهيونية تماما من جهة ، والسعي لتوجيه نشاط هؤلاء الاعضاء من النشاط الصهيوني نحو النشاط الاشتراكي من خلال ربط نجاح الصهيونية بالانتصار المسبق للثورة الاشتراكية (٥٣) ، من جهة اخرى ·

اننا نعتقد من جهتنا ـ مع ماير فلنر ـ بأن اعضاء حزب العمال الاشتراكيين عند تأسيسه قد استطاعوا التحرر من عدة مفاهيم صهيونية وعبروا عن تضامنهم مع القوى الثورية في العالم وخاصة مع ثورة اكتوبر ونادوا بضرورة التاخي مع جماهير الكادحين العرب ، غير انهم لم يتحرروا كليا من الاوهام الصهيونية « ولم يفهموا ان هناك تناقضا جذريا بين الصهيونية والاشتراكية ، وانه لا يمكن ان تكون اشتراكية صهيونية كما انه لا يمكن ان تكون صهيونية اشتراكية ، وان الصهيونية في مضمونها وفي ايديولوجيتها حركة رجعية موالية للاستعمار وللبرجوازية اليهودية ·· » · (٥٤)

ان التناقض الداخلي في ايديولوجية النواة الشيوعية الاولى في فلسطين كان يكمن في خصوصية الارضية التاريخية التي قامت عليها هذه النواة · فبفعل الطابع « القومي ـ الصهيوني » الذي طبع الحركة العمالية اليهودية في فلسطين ، لم تتمكن العناصر الاشتراكية اليسارية داخلها من حسم علمية التمايز السياسي والايديولوجي بشكل جذري في الاتجاه الثوري ـ الاممي لحظة انسلاخها عن مجموع هذه الحركة وتشكيلها لمنظمتها السياسية المستقلة (كما حدث انذاك في العديد من بلدان العالم) ، وانما اضطرت لاجتياز مرحلة جديدة من مراحل عملية التمايز هذه ، استطاعت على اثرها بعد عدة سنوات من تأسيس النواة الشيوعية الاولى الانتقال نهائيا من مواقع « الصهيونية البروليتارية » الى مواقع الماركسية ـ اللينينية والاممية البروليتارية · وقد لعبت قيادة الاممية الشيوعية دورا هاما في تسريع عملية الانتقال هذه ·

وهكذا وصل عدد من اعضاء حزب العمال الاشتراكيين في فلسطين الى القناعة الاكيدة بان التناقض بين الاشتراكية من جهة وبين الصهيونية من جهة اخرى هو تناقض عدائي لا يمكن حسمه الا بانتصار احداهما على الاخرى ، وان محاولة التوفيق بينهما تعني عمليا الوقوف الى جانب الصهيونية في صراعها ضد الاشتراكية · ولكن للوصول الى هنا كان لا بد من الانتظار عدة سنوات اخرى ·

(يتبع)

الحواشي

١ ـ لن يتسع مجال هذا البحث للتعرض لقضية النضال السياسي والايديولوجي الذي خاضه لينين ، قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى ، ضد ممثلي الانتهازية والاصلاحية داخل الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية العالمية ·

٢ ـ في الحقيقة كان هناك تيار ثالث « وسطي » عبرت عنه مواقف بعض احزاب الاشتراكية « المحايدة » كالحزب الايطالي والسويسري ، التي كانت تسعى في سبيل احياء دور المنظمات القيادية للاممية الثانية ، وتدعو في غمرة الحرب لاستيقاظ روح السلام ، وفي غمرة الشوفينية الى الحفاظ على روح الاممية البروليتارية ·

٣ ـ يتبنى بعض الباحثين هذا الرأي المأخوذ عن احد تقارير سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين ، انظر ،

Report on Palestine Administration, July 1920 - Déc 1922 , H.M.S.O. , London, 1922, P. 36.

٤ ـ لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :

ناتان فاينشتوك : الصهيونية ضد اسرائيل ، منشورات ماسبيرو ، باريس ، ١٩٦٩ ، ص ٨٤ ـ ص ٨٥ ·

٥ ـ انظر والتر لاكور : تاريخ الصهيونية ، منشورات Calmann - Lévy باريس ، ١٩٧٣ ، ص ٣٠٧ ·

٦ ـ انظر بيريتز مرخاف : اليسار الاسرائيلي ، تاريخ وقضايا واتجاهات الحركة العمالية الاسرائيلية ، منشورات Antropos باريس ، ص ٤٦ ـ ص ٤٧ ·

٧ ـ المصدر ذاته · للتعرف على افكار « بوروشوف » وعلى ظروف ولادة حزب البوعالي تسيون الروسي انظر : ماهر الشريف : « قضية فلسطين ومناقشات المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية » · في شؤون فلسطينية ، رقم ٧٠ ، ايلول ١٩٧٧ ، ص ١١٩ ـ ص ١٤٣ ·

٨ ـ انظر ب · مرخاف ، المصادر المذكور ، ص ٤٧ ·

٩ ـ كان مجموع العمال اليهود في فلسطين انذاك (٥٥٠) عاملا · انظر والتر لاكور ، تاريخ الصهيونية ، المصدر المذكور ، ص ٣١١ ·

١٠ ـ أورده و · بروس (W. Preuss) في الحركة العمالية في اسرائيل ، منشورات Rubin Mass ، القدس ، ١٩٦٥ ، ص ٢٨ · (بالانكليزية) ·

١١ ـ تشكل الاتحاد العالمي للبوعالي تسيون بمدينة لاهاي في العام ١٩٠٧ ·

انظر ماهر الشريف ، قضية فلسطين ومناقشات ... ، البحث المذكور ، ص ١٣١ ـ ص ١٣٢ ٠

١٢ ـ انظر ناتان فاينشتوك ، الصهيونية ضد اسرائيل ، المصدر المذكور ، ص ٨٤ ٠

١٣ ـ انظر دافيد بن غوريون : مذكرات ، اسرائيل قبل اسرائيل ، منشورات Grasset ، باريس ، ١٩٧٤ ، ص ٢١ ٠

يقول ب٠ مرحاف ان بن غوريون لم يكن ابدا « ماركسيا » ولا حتى « بوروشوفيا » ٠

١٤ ـ اورده بن غوريون ، مذكرات ، المصدر السابق ، ص ٢٢ ٠

١٥ ـ المصدر ذاته ٠

١٦ ـ انظر والتر لاكور ، تاريخ الصهيونية ، المصدر المذكور ، ص ٣١٢ ٠ لمزيد من التفاصيل حول برنامج البوعالي تسيون الفلسطيني راجع و٠ بروس ، الحركة العمالية في اسرائيل ، المصدر المذكور ، ص ٢٨ ـ ص ٢٩ ٠

١٧ ـ انظر ماريو اوفينبرغ (M. Offenberg) : الشيوعية في فلسطين ٠ الامة والطبقة في الثورة المعادية للاستعمار ، منشورات Meisenheim am Glan - Verlag Anton Hain

١٩٧٥ ، ص ١٤٧ ٠ (بالالمانية) ٠

١٨ ـ اورده ٠ اوفينبرغ ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ ٠

١٩ ـ المصدر ذاته ، ص ١٨٤ ٠

٢٠ ـ اسحق بن زفي : عضو سابق في حزب البوعالي تسيون الروسي ، وواحد من ابرز قادة البوعالي تسيون الفلسطيني اعتبارا من العام ١٩٠٧ ٠

٢١ ـ انظر و ٠ لاكور ، تاريخ الصهيونية ، المصدر المذكور ، ص ٣١٣ ٠

٢٢ ـ المصدر ذاته ٠ ،

٢٣ ـ انظر ن ٠ فايتشتوك ، الصهيونية ضد اسرائيل ، المصدر المذكور ، ص ٨٥ ٠

٢٤ ـ انظر بن غوريون ، مذكرات ، المصدر المذكور ، ص ٤٣ ـ ٤٤ ٠

٢٥ ـ المصدر السابق ، ص ٤٤ ٠

٢٦ ـ انظر و ٠ لاكور ، تاريخ الصهيونية ، المصدر المذكور ، ص ٣١٦ ٠

٢٧ ـ انظر بن غوريون ، مذكرات ، المصدر المذكور ، ص ١٠٢ ٠

٢٨ ـ المصدر السابق ، ص ١٠٢ ٠

٢٩ ـ انظر م٠ اوفينبرغ ، الشيوعية في فلسطين ، المصدر المذكور ، ص ١٥٠ ـ ص ١٥١ ٠

٣٠ ـ اورده اوفينبرغ ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ ٠

٣١ ـ المصدر ذاته ، ص ١٥٢ ٠

٣٢ ـ انظر بن غوريون ، مذكرات ، المصدر المذكور ، ص ١٠٥ ٠

٣٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٠٥ ٠

٣٤ ـ المصدر ذاته ، ص ١٠٦ ٠

٣٥ ـ المصدر ذاته ، ص ١٠٥ ـ ص ١٠٦ ٠

٣٦ـ ان الجواب النهائي على هذا السؤال يتطلب من الباحث الاطلاع على مادة وثائقية اغنى واشمل من تلك التي استطعنا الاطلاع عليها ٠ ومع ذلك بامكاننا القول ـ حاليا ـ بانه لم تكن توجد داخل البوعالي تسيون الفلسطيني

اتجاهات يسارية واضحة ومتماسكة سياسيا وتنظيميا · كان هناك مواقف أممية عبرت عنها مثلا مواقف « اتجاه روستوف » تجاه قضية تنظيم العمال العرب ، وكان هناك مواقف يسارية عبرت عنها ، من منطلقات مختلفة ، بعض المجموعات التي رفضت فكرة الاتحاد مع « الاشتراكيين اليمينيين » ·· ولكن هل كان هناك قاسم مشترك يجمع بين هذه المواقف ؟ هل ظهرت داخل البوعالي تسيون الفلسطيني ، خلال الحرب العالمية الاولى ، « اتجاهات اممية » ادانت الحرب الامبريالية كما فعل البوعالي تسيون الروسي ، ام ان مجموع اعضاء الحزب الفلسطيني قد وقفوا الى جانب قادتهم الذين دعموا الامبريالية الانكليزية وساهموا ضمن « الفرقة اليهودية » الى جانب قواتها في احتلال فلسطين ؟ ·· اسئلة عديدة ، كما نلاحظ ، لا تزال بحاجة للاجابة عليها قبل حسم هذا الموضوع ·

٣٧ ـ تشكل هذا القسم في تشرين الاول ١٩١٨ بهدف نشر الدعاية والتحريض بين صفوف العمال اليهود في روسيا · لمزيد من التفاصيل انظر ماهر الشريف ، قضية فلسطين ومناقشات ··· ، البحث المذكور ، ص ١٣٤ ·

٣٨ ـ انظر ماير فلنر : « خمسون سنة من نضال حزبنا الشيوعي » ، منشورات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) ، حيفا ، ١٩٧٠ ، ص ٢١ ·

٣٩ ـ انظر م· اوفينبرغ ، الشيوعية في فلسطين ، المصدر المذكور ، ص ١٥٤ ـ ص ١٥٥ · لقد بقيت قضية اللغة حتى أواسط العشرينات في مركز النقاشات الدائرة داخل الحركة العمالية اليهودية في فلسطين · في البداية ، تبنى الشيوعيون اللغة اليديشية وحاربوا بحزم استعمال اللغة العبرية لانها كانت تمثل بنظرهم احدى ادوات تحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين ·

٤٠ ـ انظر م· اوفينبرغ ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ · يعتقد ماير فلنر بأن هذا المؤتمر قد انعقد في الفترة الواقعة بين ١٧ و ١٩ تشرين الاول ١٩١٩ · انظر م· فلنر ، خمسون سنة من نضال ··· ، المصدر المذكور ، ص ٢٥ ·

٤١ ـ ولد « مردخاي خالدي » في العام ١٨٨٧ بمنطقة القوقاز في روسيا · هاجر الى فلسطين خلال العام ١٩٠٨ حيث عمل كعامل زراعي في احدى المستوطنات لسنوات عديدة قبل ان ينتقل للعمل في احد البنوك بمدينة حيفا · نفته سلطات الانتداب البريطاني الى الاتحاد السوفياتي في أعقاب احداث ايار ١٩٢١ ، حيث انقطعت اخباره نهائيا · انظر م· اوفينبرغ ، المصدر المذكور ، ص ١٥٣ ·

٤٢ ـ انظر م· فلنر ، المصدر المذكور . ص ٢٥ ـ ص ٢٦ ·

٤٣ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥ ·

٤٤ ـ ولد « ياكو مايرزون » في العام ١٨٨٨ بجنوب اوكرانيا · تابع دراسته المتوسطة بمدرسة دينية قبل ان ينتقل الى مدرسة علمانية في كييف · اشتغل بالتعليم ونشر عدة كتب باللغة اليديشية حول تاريخ اليهود · سافر الى فلسطين في ربيع العام ١٩١٢ بهدف جمع بعض المراجع الضرورية لاصدار كتاب مدرسي كان يحضره تحت عنوان « البلد والسكان » · سفره الى فلسطين لم يكن اذن لدوافع سياسية صهيونية · امضى سنوات الحرب العالمية الاولى في ظروف قاسية يعاني من البؤس والجوع ، حيث عمل في البداية في كيبوتز جن شموئيل ، قبل ان ينتقل الى منطقة الجليل للعمل سكرتيرا لمنظمة العمال الزراعيين · كان

قريبا من « الحركة السامية » التي كانت تدعو لاقامة مركز اجتماعي ـ ثقافي خاص باليهود في فلسطين ، وكانت تلتزم الحياد على الصعيد السياسي بخصوص المشروع الصهيوني الرامي الى اقامة دولة يهودية في فلسطين · وكان انصار هذه الحركة قليلين جدا في فلسطين ·

لعب مايرزون دورا هاما في عملية تأسيس حزب العمال الاشتراكي في فلسطين ، حيث خاض نضالا عنيدا لضمان انضمام هذا الحزب الى صفوف الاممية الشيوعية ومقاطعة مؤتمرات المنظمة الصهيونية العالمية · بعد عودته الى فلسطين من فيينا ، حيث ساهم في اعمال المؤتمر الخامس للاتحاد العالمي بوعالي تسيون ، انتخب مايرزون عضوا في المجلس البلدي لمدينة يافا ، حيث كان تأثيره كبيرا بين المجموعات العمالية اليهودية اليسارية المتواجدة فيها ، وذلك على الرغم من ان بعض قيادات حزب العمال الاشتراكي بدأت تبتعد عنه لتخوفها من لاتجاه « التصفوي » الذي كان يمثله ومن الافكار المعادية للصهيونية التي كان يشيعها · خلال العام ١٩٢٢ ، غادر مايرزون فلسطين متوجها الى « فارصوفيا » حيث نشر كتابا باليديشية تحت عنوان « العرب والاستيطان اليهودي في فلسطين » · ثم انتقل الى الاتحاد السوفياتي حيث استقر في البداية بمدينة « موسكو » قبل ان ينتقل منها الى « اوديا » خلال العام ١٩٢٨ ، حيث عمل في جامعتها مدرسا للادب والتاريخ اليديشي · انتقل مايرزون الى « المأتا » خلال العام ١٩٤١ وتوفي في موسكو في العام ١٩٤٧ ·

سيرة حياة « مايرزون » اقتبسناها عن م· اوفينبرغ ، الشيوعية في فلسطين ، المصدر المذكور ، ص ٧٤ ـ ص ٧٨ ·

٤٥ ـ اورده اوفينبرغ ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ ·

٤٦ ـ اورده م· فلنر ، خمسون سنة من نضال ··· ، المصدر المذكور ، ص ٢٦ ·

٤٧ ـ انظر م· فلنر ، المصدر السابق، ص ٢٦ ـ ص ٢٧ ·

٤٨ ـ المصدر ذاته ، ص ٢٧ ·

٤٩ ـ المصدر ذاته ، ص ٢٧ ـ ص ٢٨ ·

٥٠ ـ اورده م · اوفينبرغ ، المصدر المذكور ، ص ١٦١ · انظر ايضا م· فلنر ، المصدر المذكور ، ص ٢٩ ·

٥١ ـ اورده م· فلنر ، المصدر السابق، ص ٢٨ ·

٥٢ ـ المصدر ذاته ، ص ٢٩ ـ ص ٣٠ ·

٥٣ ـ انظر م· اوفينبرغ ، المصدر المذكور، ص ١٦٠ ـ ص ١٦١ ·

٥٤ ـ انظر م· فلنر ، المصدر المذكور . ص ٣٠ ·

سـيرة عـرب التعـامـرة

قام قنصل فرنسا العام في القدس السيد نوفيل بجمع هـذه النصوص ★ من افراد قبيلة التعامرة ، وهم من البدو الذين في طريق التحضر ، شرقي بيت لحم ·

اهمية هذه النصوص ، ليست في لغتها ، وقد جرى الاكتفاء بتدوين السرد كما جاء في اللغة المحكية ، ولا في مضمونها ، رغم اهمية هذه النبذة من التاريـــخ الحديث ، بل تكمن في هذا النوع الادبي ·

تضع هذه الوثائق امامنا ، ما نقله افراد قبيلة التعامرة من جيل الى جيل ، منذ عام ١٥٧٢ ·

هذه النصوص ، هي التمرير الاولي لتراث شفهي يعود الى ٤٠٠ سنة · وبعض الاجزاء التاريخية من التوراة ، ولدت بالطريقة نفسها ·
الى اي حد يمكننا الاستناد الى هذه النصوص ؟

لا شك بأن كاتبها هو احد افراد عشيرة الحجاحجة · فلا عجب اذا وجدنا ان الدور الرئيسي في الحرب والسلم كان لهذه العشيرة · وفي معظم الاحيان تأتـــي التواريخ غامضة : مرحلة القوس ، مرحلة البندقية التي تقذف الحجـارة ، مرحلة الحكم العثماني · اما فيما يتعلق بالدقة الجغرافية ، فالهوامش التي وضعناها ، تبرهن على مدى دقتها ·

I ـ تاريخ التعامرة العام

بعون الله ، وبعد ابحاث دقيقة ، استطعنا ان نثبت المراحل الرئيسية والحقيقية ، التـــي

★ Histoire D'une Tribu Semi-Nomade De Palestine,in *Revue Biblique* 1951

تسمح لنا بتلاوة نسب التعامرة على النسق التالي :

تنحدر هذه العشيرة (١) من بني حارث ، في مدن صالح (٢) في الحجاز · ابتعد بنو حارث فيما بعد عن مدن صالح ، وقصدوا تبوك في الحجاز ايضا ، على الحدود الغربية للاردن الحالية · واثر قحط اصاب بلادهم ، رحلوا الى معان (٣) ·

في الاردن · نشبت حرب بين عائلات واهالي وادي موسى (٤) وعائلات معان التي انتصرت على اهالي وادي موسى · فاحتلت الوادي وقطنت فيه بعض الوقت · هنا ايضا ، حلت موجة من القحط اجبرتهم على الرحيل والتبعثر في المناطق المجاورة سعيا وراء الكلاء والماء · اتجه الى فلسطين سبعة من رجال العشيرة واستقروا في خربة تدعى بيت عامر (٥) نسبة الى عمر بن الخطاب ، على بعد ستة كيلومترات شرقي بيت لحم ، وجعلوا منها مسكنهم · كانت تسكن هذه الخربة ست عائلات لكل منها كنيتها · وعندما استقرت عائلات بني حارث السبع في الخربة ، بلغ مجموع سكانها ثلاث عشرة عائلة فقط · في ذلك الوقت ، كانت الاراضي المجاورة خالية من السكان حتى حدود بيت لحم · تداخل الفريقان وتزاوجوا فيما بينهم · واخذوا يحرثون الاراضي وينتشرون عليها · كان في الخربة ثلاثة عشر بيتا مبنيا من الحجر ، كانت الساحة الملتصقة بالمسجد تدعى ساحة بني عمر باسم عمر بن الخطاب صاحب هذا المسجد واملاك الوقف المجاورة · ولهذا السبب ، اطلق فيما بعد على افراد بني حارث ـ اي العائلات السبع التي استقرت في الخربة ـ نتيجة اختلاطهم واندماجهم بالسكان الاوائل لهذا المكان ، اسم اهالي بيت عامر · ومع الوقت عرف الفريقان تحت اسم التعامرة · تعود هذه الاحداث الى سنة ٩٨٠هـ ، اي منذ ٣٨٩ عاما (٣٧٧ سنة ميلادية) ، وبقيت لهم هذه الكنية حتى ايامنا هذه ·

وعندما اصبحوا يملكون القطعان ويستخدمون الخيام ، اخذوا يتنقلون مع القطعان والماشية ويزرعون الحقول ·

قبل مجيئهم كانت اربع عائلات عرفت باسم فاطمة ووداد تسكن خربة خريطون (٧) ويرعون قطعانهم في وعر خريطون (٨) · فأخذ التعامرة يغزون قطعانهم · وهاجموا في احد الليالي كهف الراعي · وقد لقب هذا المكان باسم كهف الراعي نتيجة الحدث التالي : هجم التعامرة فجأة بينما كان الراعي يحرس ماشيته ، فطلب منهم مهلة ليعزف فيها اغنية على شبابته · واخذ يعزف اغنية تقول : قتلوا كبش القطيع يا وداد ، وحرقوا السداد (٩) ·

وكان منزل وداد يقابل الكهف تماما ، سمعت وداد الشبابة وفهمت ما يود الراعي قوله ، اي انه يطلب النجدة · فبعثت من ينجده · ولكنهم وجدوا الراعي مقتولا والقطيع مسروقا عندما وصلوا · لذلك اطلق على هذا الكهف اسم كهف الراعي ·

[بداية الحروب ضد التعامرة] ·

ونشبت حرب للمرة الاولى ، شنها القيسيون (١٠) على التعامرة · كان التعامرة قليلي العدد ، وهاجمهم القيسيون ليلا نهارا بهدف ابعادهم عن الاراضي التي يسكنونها كانت جبال الخليل والسعير والشيوخ وبني نعيم وحلحول وبيت امر وبيطا والسموع والظاهرية ودورا (١١) ، كلها لبني قيس · كان في نيتهم طرد التعامرة من البلد · والنصر في يد الله · هزم التعامرة امام تفوق القيسيين العددي وهربوا الى وادي القصير ، غربي البحر الميت ، ومنه الى الفشخة والفارعة · وينعم التعامرة بحقوق في الفشخة والفارعة

والبقيعة ، منذ ذلك الحين · وازداد عددهم كما ازداد عدد سكان بيت لحم وبيت ساحـــور وابو ديس ·

لم يكن في هذه المنطقة عبيديون (١٢) في ذلك الوقت ، لان ادارة الدير اليوناني كانت تستخدمهم حرسا حول دير ابن عبيد لحمايته من مسلمي القوقاز ، وهم مثل جيرانهم ، من المسلمين · ارسل التعامرة بعض المستطلعين للكشف على هذه الاراضي وجوارها· فتأكدوا ان اتباع اليمنيين اقوياء في المنطقة واتصلوا بهم قائلين انهم كانوا يحتلون هذه الاراضـي قبل اربعين سنة مضت · اجاب اليمنيون : « ارجعوا ، حاربوا في صفوفنا والارضـــن لكم » · كانت الاسلحة المستخدمة في ذلك الوقت هي القوس والرمح والسيف · تشجـــع المستطلعون عند سماع هذا الكلام · فرجعوا الى ذويهم واخبروهم بما حصل · اتفـــق التعامرة على الرحيل والانضمام الى صفوف الحزب اليمني · بعد ذلك ، لم يبق منـــهم الا عائلة واحدة استقرت فيما بعد في وادي الحوارث · وقد لقب الوادي بهذا الاسم نسبـــة لهذه السلالة من حارث ، فدعي منذ ذلك الحين : « وادي الحوارث » ·

[رجوع التعامرة الى بلدهم] ·

انتقل التعامرة اذن عائدين ليستقروا في خربة بيت تعامر · كان الوفاق سائدا بينهم وبين اخوانهم في الحزب اليمني واخذت قطعانهم ترعى في نفس المرعى وهم يتنقلـــون ويلهون سويا ·

عندما علم بنو قيس بنبأ رجوع التعامرة الى ديارهم ، راحوا يضايقونهم · لذا اتفـق التعامرة مع حلفائهم على اشارة تقضي باشعال النار فوق رؤوس بعض الجبال المعينـــة اذا احتاجوا نجدة الحزب اليمني ·

قبل ان يغادر التعامرة منطقة الفارعة ، تزوجت امرأة من العشيرة احد القيسييـــن في سعير · وعندما رجع التعامرة الى قريتهم ، اخذ القيسيون يشنون عليهم هجمـــات محدودة · وفيما كان احد ابناء هذه المرأة التعامرية جالسا في ساحة سعير ، انعقـــد مجلس حربي ، فهم منه الشباب انهم قرروا بالاجماع شن حملة على التعامـرة وقتلهم جميعا والانتهاء من امرهم · وما ان فهم ذلك حتى ذهب فورا الى والدته واخبرها حقيقـــة الامر · قالت له والدته : « اذهب يا بني عند اخوالك وقل لهم ما سمعت » · سألها : « كيف اذهب ؟ » اجابت : « ارتد ملابسي واحمل جرة ماء واذهب وانت في زي النساء حتى لا ينكشف مشروعك » · وهكذا كان : ذهب واخبرهم بما سمع · فاعترف اخواله بنبـــل اصله واتصلوا فورا باخوانهم في الحزب اليمني واستعدوا وتوجهوا مرة اخرى شمالي بيت ساحور · لكن احدى عائلات العشيرة ـ وتدعى العبيات ـ لم تدر بما حصل ، فبقيت مكانها · في هذه الاثناء ، توجه القيسيون نحو بيت تعامر ، وحين لم يجدوا احدا ، تابعوا سيرهم نحو الشمال فالتقوا التعامرة في وادي الحلوة · كانت المعركة عنيفـــة وقتـــل الكثيرون · وكان النصر مكتوبا للتعامرة وهزم القيسيون · هزمهم التعامرة واليمنيـــون وظلوا يلاحقونهم حتى سعير · تكبد القيسيون خسائر جسيمة حتى انهم لم يتورعوا عن شن حرب جديدة على التعامرة · ولكنهم ، في تقهقرهم ، هاجموا التعامرة الذين بقوا في الخربة مع ماشيتهم ـ اي عائلة العبيات ـ فقتلوا معظم افرادها ، ولم يبق منها الا القليل القليل » ·

[توطيد علاقات الصداقة بين التعامرة ومسيحيي بيت لحم]

حان في بيت لحم قبيلة من المسلمين تدعى : الخمس · وقد اطلق عليها هذا الاسم لانها تنحدر من خمسة اخوة قصدوا بيت لحم من السويداء في جبل الدروز · سكنوا الدير اليوناني بوصفهم عمالا · تكاثرت سلالتهم في بيت لحم · وقضت العادة بان يقدم لهم بطريرك الدير اليوناني ، يوم عيد الميلاد ، مبلغا من المال بمثابة هدية العيد ومساعدة في آن واحد · ومع الوقت ، اعتبر الخمس هذه الهدية ، خوة المسيحيين لهم · وفي عيد ميلاد عام ١١٥١ هـ· (١٧٣٨م) ارسل البطرك كالمعتاد ، قفة مليئة بالريالات الفضية لرئيسهم المدعو الديري الساكن في الدير الارمني ، من اجل ان يوزعها على افراد قبيلته · ولكن الديري ، بدافع من التكبر والوقاحة ، ضرب القفة برجله وتبعثرت الريالات · وكان قواس السفير الروسي بصحبة حامل الهدية ، فأخبر معلمه بما حصل حال رجوعه · فغضب السفير الروسي بشكل حاد وطلب من البطرك التوقف عن هذه العادة · وهكذا كان · لذلك ، ومنذ هذا التاريخ ، اخذ الخمس يعتدون على اراضي ومواشي وممتلكات مسيحيي بيت لحم · فاجتمعت عائلات بيت لحم وقررت القضاء على الخمس وابعادهم عن المدينة · فقتلوا رئيسهم واعدموا معظمهم · وانتقل ما تبقى منهم الى بيت فجار واتخذوه منطلقا لغزواتهم على بيت لحم · امام هذا الواقع ، اتفق اهالي بيت لحم مع رؤساء التعامرة للقضاء على الغزاة وصد هجماتهم المتتالية · وهكذا كان · فتوقفت الاضطرابات التي كانوا يسببونها نهائيا · وفي المقابل ، اعطيت املاك الخمس للتعامرة ·

« منذ ذلك الحين ، ووجهاء التعامرة يمتطون افراسهم ويصحبون مسيحيي بيت لحم لمقابلة بطريرك الدير اليوناني ومواكبته حتى دير مار الياس على طريق القدس · وقد تمتنت روابط الاخوة والصداقة بين الفريقين حتى ايامنا هذه » ·

[طريقة الحياة واللبس وطريقة الطحن]

« ترتدي النساء ملابس سوداء مصنوعة في الشام · اما احذية الرجال ، فهي من جلد الجمل · وينسجون عباءاتهم بايديهم من اصواف قطعانهم · بعضهم كان يضع العمامة على رأسه والبعض الاخر يرتدي الحطة والعقال · ومع الزمن ، اهملت العمامة وعمم ارتداء الحطة · والجميع يستخدم الحطة اليوم ·

اما بما يختص بطريقة الطحن ، فكانوا في الاصل يسحقون القمح والشعير على قطع من الصخر ، ثم استخدموا مطاحن من الحجارة يديرونها بانفسهم · فيما بعد ، ومع اقترابهم من المدن ، اكتشفوا الطواحين الحجرية التي تديرها الحمير او البغال ، ونجد هذا النمط حتى الان ·

« يأتون بالملح الضروري لاستهلاكهم ويتاجرون به في المدن · يأتون به من بركة الخليل ابو ابراهيم · ويقال ان الله بارك هذه البركة الواقعة قرب البحر الميت · في الشتاء ، يعلو مستوى البحر الميت فيملؤها ، وفي الصيف ، تجف المياه وتتحول الى ملح · فينقلون هذا الملح الى الاردن ، الى جبل عجلون وقراه ويقايضونه بالقمح · ينقلونه ايضا الى مرج ابن عامر في الناصرة وقراها · عندما علم بدو المنطقة الجنوبية (بدو التجاهة والقديرات) وبنو عتيج في الاردن بمرور قوافل التعامرة المحملة بالملح ، اخذوا يهاجمونها · كان الفريقان يتبادلان الهجوم ويبقى العديد من القتلى في ساحة المعركة ، وكانت الاسلحة المستعملة في تلك الايام هي البنادق التي تقذف الحجارة ، والمسدس التداف الذي يعتمد على حجر الصوان للاشعال بدل الكبسولة ·

« هذا ما حصل تحت الحكم التركي » ٠

II ـ شجرة النسب للسكان والعائلات المختلفة

يحمل اسم التعامرة العائلات الست التي كانت تسكن بيت تعامر ، الى جانب العائلات السبع الاخرى المنحدرة من بني حارث والتي انضمت الى السكان الاوائل ٠

١ ـ **احمد** ٠ احمد ولد علي ٠ علي ولد محمد ٠ محمد ولد سليم ٠ سليم ولد خمسة ابناء : سليمان ، محمد ، سلامة ، سويلم وصباح ٠ هؤلاء هم ابناء احد الرجال السبعة ٠ ثم اسس كل من الابناء الخمسة قبيلته ٠ بعضهم استقر على اراضي التقوع وخريطون وجنوبي بيت تعامر ، والبعض الاخر استقر في نفس بيت لحم ٠

سليمان ، ابن سليم ولد ثلاثة ابناء ٠ احدهم مغنم الذي شنق في عكا تحت الحكم التركي اثر مقتل ممثل الحكومة العثمانية على طريق قريبة من عين حمده في وادي الغول (١٣) ٠ فالقي القبض على مغنم وصافي مصطفى الذير بصفتهما وجهاء عشيرتهما ٠ وحكم عليهما بالاعدام شنقا ٠ دفنا في عكا ولا تزال مقبرتهما مشهورة حتى اليوم ٠ ولم ينقل جثمانهما الى بيت تعامر بسبب طول الطريق ووعورته ٠

مغنم ولد غنائم ٠ غنائم ولد مغنم ٠ مغنم ولد سليم ٠ سليم ولد مغنم ٠ « تنمو كل هذه السلالة من احد مؤسسي العائلات السبع » ٠

٢ـ **صلاح الدين** ٠ صلاح الدين ولد عبد النبي ٠ عبد النبي ولد محمد ومسلم وسلامة ومغنم وعبد الرحمن ٠ هؤلاء هم سلالة عبد النبي ٠ اسس كل منهم قبيلته ٠ يسكنون خربة ابو نجيم جنوبي بيت لحم وايضا وادي خريطون ٠ ويعيشون في الوقت الحاضر تارة تحت الخيم ، طورا في البيوت المبنية من الحجارة ٠

٣ ـ **عسكر** ٠ عسكر ولد محمد ٠ محمد ولد ثلاثة ابناء : عيسى ، عوضلله ومعطي ٠ معطي ولد اربعة ابناء من بينهم عوضلله ٠ عوضلله ولد معطي ٠ معطي ولد سعيد ٠ سعيد ولد محمد٠ويسكن جب من العيسى حاليا في الاردن٠٠٠(١٤) تسكن جنوبي بيت تعامر٠كانوا يعيشون في الخيام ، ولكن منذ عام ١٩٤١ م ، بدأوا يسكنون في بيوت من حجارة ٠ وتدعى قريتهم اليوم فرحات وام النتشة ٠ اسم القبيلة العساكرة ويبلغ عددها ٣٤٢ شخصا يسكن بعضهم في بيت لحم والبعض الاخر في اميركا ـ اي بلاد المهجر ٠

٤ ـ **حسين** ٠ حسين ولد ستة ابناء : محمد ، سلطان ، حمدان ، ابو غلفيف ، صبيح ومحسن ٠ احدهم ، محمد ، ولد عبد الهادي ٠ عبد الهادي ولد عبد المحسن وهو شيخ عشيرة العبيات التي تسكن الان الخيام في وادي عبيان ووادي حساسة ٠ يجاورهم من الناحية الجنوبية ، عرب رشايدة والقيسين ، اي سكان قرية سعير ٠ بعضهم يسكن بيت لحم وهم متملكون فيها ٠

٥ ـ **محارب** ٠ محارب ولد سلمان ، حمدان وابراهيم ٠ سلمان ولد حمدان ٠ حمدان ولد سلمان ٠ سلمان ولد سليم ٠ وسليم الوحش هو حاليا شيخ عشيرته وكل ما يتعلق بها ٠ يقيم افراد هذه العشيرة حاليا على اراضي بيت تعامر في بيوت من الحجارة او في الخيام ، وبعضهم يسكن بيت لحم ٠

لقب الشيخ سليم بالوحش كنية لجده حمدان الذي كان مولعا بصيد الوحوش ، يطاردها حتى عرينها ٠ لذا لقب بالوحش ولا يزال هذا اللقب ساريا على سلالته حتى اليوم ٠

٦ ـ **سليم** • سليم ولد حمدان • حمدان ولد اسماعيل • اسماعيل ولد سليمان • سليمان ولد سلامة وهو اليوم رئيس عشيرته ، عشيرة الشواورة • وهو احد اعضاء وفد الوجهاء الذي يذهب للاقاة البطريرك ويتمتع بالتالي باعتبار خاص •

تقيم هذه العشيرة حاليا في وادي التعامرة وام الطلحة ، جنوبي دير ابن عبيد ، شرقي بيت ساحور ، جنوبي صور باهر • وهناك البعض من افرادها في بيت لحم وبيت ساحور وفي الكرك في الاردن •

٧ ـ **عبد الرحمن** • عبد الرحمن ولد التنح • التنح ولد ثلاثة ابناء : محمد ، حمد والزير • الزير ولد مصطفى • مصطفى ولد صافي الذي شنق في عكا مع مغنم ، انتقاما لمقتل جابي ضرائب للادارة العثمانية •

صافي ولد محمد • محمد ولد حسن • وحسن هو شيخ العشيرة المعروفة باسم الحجاجة • وقد لقبت بهذا الاسم لشهرة وجهائها فياتخاذ القرارات القانونية وامعانهم في قوانين القبيلة وقوة حججهم • فكان لها هذا اللقب •

وحسن هذا ، هو شيخ العشيرة التي كان الاخوة الثلاثة ، احمد وصلاح الدين وعسكر ، من اسلافها • اجتمع الاخوة الثلاثة في الماضي واقاموا سويا مع عائلاتهم ودافعوا عن انفسهم ضد الاعداء • ظلت مجموعتهم متحدة وسادالوفاق والمودة • اختاروا شيخا يمثلهم جميعا ويحكم بالعدل في خلافاتهم • عينوا الزير لهذه المهمة • ويتمتع الزير بهيبة خاصة لانه عضو في وفد وجهاء التعامرة الذي يذهب للاقاة البطاركة • وقد اشتهر بعدل احكامه مما جعل الوفود تتدفق اليه من كل مكان • وصل مرتبة الشيخ نظرا لقوة عشيرته والوفاق السائد بين ابنائها • وقد لقب باسم الزير •

يسكن حاليا ابناء هذه المجموعة في بيوت من حجر بدل الخيام ، في اول وادي خريطون ويدعى ايضا خربة حرملة وعين حمدة • بعضهم يسكن في الدويحة ، شرقي كهف ام قطافه والبعض الاخر يسكن بيت لحم • ويشتهر كهف ام قطافة بالاثارات القديمة جدا التي يحتويها وهي من حجر الصوان •

ولنعد الان الى العائلات الستة التي كانت تقيم في بيت تعامر قبل ان يقدم اليه بنو حارث الذين ينحدر منهم التعامرة الحاليون • ونذكر :

١ ـ **عمر** • عمر ولد عمرو • عمرو ولد محمد • محمد ولد رزق وعمرو • عمرو ولد رزق • رزق ولد ديب • ديب ولد ابراهيم المقيم على اراضي خربة بيت تعامر •

٢ ـ **محمد** • محمد عطا الله ولد محمد • محمد ولد عوضلله • عوضلله ولد محمد • ويقيمون حاليا في بيوت من حجر في حرملة •

٣ ـ **ابو هنية** • ابو هنية ولد خليل • خليل ولد ابرهيم ولد علي • علي ولد خليل • خليل ولد خميس • يقيم البعض في مادبة ما وراء نهر الاردن ، والبعض الاخر يسكن بيت لحم •

٤ ـ **ابو الحور** • ابو الحور ولد عزة • عزة ولد موسى • موسى ولد علي • علي ولد حمدان • حمدان ولد عودة • يقيمون في بيت لحم وبعضهم يعيش مع التعامرة •

٥ ـ **ابو فريجة** • ابو فريجة ولد ابراهيم • ابراهيم ولد خليل • خليل ولد موسى •

موسى ولد ثلاثة ابناء : خليل ، محمد وابراهيم · ابراهيم ولد خليل · خليل ولد عوض · عوض ولد محمود · يقيم بعضهم في بيت لحم والاردن · عددهم قليل جدا ·

٦ ـ **شمس الدين** · شمس الدين ولد يوسف · يوسف ولد محمد · محمد ولد سليمان· سليمان ولد يوسف ، انقرض هذا الجب ، لم يبق منه احد ·

اما العائلات الخمس الباقية · فقد اندمجت مع عشائر التعامرة المنحدرة من بنـــي حارث · وكل منها يرجع اصله الى العشيرة التي انضم اليها ·

ونرى ان مجموع التعامرة الحوارث ، انقسم الى ثلاث مجموعات عرفت بالاسـماء التالية : الشواورة ومن ارتبط بهم ، الحجاحجة ، المحاربة واتباعهم ·

هذه هي النتيجة التي توصلنا اليها باذن الله · وقد تمكنا من معرفة كافية لشجرة نسب التعامرة خلفاء بني حارث وغيرهم ، اي العائلات الثلاث عشرة التي استقرت في فلسطين ومناطق اخرى ·

[اسباب تحالف الاجبة وانقسامها الى ثلاث قبائل]

كما سبق وذكرنا ، اصطدم التعامرة بالقيسيين في معارك عديدة · وكان النصر حليفهم بينما تبعثر القيسيون وضعفت قواهم · ولكن القيسيين ظلوا يضمرون الشر للتعامرة فـي اعماقهم · فادخلوا تعديلا على طريقة مواجهتهم ·· وكانت الخطة الجديدة هي بث روح التفرقة واثارة الكره المتبادل في صفوف التعامرة · نجحوا في ذلك · وانتشرت هـــذه الروحية بحيث اخذ التعامرة يغزون بعضهم البعض · ومع ازدياد الخلاف عنفا ، انشقوا الى حزبين : الحزب الجنوبي والحزب الشمالي · كان الحجاحجة والعبيات والمحاربة من الحزب الجنوبي بينما شكل الشواورة والمساعدة والكسابة ، الحزب الشمالي ·

التقى الجيشان على اراضي مزيويس قرب جبل مزيويس ، شرقي بيت تعامر · واستخدم السيف والرمح والبنادق التي تقذف الحجارة ـ اي اسلحة ابراهيم باشا المصري ـ والزرد والهراوة والمقلاع · وكانوا يمتطون الافراس ·

واصطحبت النسوة الرجال الى ساحة المعركة وساعدتهم ، تبعا للتقاليد القديمة · في تامين حجارة المقالع والمياه · وشجعتهم بالاغاني والزغاريد ·

وفي اوج المعركة ، تقدم الشماليون وصعدوا على قمة جبل مزيويس بغية الاستيلاء على الاراضي المجاورة وتحدي الحزب الجنوبي · فوقف الجنوبيون فـورا في مواجهـة الخصم وبدات المعركة · تغلب الحزب الجنوبي على الشماليين واجبرهم على التقهقـــر وبات يطاردهم حتى مشارف دير ابن عبيد ·

اعترف الشماليون بالهزيمة على يد الجنوبيين ، وناشدوا اليمنيين الموجودين في الجوار لمساعدتهم · عندها تدخل الحزب اليمني والسلطة التركية وفرضوا على المتخاصمين هدنة توصلوا خلالها الى النتيجة التالية : يعود كل حزب او عشيرة الى حيث كان يقطن وكـان شيئا لم يكن · وصالحوهم واصلحوهم وفرقوا بني تعمر الى ثلاث قبائل ، تماما كما هـــم الان · وجزأوا اراضي التعامرة ، اساس الخلافات ، الى ثلاثة اقسام وزعت نسبة لعـدد رجال كل قبيلة · واذا مات احدهم لا وريث له ، مات معه الحق في هذه الحصة من الارض · اما في حال وجود ورثة ذكور ،فتصبح الارض ملكا للورثة ويدعون باسم المعاديد·

وحدد العثمانيون هذه الاراضي وفرضوا الضرائب عليها · ويقي هذا القانون ســـــاري المفعول في صفوف التعامرة حتى نهاية عام ١٩٣٧ م ، حين الغاه الانتداب البريطاني ووزع الارض على عدد الاشخاص واخضعها للقوانين المتعلقة بالملكية العقارية ، على غرار باقي اراضي فلسطين ·

حيث يدفنون موتاهم

كان التعامرة جميعا يدفنون موتاهم في المدفن المجاور لجبانة راحيل (١٥) شمالي بيت لحم ، على طريق القدس · عندما كثرت سلتهم وازداد عددهم ، تنوعت مقابرهم · فاخـــذ ثلثهم ــ ومن بينهم الحجاجة ــ يدفن موتاه في وادي معلق ، في المكان الذي يدعى اليـــوم قبور الدواعدة (١٦) · ومنذ فترة وجيزة ، انتقلوا الى بيت تعامر ، بالقرب من مسجد عمر ابن الخطاب ·

اما الثلث الثاني ، المحاربة · فيدفن موتاه في خربة بيت تعامر ، في معصرة (١٧) وفي وادي عبيان ·

والشواورة ، الثلث الاخير ، يدفنون موتاهم في الشيخ غنام قرب ام الطلعة ، جنوبـــي دير ابن عبيد · وبعضهم يقبر موتاه على اراضي حجار العصبح ((١٨) وبيت تعامر ·

جميع التعامرة المقيمين في بيت لحم حاليا ، يقبرون موتاهم في مدفن جبانة راحيل ·

يقع ضريح الحاج محمد الزير بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب في بيت تعامر ·

ومن التعامرة الذين اعلنوا الجهاد منذ فترة قصيرة ، على الحكومة البريطانية في سبيل فلسطين ، يجب ان نشير في اول الامر الى احمد السالم من عشيرة المحاربة · فقد ترأس مجموعة من المتطوعين التعامرة وقاوم الحكومة البريطانية ووقف عائقا امام جميـــــــع مشاريعها في مقاطعة بيت لحم ·

ثم عين فخامة الحاج امين افندي الحسيني ، مفتي القدس والقائد الاعلى ، عين عيسى حسين ابو قدوم الذي قام باعمال خارقة تستحق العرفان والتي ضاعفت نشاط التعامـــرة الملتزمين في الجهاد · استشهد في معركة بني نعيم التي اشترك بها الطيران وقوات البـر البريطانية · وقد ووري الثرى في وادي عبيان · حصل ذلك عام ١٩٣٧ م ·

III ــ الاحصاء العام للتعامرة مع اسم الوجهاء · عام ١٩٤٨م·

الاسم	العدد	العشيرة
الحاج حسن محمد الزير	١٩٤٣	حجاحجة
سليم الوحش واتباعه	١٢٦٦	محاربة
سلامة سليمان الحمدان	١٢٤٤	شواورة
ابرهيم الدرعاوي	٢٠٢	شواورة
عبد المحسن ابو ديه	١٠٥٠	محاربة
تمر العودة	٩٦	محاربة
عويدة العرجا	٨١	حجاحجة

محمد ابو عمرية	١٢٥٥	شواورة
حسين حمدان الوحش	٣١٣	محاربة
محمود مسلم البريغية	١٦٥	محاربة
التعامرة المقيمون في بيت لحم		
من مختلف العشائر	٧٣٦	
مجموع عدد الاشخاص	٨٣٥١	
الثلث الاول : سليم الوحش : محاربة		٢٨٩٠
الثلث الثاني : حسن الزير : حجاجحة		٢٠٢٤
الثلث الثالث : سليمان اسماعيل : شواورة		٢٧٠١
المقيمون في بيت لحم		٧٣٦
المجموع		٨٣٥١

القدس ٠
ب٠ كورونيه

نقلت النص عن الفرنسية
جاكلين فرهود

الحواشي :

١ ـ يستخدم الراوي تسمية العشيرة احيانا وتسمية القبيلة احيانا اخرى ٠

٢ ـ **مدن صالح** ، او مدائن النبي صالح ، لا تزال اثارها فيمنطقة الهجر ، التي تقع على خط السكة الحديدية ، دمشق ـ المدينة المنورة٠ كان يسكنها الثموديون، الذين بعث الله اليهم النبي صالح كي يدخلوا في الاسلام ٠ ٠وعندما لم يستجيبوا لاوامر النبي ، حل بهم زلزال ابادهم ٠ وفي سنة ٩هـ٠ (٦٣٠م) رفض الرسول السماح لرجاله ، وهو في طريقه الى بلاد الشام ، بالاقتراب من هذا المكان والشرب من ينابيعه ٠

٣ ـ **معان** : احدى محطات القطار ، على خط دمشق ـ المدينة المنورة ٠ مركز اداري وتجاري للمنطقة ٠

٤ ـ **وادي موسى** : الاسم الحديث للبتراء ، عاصمة الانباط ٠

٥ ـ بيت عامر او بيت تعامر او بيتعامر كما وردت في نصوص اخرى ٠

٦ ـ اي ١٥٧٢ ميلادية ٠

٧ ـ يعود هذا الاسم الى القديس شاريتون الذي اسس مسجدا في هذا المكان عام ٣٤٥ او ٣٥٠ تقريبا ٠

٨ ـ **وعر خريطون** يعلو ٩٠٠ متر عن الوادي ، يقع شمالي غربي خربة خريطون٠

٩ ـ **السواد** هي القطعة الخشبية التي يستعملها الراعي لاغلاق الكهف منعا لخروج الخرفان ٠

١٠ ـ لا يوجد معلومات حول كيفية انتشار الصراع يمني/قيسي في فلسطين او كيفية انضواء البدو والحضر فيها لاحد الحزبين ٠ يمكننا فقط تسجيل الانقسام الواقع دون الدخول في التفاصيل٠ فالعائلة قيسية او يمنية ٠ لماذا ؟ نسي الناس السبب ٠ هذا لو علموا به يوما ! فجبال الخليل قيسية وجبال نابلس يمنية ٠ ولا بد ان هذه الانتماءات تلعب دورا هاما في النفور المتبادل بين هذين المركزين الدينيين٠ اما بيت لحم ، فينتمي اكثرية سكانها الى الحزب اليمني بينما ينتمي اهالي بيت جالة الى الحزب القيسي ٠ في المدن مثل القدس. يتعايش الحزبان : ال خالدي على رأس الحزب القيسي وال حسيني على رأس الحزب اليمني ، في الوقت الحاضر ، لا تنشب اشتباكات تذكر بين الحزبين٠ ولكن، وحتى فترة قصيرة ، كان لا يزال واجبا على العروس المتوجهة نحو دار عريسها ان تبدل منديلها الاحمر (العلم القيسي) بمنديل ابيض (العلم اليمني) اذا مرت في منطقة مؤيدة للحزب اليمني ، والعكس بالعكس ، والا نشبت معركة ٠

١١ ـ وادي البقيعة ، ويعرف ايضا بـ (دورا) ينبثق من جبل طمون الى الشمال الشرقي من مدينة نابلس ٠ ثم يسير باتجاه جنوبي شرقي الى ان ينتهي في الضفة الغربية من نهر الاردن ٠ حيث يعرف بوادي ابو سدرة (خمار ق، موسوعة فلسطين الجغرافية ، مركز الابحاث) ٠

١٢ ـ نسبة الى عرب ابن عبيد المنتشرين غربي مار سابا حتى البحر الميت مرورا بالبقيعة ٠

١٣ ـ **وادي الغول** هو الوادي نفسه الذي يقع قرب خربة خريطون والذي سيدعى باسم وادي خريطون فيما بعد ٠

١٤ ـ هناك نقص في النص الاصلي ٠

١٥ ـ وهي القبة الاسلامية التي تبعد ٧٥ كلم عن القدس ، حيث شيدت المقبرة التذكارية لزوجة يعقوب المفضلة ٠

١٦ ـ تحدد جميع الخرائط ، مواقع قبور الدواعدة في وادي عليا وليس في وادي معلق الواقع في الجنوب ٠ اما مقبرة وادي معلق فتدعى : مقبرة الغنامة ٠

١٧ ـ جنوبي غربي ابو نجم ٠

١٨ ـ منطقة مجاورة للبحر الميت ، ولكنها بعيدة جدا عن مناطق تواجد النعامرة ولا يشار في الخرائط المفصلة الى وجود اي مدفن فيها ٠

تقارير

الاحصاء الفلسطيني وآفاقه

ترتبط التنمية الاقتصادية وقضايا التخطيط الاجتماعي المبرمج بمدى دقة الاحصاءات والمعلومات والبيانات المتوفرة · ان المعرفة العلمية بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والتربوية تمكن من تعبئة طاقات المجتمع الراهنة والتخطيط للمستقبل ·

ومن المعروف انه ، بعد نكبة ١٩٤٨ ، برز قصور حاد في المعلومات الديمغرافية والاحصائية المتعلقة بالشعب الفلسطيني · فالاردن لا يميز في الاحصاءات الرسمية بين الفلسطيني والاردني ، ولبنان لا يجري اي احصاء لسكانه وللمقيمين ، بالتالي ، على أرضه · أما بعض الدول العربية اخرى ، فانها لا تولي الاحصاء الاهمية التي يستحقها · وارقام وكالة الغوث الدولية بصدد الفلسطينيين تفتقد الى كثير من الدقة ، لا سيما لجهة المعلومات الديمغرافية ·

ان التناقض قائم في معلومات المعنيين بشؤون الفلسطينيين حول اعداد المعتقلين من الفلسطينيين وحجم توزيعهم في البلاد العربية والاجنبية · وتلعب الاهداف السياسية دورها في هذا المجال ·

وعليه ، تنبع الحاجة الماسة الى مبادرة الفلسطينيين بقيادة م·ت·ف· للتوجه والمساهمة في حل مشاكل الاحصاء الفلسطيني ·

اهم العقبات التي تواجه الاحصاء الفلسطيني :

نحن نواجه ثلاث مستويات من الصعوبات في اعداد احصاء فلسطيني وخاصة في اعداد مسح شامل للفلسطينيين : الاول ، اننا نشارك البلدان النامية صعوباتها العامة · والثاني ، اننا نشارك البلدان المضيفة للفلسطينيين الصعوبات الخاصة بكل منها لاننا لا بد من ان نحصى ضمن احصائها · والثالث، الصعوبات الخاصة بوضع الشتات الفلسطيني ونخص بالذكر منها ما يلي :

١ ـ رفض سلطات العدو الاسرائيلي السماح لاية هيئة دولية محايدة اجراء احصاء للفلسطينيين المقتلعين من محيطهم الطبيعي داخل وطنهم ، الرازحين تحت حكم الاحتلال الصهيوني منذ العام ١٩٤٨ وحتى الان · الامر الذي يفرض علينا الاعتماد

ولو بتحفظ على احصاءات تلك السلطات، وهذا يحرم منظمة التحرير الفلسطينية من تحقيق الاهداف المنشودة من الاحصاء وذلك لتحكم العدو بالاستمارة وبما يستخرج منها من معلومات ٠

٢ ـ هناك صعوبة او شبه استحالة في مقارنة بعض الارقام الموجودة بين الدول المختلفة نظرا لاختلاف المفاهيم ودرجة الدقه واختلاف المصادر التي تلجأ اليها الاجهزة الاحصائية في الدول المختلفة ، وخاصة تلك الدول الحديثة العهد بالتعدادات ٠

٣ ـ توقيت تنفيذ مسح شامل للفلسطينيين يختلف من دولة الى اخرى في العالم ٠ فقد يتلاءم تنفيذه في بعض الدول مع برامج مقررات او بحوث تجريها هذه الدول ٠ وقد لا يتلاءم تنفيذه في بعض الدول الاخرى مع برامجها وبحوثها ٠

٤ ـ الاسباب السياسية التي تجعل بعض الحكومات تمانع في اجراء مسح شامل للفلسطينيين عندها واحيانا اخرى تتحكم في نوعية المعلومات التي يمكن جمعها ٠

٥ ـ اسباب قانونية ، ففي بعض الاقطار لا تساعد القوانين المرعية الاجراء على التمييز بين المواطن الاصيل وبين الفلسطيني المتجنس بجنسيتها ٠

٦ ـ الانتشار الجغرافي الواسع للفلسطينيين في العالم ٠

٧ ـ عدم وجود جهاز فلسطيني مركزي قادر على توفير البيانات الاحصائية بالصورة المطلوبة ٠

٨ ـ قلة الكوادر الاحصائية الفلسطينية المؤهلة واستمرار تسرب الموجود منها الى خارج العمل الاحصائي او الى خارج الوطن العربي او الى اجهزة الاحصاء العربية ٠

٩ ـ محدودية التعاون والتنسيق بين النويات الاحصائية الفلسطينية المختلفة وغيرها من الاجهزة العربية والدولية فيما يتعلق بمستلزمات العمل الاحصائي ونتائجه ٠

١٠ ـ نظرة الريب والقلق عند الفلسطينيين تجاه عمليات الاحصاء لارتباطها تاريخيا بمشاريع مشبوهة مضادة لمصالحهم سياسيا كمشاريع التوطين مثلا ٠

هيئة مركزية للاحصاء :

لا شك بأن هناك عقبات لا يمكن تلافيها قبل تحرير فلسطين وعودة الفلسطينيين الى وطنهم واقامة دولتهم الديمقراطية ٠ لذا ، ضمن الظروف الراهنة ونظرا لبعض الصعوبات ومراعاة للواقعية والبساطة ، نرى ضرورة اتخاذ الترتيبات المبكرة والملائمة لضمان تأسيس جهاز مركزي للاحصاء الفلسطيني وفقا للموارد البشرية الفلسطينية المتوفرة على غرار مركزي الابحاث والتخطيط التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية ، خاصة بعد ان تطورت العملية الاحصائية الى عملية معقدة تتطلب التعاون الوثيق بين مجموعة متنوعة واسعة من الاخصائيين في مجالات مختلفة ٠ ونتوقع من جهاز احصائي فلسطيني مركزي جيد التأسيس ان ينظم الاشتراك الفعال لاختصاصات متعددة تحت سقف واحد ٠ وهي عملية شاقة تحتاج لوقت وجهد كبيرين الى ان تتسع النواة وتأخذ ابعادها الكاملة والمتواصلة وفقا لاحتياجات فلسطين ثورة وكيانا ومجتمعا ٠ وادراكا منا للمشاكل المتصلة بالواقع الراهن وتلبية للاحتياجات المرحلية والمستقبلية نقترح كقواسم مشتركة للمشاكل واحتياجات التأسيس والطموحات المستقبلية وافضليات منظمة التحرير الفلسطينية ، المراحل التالية لتأسيس هذا

الجهاز الاحصائي نوفق من خلالها بين هذه القواسم : ـ

المرحلة الاولى :

تأسيس هذه النواة المركزية والحاقها منذ البدء برئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية على ان تكون مستقلة عن غيرها من المؤسسات الملحقة برئيس اللجنة التنفيذية لتتمكن من النمو المستقل والقوي المستمر باتجاه تلبية الاحتياجات المستقبلية بكفاءة عالية · وتكون مهمة هذه النواة في هذه المرحلة مهمة مكتبية تتلخص كالتالي :

١ ـ تجميع البيانات والابحاث والدراسات الاحصائية المتوفرة والتي لها علاقة بالفلسطينيين سواء قبل النكبة او بعدها ·

٢ ـ تقييم هذه البيانات وتصويبها ثم تحليلها ·

المرحلة الثانية :

على ضوء نتائج المرحلة الاولى نقترح تحديد مهمات المرحلة الثانية بالتالي :

١ ـ زيادة مجالات التعاون والتنسيق بين الاجهزة الفلسطينية الموجودة والمعنية بالاحصاء الفلسطيني تلافيا للازدواجية ·

٢ ـ التعاون مع المؤسسات العربية والدولية المعنية بالاحصاء من اجل التنسيق الزمني معها وتبادل المعلومات والبيانات والدراسات الاحصائية عن الفلسطينيين · وخاصة فيما يتعلق بالاشراف على احصاء الفلسطينيين في العالم الذي ستنفذه اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ·

٣ ـ اعداد برنامج متعدد المراحل من اجل الاستفادة من الخبرات العربية والدولية في تدريب كوادر احصائية ذات مستوى عال ومتوسط في كل المجالات الاحصائية ·

٤ ـ حصر الكفاءات الاحصائية الفلسطينية والعمل على امتصاصها في هذا الجهاز المقترح ·

٥ ـ توفير المساعدات المادية والفنية من اجل تنفيذ المرحلة الثالثة ·

المرحلة الثالثة :

١ ـ تدريب اكبر عدد ممكن من كوادر المؤسسات الفلسطينية المختلفة احصائيا في المؤسسات العربية والدولية ·

٢ ـ تنفيذ بعض المشروعات الاحصائية الميدانية المتخصصة ·

٣ ـ نشر الوعي الاحصائي بين الفلسطينيين ·

٤ ـ التحضير الاحصائي لمرحلة ما بعد التحرير ·

المرحلة الرابعة :

وفي هذه المرحلة تكون النواة قد اكتست بالمعالم المحددة لها ونضجت كهيئة مستقلة تتولى استخراج انماط مختلفة من الاحصاءات المختلفة واللازمة لبناء وطن حر مستقل متطور ·

الهيكل التنظيمي للجهاز المقترح :

ان المحصلة الواقعية والمحتملة للظروف الحالية للفلسطينيين تفرض علينا اقتراح الهيكل التنظيمي التالي كخطوط عامة لجهاز الاحصاء الفلسطيني المقترح :

١ ـ مجلس امناء مختلط من اخصائيين وسياسيين يعينهم رئيس منظمة التحرير الفلسطينية تكون مهمته وضع السياسة العامة وتحديد الاولويات في برامج جهاز

الاحصاء ويكون مدير الجهاز عضـــوا اصيلا في هذا المجلس ٠

٢ ـ مدير عام للمركز يكون مســؤولا عن اعداد البرامج التفصيلية بما يتفــق وتوجيهات مجلس الامناء ويكون مسؤولا مسؤولية مباشرة امام رئيس اللجنـــة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينيـــة ٠ وقيادة دفة العمل التنفيذي اليومي للجهاز من خلال الاقسام التالية :

أ) قسم الاحصاءات السكانية ٠

ب) قسم الاحصاءات الاجتماعية ٠

ج) قسم الاحصاءات الاقتصادية ٠

د) قسم الشؤون الادارية والمالية ٠

هـ) قسم التدريب واعداد الكوادر ٠

جهات التمويل من اجل التاسيس :

بالفعل هناك اكثر من جهة عربية ودولية رسمية بامكانها تقديم معونات فنية ومالية وبشرية وقد سبق لبعضها ان الثـــزم رسميا بتقديم معونات من اجل تأسيســن وتطوير جهـــاز مركـــزي للاحصاء الفلسطيني ٠ ولعل ابرز هذه الجهـــات المعنية ما يلي : ـ

١ ـ مجلس الوحدة الاقتصادية العربية وقد سبق ان أقر ما مجموعه ١٧٥ر٠٠٠ دولار من ميزانيته من اجل تحقيق هـــذا الغرض ٠

٢ ـ ادارة الاحصاء في الامانة العامة لجامعة الدول العربية ٠

٣ ـ المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ٠

٤ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافـــة والعلوم ٠

٥ ـ اللجنة الاقتصادية لدول غـــرب آسيا (الاكوا) ٠

٦ ـ الصندوق الخاصـــن للانشطـــة السكانية التابع للامم المتحدة ٠

٧ ـ الحكومات العربية ٠

٨ ـ المركز الديمغرافي لشمال افريقيا في القاهرة ٠

٩ ـ معهد الدراســـات والبحـــوث الاحصائية بالقاهرة ٠

١٠ ـ المركز العربي للتدريب والبحوث الاحصائية في بغداد ٠

١١ ـ المعهد العربي للتخطيـــط فـــي الكويت ٠

مصادر الاحصـــاءات المتوفـــرة عـــن الفلسطينيين :

أ) مرحلة ما قبل الاحتلال ١٩٤٨ :

١ ـ تعداد ٢٣ـ١٠ـ١٩٢٢ الذي اجرته سلطات الانتداب البريطاني اثر احتلالها لفلسطين ٠ وهو اول تعداد جرى فـــي فلسطين بحدودها السياسية المعروفة ولم تكن نتائجه مرضية لعدم تجاوب الاهلين ٠

٢ ـ تعداد ١٨ـ١١ـ١٩٣١ وقد اجرتـه سلطات الانتداب البريطاني وهو اكثر دقة من الاحصاء السابق ٠

٣ ـ احصاء السجل المدني على الرغم من صدور تشريعات السجل المدني فـــي فلسطين منذ عام ١٩٢٠ نجد قصورا فـي تسجيل واقعات الولادة والوفيات كما هي الحال في معظم الدول النامية ٠

٤ ـ تعداد البدو في عام ١٩٣١ وعـام ١٩٤٦ وقد اقتصر على بدو صحراء النقب فقط ٠ وكان تحقيقا بالعينة لدراسة بعض الخصائص الديمغرافية للبدو ٠

٥ ـ كتاب سعيد حمادة (محررا) ، النظام الاقتصادي في فلسطين والصـادر عن الجامعة الاميركية في بيروت عـــام ١٩٣٩ ٠

ب) مرحلة ما بعد الاحتلال ١٩٤٨ :

لا توجد تعدادات شاملة دقيقة عن الفلسطينيين في الشتات ، ولكن هناك تحقيقات احصائية بالعينة خاصة ببعض جوانب حياة الفلسطينيين هنا او هناك ، وثمة بعض التقديرات والافتراضات التي تظهر على صفحات الكتب والمطبوعات دون ان يصحبها عرض كاف للطرق المستخدمة في الوصول اليها • فحسب المعلومات المتوفرة لدينا ، فان احصاءات جمعية الصليب الاحمر الدولي التي تمت في اول ايار ١٩٥٠ هي اول احصاءات عن اللاجئين الفلسطينيين • الى جانب ذلك ، هناك بعض المعلومات الاحصائية العامة والمتفاوتة والتي ترد فيكتب الاحصاءات الرسمية الصادرة عن الدول التي يقيم فيها الفلسطينيون حاليا • ولعل ابرز هذه المصادر الحكومية والدولية ما يلي :

١ ـ التقرير السنوي لمدير وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين ابتداء من عام ١٩٥١ •

٢ ـ الاحصاء السنوي لدائرة التعليم في الاونروا ابتداء من عام ١٩٦٣ •

٣ ـ التقرير السنوي لدائرة الصحة في الاونروا ابتداء من عام ١٩٦٤ •

٤ ـ احصاءات شاملة وخاصة منها ما هو معلن ومنها ما هو مكتوم قامت به الاونروا ابتداء من عام ١٩٥١ •

٥ ـ احصاءات الحكومة الاردنية عام ١٩٥٠ •

٦ ـ التقرير السنوي للحاكم العام لقطاع غزة •

٧ ـ احصاءات الحكومة السورية منذ عام ١٩٦٠ •

٨ ـ احصاءات الحكومة الكويتية ابتداء من عام ١٩٥٥ •

٩ ـ احصاءات العدو الصهيوني منذ عام ١٩٥٠ •

١٠ ـ التقرير السنوي لكل من حكومتي مصر والعراق عن الفلسطينيين المسجلين لديها •

١١ ـ احصاءات الحكومة السعودية •

١٢ ـ احصاءات الحكومة القطرية •

١٣ ـ احصاءات جامعة الدول العربية والمنظمة العربية للثقافة والعلوم •

١٤ ـ احصاءات ومعلومات مؤسسة الشؤون الاجتماعية وجمعية اسر الشهداء التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية •

١٥ ـ احصاءات الاتحادات الشعبية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية •

١٦ ـ احصائيات جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني •

١٧ ـ احصاءات مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في العالم •

هذا من جهة الاحصاءات الواردة من مصادر حكومية او دولية رسمية ، اما عن الدراسات الميدانية والتحقيقات الاحصائية عن الفلسطينيين فاهمها ما يلي :

١ ـ الهيئة العربية العليا الفلسطينية : تقرير بشأن وجود اللاجئين في لبنان ، صدر في بيروت بتاريخ ١٨ـ١٢ـ١٩٥٩ •

٢ ـ وزارة الانشاء والتعمير في الاردن : تقرير عن عدد اهالي عرب فلسطين اللاجئين والنازحين في الدول العربية وبقية انحاء العالم حتى ١٥ـ٦ـ ١٩٦٨ •

٣ ـ اميرة حبيبي : النزوح الثاني صادر عن مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٠ •

٤ ـ ليلى الحر : الفلسطينيون في لبنان ، صادر عن دار النهار في بيروت عام ١٩٧٠ •

٥ ـ مديرية الاحصاء المركزي في وزارة

التصميم اللبنانية : تحقيق احصائي خاص بالقوى العاملة في المخيمات الفلسطينية في لبنان عام ١٩٧١ ٠

٦ ـ القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق بالتعاون مع مكتب فلسطين والكفاح المسلح بالاضافة الى مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في العراق ومركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد : احصاء شامل للفلسطينيين في العراق لم تعلن نتائجه في اواخر عام ١٩٧١ ٠

٧ ـ كامل الداوودي : تقرير احصائي عن عرب فلسطين في الدول المضيفة وفلسطين المحتلة حتى تاريخ ١ـ١ـ١٩٧٢٠

٨ ـ عصام سخنيني : الفلسطينيون في العراق ٠ مقالة منشورة في مجلة شؤون فلسطينية بتاريخ ايلول ـ ١٩٧٢ ٠

٩ ـ مركز الابحاث الفلسطيني : دراسة بعنوان الوضع الديمغرافي للفلسطينيين في لبنان صادرة عام ١٩٧٢ ٠

١٠ ـ نادرة السراج : الفلسطينيون في مصر ، بحث مقدم للجامعة الاميركية في القاهرة عام ١٩٧٢ ٠

١١ ـ معين حمود : الفلسطينيون في لبنان ، كتاب صادر عن دار ابن خلدون في بيروت عام ١٩٧٣ ٠

١٢ ـ نبيل شعث : بحث عن الطاقة البشرية الفلسطينية العالية صادر عن مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٣ ٠

١٣ ـ محمد السيد غلاب : تطور سكان فلسطين من سنة ١٩١٨ الى ١٩٦٥ ، مقالة منشورة في مجلة معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة في حزيران ١٩٧٣ ٠

١٤ ـ شحادة يوسف : الواقع الفلسطيني والحركة النقابية ، كتاب صادر عن مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في العام ١٩٧٣ ٠

١٥ ـ هاني مندس : العمل والعمال في المخيم الفلسطيني ، كتاب صادر عن مركز الابحاث الفلسطيني بتاريخ ١٩٧٤ ٠

١٦ ـ الياس خوري : احصاءات فلسطينية ، كتاب صادر عن مركز الابحاث الفلسطيني عام ١٩٧٤ ٠

١٧ ـ سمير ايوب : مصادر الدخل عند الفلسطينيين في لبنان ، بحث جامعي اعد عام ١٩٧٤ قيد النشر ٠

١٨ ـ بلال الحسن : الفلسطينيون في الكويت ، كتاب صادر عن مركز الابحاث الفلسطيني عام ١٩٧٤ ٠

١٩ ـ عنان العامري : احصاءات زراعية عن فلسطين ١٩١٩ ـ ١٩٧٠ صادر عن مركز الابحاث الفلسطيني عام ١٩٧٤ ٠

٢٠ ـ جميل هلال : الضفة الغربية ، كتاب صادر عن مركز الابحاث الفلسطيني في عام ١٩٧٥ ٠

٢١ ـ جورج قصيفي : مساهمة في دراسة ديمغرافية الشعب الفلسطيني ، بحث جامعي قيد النشر مقدم الى جامعة باريس الاولى عام ١٩٧٦ ٠

٢٢ ـ حسين ابو النمل : غزة ، دراسة سوف تصدر عن مركز الابحاث ، اعدت عام ١٩٧٧ ٠

٢٣ ـ رسالة ماجستير مقدم للقسم الاجتماعي بكلية الاداب بجامعة بغداد في نهاية العام ١٩٧٧ عن الفلسطينيين في العراق ٠

٢٤ ـ سمير ايوب : البنية الطبقية للفلسطينيين في لبنان ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الاداب بجامعة بيروت العربية عام ١٩٧٧ قيد الطبع ٠

٢٥ ـ عصام سخنيني : الفلسطينيون في الضفة الشرقية ، مؤشرات عددية ،

مقالات منشورة في مجلة شؤون فلسطينية بتاريخ اب ـ ١٩٧٧ ٠

٢٦ ـ حسين ابو النمل : الضفة والقطاع ٦٧ـ٧٨ ، كتاب صادر عن مركز الابحاث الفلسطيني بالاشتراك مع مؤسسة صامد بتاريخ ١٩٧٨ ٠

في الحقيقة ، قد لا يكون ما ذكرنا من مصادر تحتوي احصاءات فلسطينية هي كل ما صدر في هذا الشأن ، وانما يؤمل ان تشكل هذه القائمة التي لا بد من ان تستكمل قاعدة اساسية في ارشيف المرحلة الاولى المقترحة من اجل تأسيس مركز احصائي في فلسطين ٠

سمير ايوب

الثقافة الجديدة

مجلة فكرية ابداعية

تصدر في المغرب

المدير المسؤول : محمد بنيس

المحمدية ، ص٠ب٠ 505 المغرب

مراجعات

ياسين الحافظ ، التجربة التاريخية الفيتنامية ـ تقييم مقارن مع التجربة التاريخية العربية ، (دار الطليعة ، بيروت : اذار ١٩٧٦) ٠

للكاتب التقدمي ياسين الحافظ عدة ابحاث ودراسات جمعها في مؤلفات لها قيمة سياسية نظرا للموضوعات التي تطرقت لها والجرأة الفكرية التي تميزت بها عن غيرها من المحاولات ، ولقد صدر للمفكر الماركسي ياسين الحافظ حتى الان ثلاثة كتب الاول « حول بعض قضايا الثورة العربية (١٩٦٥) » و « اللاعقلانية في السياسة (١٩٧٥) » و « التجربة التاريخية الفيتنامية (١٩٧٦) » وله قيد الاعداد كتابان « الهزيمة والايديولوجيا المهزومة » و « نمط منظورات وحدوية جديدة » ٠

ونحن هنا لا نريد ان نتناول بالعرض والتقييم كافة كتابات ياسين الحافظ وانما سنكتفي باستعراض ما ورد في كتابه الهام الاخير « التجربة التاريخية الفيتنامية ـ تقييم نقدي مقارن مع التجربة التاريخية العربية » الذي صدر في اذار ١٩٧٦ دون ان يصدر بالمقابل اهتمام نقدي جدي به ، رغم طروحاته الهامة والتي لها علاقة مباشرة بطبيعة تكون الوطن العربي وتركيبته الديموغرافية ، ومستوى نضاله القومي والوطني والتقدمي في العلاقة مع مستوى نمو وتطور فكر الامة العربية وثقافتها وسياستها وايديولوجيتها ٠

النقطة المركزية

تناول الكثير من الباحثين قضية نضال الشعب الفيتنامي ولكن لم يحاول اي منهم تناول القضايا الاساسية التي طرحها هذا النضال ، فاكتفى البعض بترجمة الدراسات والبعض الاخر استند الى الكتب ليصدر احكاما عامة تبقى في حدود تقديم بعض المعلومات والمسلسلات العسكرية والسياسية ٠

اما كتاب ياسين الحافظ ، فقد حاول منذ البداية ، الدخول في العمق الى التجربة الفيتنامية ، محاولا اكتشاف قوانينها الخاصة التي كانت اساس انتصارها ٠ ولم يكتف الحافظ بعرض قوانين التجربة الفيتنامية وانما عاد الى اصولها وحركتها الزمنية وتطورها التاريخي وذلك عبر اقامة نوع من المقارنة مع التجربة التاريخية العربية التي تتماثل معها في بعض النقاط وتختلف عنها في نقاط اخرى ٠

ان النقطة المركزية التي يدور حولها

كتاب الحافظ هي هذا السؤال : لماذا انتصر الشعب الفيتنامي ولماذا انهزم الشعب العربي ، رغم ان التطور الاجتماعي والاقتصادي والتقني للشعب الفيتنامي متخلف كما هي الحالة عند العرب ؟ ٠

هذا السؤال ترد عليه مختلف اجابات الحافظ على امتداد صفحات الكتاب الذي يشمل عدة فصول ، منها دروس التجربة وتطور الحركة القومية الفيتنامية والوعي التاريخي الفيتنامي والوعي التاريخي العربي ٠

التجربة الفيتنامية

يخلص ياسين الحافظ في مقدمة كتابة الى مسالة جريئة ، وهي اعتباره ان « الخطوة الاولى ، او البدوة اللازمة للتقدم نحو تذليل هذه المشكلات وتكنيس هذه البلايا هي عقلنة الانتجلنتسيا الغربية » (ص : ١٥) ٠

هذه الخلاصة تشكل نقطة الارتكاز عند الحافظ لحل المشكلات الكثيرة والمعقدة لان تشديد العقلية العربية يسهل لنا عملية استيعاب التجارب والتقاط الحلقة المركزية في نضالنا القومي الراهن وكل ما عدا ذلك ليس سوى خبط عشواء في النظريات والايديولوجيات ٠

يبدأ الحافظ كتابه في تعريف التجربة التاريخية لشعب من الشعوب بالقول انها « اجماع حركة كل الشعب على كل المستويات والاصعدة » (ص : ٥) ٠ لذلك لم يتوقف بحثه عند النقاط المعروفة بل ذهب في تحليله التاريخي الى ابعد من السطح ٠ فالاحداث السياسية عند الحافظ تشكل سطح الاشياء اما « الجوهري والاساسي فهو الايديولوجي والثقافي ، الذي يفرز السياسي ويحكمه » (ص : ٦) ٠

وهكذا يؤسس الحافظ منذ البدء قاعدة تحليله ونقاشه ، اذ انه ينطلق من مقولة « الاستقلال النسبي » التي تكلم عنها ماركس في علاقة الثقافي والايديولوجي والسياسي بالاقتصادي ٠ ويعقد الكاتب من هنا هذا الاختلاف في التجربتين الفيتنامية والعربية ، فالاقتصاد العربي متخلف والفكر العربي متخلف بينما الاقتصاد الفيتنامي متخلف والفكر الفيتنامي متقدم ٠

هذه المفارقة بين المسالتين ـ التجربتين حكمت مجمل الافرازات والنتائج والانتصارات والهزائم التي حملتها قضايا النضال في الوطن العربي والوطن الفيتنامي ٠

وينطلق الحافظ ايضا من مقولة اخرى وهي « التأثيرات البرانية » على البلدان التابعة للامبريالية التي تصاب اما بانكماش كما العرب والهند او بانفتاح كما الصين وفيتنام ٠ انطلاقا من هذا المفهوم يعقد الكاتب مقارنة اخرى بين التجربة الفيتنامية التي انفتحت على ثقافة الغرب واستفادت منها لمقاتلة الغرب الامبريالي وبين التجربة العربية التي انغلقت على ثقافة الغرب بداعي المحافظة على الاصالة فكانت النتيجة اننا فشلنا في مقاتلة الغرب الامبريالي ٠

ووفق هذا الاطار يعرف ياسين الحافظ كتابه بالقول انه « محاولة لالقاء ضوء على الاسباب والعوامل التي سهلت التطور الايديولوجي الفيتنامي ، كما يحوي تنويهات باسباب وظروف تظاهرات الانضماء الايديولوجي العربي » (ص : ٧) ٠

وهكذا يتحرك الكاتب على امتداد

الصفحات والفصول لتحديد اهمية الوعي ودوره في حياة البشر وفي تحريك المواطنين البسطاء · فالنتائج التي حققتها التجربة الفيتنامية « ما كان ممكنا بلوغها لو ان القرارات كانت فحسب قرارات الفوق وليست قرارات الناس البسطاء » (ص : ١٠) · لان « التطور الفكري للشعوب يتلخص في انتقالها الطويل البطيء المتلاحق من الاسطورة والايديولوجيا الى الحقيقة الواقعية » (ص : ٣٠) · واول مواجهة عقلانية ناجعة للتحدي الاسرائيلي هو انه « ينبغي ان نخرج رؤوسنا من الواقع لا ان نخرج الواقع من رؤوسنا » (ص : ٣٠)·

ويتابع الحافظ تحليله للتجربة الفيتنامية بالمقارنة مع التجربة العربية قائلا ان الماركسية الفيتنامية جاءت « وكأنها مرحلة امتداد ونضج عضويين للحركة القومية الفيتنامية الحديثة » (ص : ٣٢) ورغم فقر الشعب الفيتنامي وتأخره الاقتصادي استطاع « ان يخوض اشكال نضال عصرية وحديثة ضد الاستعمار الفرنسي ثم ضد الامبريالية الاميركية : لقد هيأ مقدمة ثقافية وايديولوجية وسياسية حديثة » (ص : ٣٣) · اما التخلف الفكري والايديولوجي العربي على مستوى حركته القومية او حركاته الماركسية ، فكان سببا في تخلفنا وتقليديتنا في حربنا النظامية وغير النظامية ضد اسرائيل · فالحرب عند الحافظ تقسم الى تقليدية وحديثة وليس الى نظامية وشعبية لان التقسيم الاول جوهري اما الثاني فشكلي (ص : ٣٦) والسلاح عنده ليس معيارا للحداثة او التخلف وانما ايديولوجيا البشر الذين يستخدمون هذا السلاح لان « الايديولوجيا هي التي تقرر نوع الحرب » (ص : ٣٦) ·

الحروب الفيتنامية ودروسها

يحدد ياسين الحافظ مراحل تطور الحركة القومية الفيتنامية بثلاث حقبات تاريخية : الاولى ، مرحلة الحركية القومية التقليدوية ، وتمتد منذ الاحتلال وحتى اواخر القرن التاسع عشر · الثانية ، مرحلة الحركة القومية الحديثة ، وتمتد منذ بدايات هذا القرن حتى العام ١٩٣٠ · الثالثة ، مرحلة الحركة القومية ـ الشيوعية ، وتبدأ بتأسيس الحزب الشيوعي الفيتنامي عام ١٩٣٠ · (ص : ٤٨) ·

ويرى الكاتب ان الحرب ومجابهة القوى الاستعمارية ليست بين طبقتين من مجتمعين فقط وانما مواجهة بين مجتمعين ايضا او كما يقول ماركس « الجانب المثير في الحرب هو انها تمتحن الامة · وكما ان المومياءات تنحل فور تعرضها للهواء ، كذلك تلفظ الحرب حكمها بالموت على جميع المؤسسات الاجتماعية التي لم تعد تملك قوة الحياة » (ص : ٦٣) · لذلك فان « مقاومة هذا الشكل الحديث في التسلط ، كان يتطلب أسلحة ايديولوجية حديثة ، قبل الاسلحة المادية التقنية » (ص : ٦٧) ·

وهكذا يرى الحافظ ان هناك سببان وراء فشل الحركة القومية الفيتنامية التقليدية وظاهرتان ادتا الى انتصار الاستعمار الفرنسي · فالسبب الاول بالنسبة للفشل هو انعدام الديمقراطية اما الثاني فهو انعدام العلم والايديولوجية العقلانية الحديثة (ص : ٦٥ ـ ٦٧) · والظاهرة الاولى بالنسبة لانتصار الاستعمار هي افتقار هذه الحركة التقليدية الى وعي قومي عام اما الظاهرة الثانية فهي عجزها عن حل مشكلة

الانقسام الطائفي للامـــة الفيتناميـــة (الكاثوليك) ومشكلة الاقليات القوميـــة (ص : ٦٨ ـ ٦٩) ٠

بعد سقوط الحركة القومية الفيتنامية التقليدية بدأت الحركة القومية الجديـــدة بالنمو والتقدم ولم « تكن ذات طابـــع تقليدوي جديد ، شأن الحركات القوميـة التي ولدت في الوطن العربي بعد استسلام الحركات القومية الثقليدوية ، بل كانـت ، من حيث الاساس ، حركة قومية غيـــر تقليدوية ، حديثة ، متقدمة ، تقدمية »٠٠ ولقد شهدت فيتنام « الى جانب الطبقـــة البورجوازية والطبقة العاملة ، اللتيـــن افرزهما التحديث الكولونيالـــي » ولادة « انتلجنتسيا جديدة وحديثة ، تختلـف اختلافا جذريا عن سلفها الانتلجنتسيـا الفيتنامية التقليدية ، التي تصدت لقيـادة النضال القومي في المرحلة السابقـــة » (ص : ٧٠ ـ ٧٣) ٠ وساهم عاملان في انتصار الانتجلنتسيـا الحديثـــة عـلى التقليدية هما نهضة اليابان ونمو المـــد التقدمي في الصين مع غلبة الاتجـــاه الصيني ، كعامل مؤثر رئيسي فيما بعد ، على النموذج الياباني بسبـــب تشابـــه الظروف والمهام مع حركة النضال القومي الفيتنامي ٠ (ص : ٧٦) ٠

ولكن الحركة القوميـــة الفيتناميـــة الحديثة فشلت بدورها في تحرير البـــلاد رغم نضالاتها الجماهيرية والمسلحـــة العريقة وذلك بسبب ضيق افقها القومـي وعدم وعيها الكوني لنضالها التحرري ، مما أدى الى نشوء عدة تيـــارات فـــي داخلها منها معتدل ليبرالي دستوري ومنها ثوري قومي بقيادة الكومنتانغ الفيتنامـي (الحزب القومي) في البداية ثم التيـار الماركسي ـ اللينيني بعد ذلك ، حيـــث انحاز بعض عناصر الحزب القومي الـى الحزب الشيوعي امثال الجنرال جيـــاب والقائد تريونغ شينه فاعطى اندفاعـــة جديدة للحركة الثورية الفيتنامية ومكنها من الانتصار فيما بعد ٠

ويرى الحافظ ان هناك عاملان ساهمـا في انتشار الحركة الشيوعية وقيادتهـــا للنضال القومـي الفيتنامـــي : الاول ، التغييرات البنيانية في قلـــب المجتمـــع الكولونيالي الفيتنامي التي تمثلت في نمو متفاوت للاقتصاد الوطني والثاني ، ازمة الحركة القومية الفيتنامية الحديثة فـــي جناحيها المعتدل والثوري (ص : ٩٩ ـ ١٠٠) ٠

بالاضافة الى هذين العاملين يستنتـــج الكاتب عدة عوامل اساسية اخرى ساهمت في انتشار الماركسية وســـط المثقفيـــن الثوريين والمناضلين الوطنيين ، منهـــا الاصول الليبرالية للحـــزب الشيوعـــي وموقعه القومي الاصيل في التقاط الحلقـة المركزية وقيادتها في مواجهة الامبريالية ٠

يرى ياسين الحافظ « ان الثقافـــة الليبرالية ليست الجذل الذي لا بد منـه للماركسية بل رافقها ايضا ، فضلا عـــن انها ملحها وسداتها ٠ هذا الجذل الثقافي الحديث والتقدمي لم يتوفر للماركسيـــة العربية ، وهنا مصدر رئيسي لمأساتهـــا وعقباتها بل وفقرها ايضا » (ص : ١٠٢ ـ ١٠٣) ٠ ويرى ايضا ان سبب انتشار الماركسية في فيتنام يعود الى « نفسها القومي الرسالي هذا ، المقترن بالطبـــع بوعي كوني يسدده ويعقلنه ويضبط خطاه ، هو الذي اعطى انتشارها هذا الشكـــل الاكتساحي وجعلها تصبح محور الحركـه القومية الفيتنامية وتوحـــد القضيـــة القومية بالشيوعية » (ص : ١٠٥ ـ ١٠٦)٠

ويعقد الحافظ هنا مقارنة بين الماركسية الفيتنامية والماركسية العربية حيث الاولى بدأت من منطلق قومي وانتشرت في بيئة اكثروية ، بينما الثانية بدأت من منطلق « طبقي » وانتشرت في بيئة اقلوية · ويعدد بعد ذلك عوامل نمو الماركسية الفيتنامية وتخلف الماركسية العربية حيث يرى ان الاولى قومية تؤدي الى اممية واقعية بينما الثانية قطرية ـ اممية تجديدية تؤدي الى عدمية قومية ، وان الاولى لم تنتظر الثورة في بلاد المتروبول بينما الثانية انتظرت تلك الثورة ، وان الاولى توحيدية لا تقر التجزئة الاستعمارية بينما الثانية تجزيئية تقر بالتقسيمات ، وان الاولى ربطت الوحدة بالاستقلال بينما الثانية فصلت الوحدة القومية عن الاستقلال الوطني ، وان في الاولى المسألة القومية ليست مضافة من الخارج الى المسألة الاشتراكية بينما في الثانية فهي كذلك في احسن الاحوال ، وفي الاولى توحدت القومية بالشيوعية اما في الثانية فقد انفصلت القضيتان ، وفي الاولى كانت الحركة الشيوعية منفتحة ـ جبهوية اما في الثانية فكانت عصوبية ـ انغلاقية ، وفي الاولى لم تخلط بين المبدأ والتكتيك بينما الثانية خلطت ، وان زعامة الاولى تكونت في العصر اللينيني بينما زعامة الثانية تكونت في العصر الستاليني ·

هذه المقارنة القاطعة والواضحة تحدد بالضبط موقع ياسين الحافظ وخطه الماركسي العربي في مواجهة الحركة القومية العربية التقليدية والحركة الشيوعية العربية التقليدوية · فاذا كان الكاتب له جملة مواقف نقدية من التيارات الماركسية العربية في معالجتها لمشكلات التأخر العربي والاقليات الطائفية القومية فان له ايضا بعض المواقف النقدية للفكر القومي العربي ونزعته الرومانسية الثورية من جهة واتجاهه الواقعي المحافظ من جهة اخرى · لذلك يعتبر الحافظ ان للوعي الفكري والايديولوجي دوره الاساسي في بلورة المفاهيم وفهم الواقع اذ « في فيتنام امثلكت الانتلجنتسيا الفيتنامية فكرا عصريا وتقدميا ، اما الانتلجنتسيا العربية فبقيت مخندقة في وعي مفوت وتقليدي » (ص : ١٥٥) بينما « اثبتت الانتلجنتسيا الفيتنامية الحديثة ان الممارسة الثورية الناجعة هي الممارسة العالمة ، العارفة ، الواعية : الاستعمال الحصيف لسلاح النقد يسبق ويحضر للاستعمال المجدي لنقد السلاح » (ص : ١٦١) · واذ في حين كان العقلاني « ينمو وينضج ثم يغلب في الوعي التاريخي للشعب الفيتنامي فيمنحه رؤية مناسبة ، اي مطابقة للواقع ولحاجات تقدمه ، بقي الايديولوجي مهيمنا على الوعي التاريخي للشعب العربي » (ص : ١٦٢) · والكاتب يرى ان اساس قصورنا وتناثرنا القومي يعود الى مرحلة ما قبل المرحلة الكولونيالية ، وبان الاستعمار نتيجة لا سبب ، وبان الغرب ليس تكنولوجيا فقط بل انه ثقافة حديثة وميزات المجتمع الصناعي وسيرورة التطور التاريخي (ص : ١٨٠ ـ ١٨٤) ·

لذلك فان هشاشة التجربة العربية وعجزها ليس سببها ضربات خارجية فقط وانما تتمثل في واقع « ان التطور الفكري والثقافي كان اكثر تأخرا وحركته اكثر بطئا من التطور التقني والاقتصادي ، على تواضعه » (ص : ١٨٥) ·

ويخلص الحافظ في كتابه القيم وتقييمه النقدي المقارن للتجربتين العربية والفيتنامية الى القول : « ان الاتساق

بين الثورية السياسية من جهة والثورية الثقافية والاجتماعية من جهة اخرى يكمن في اساس نجاح التجربة الثورية الفيتنامية · بالمقابل ، التفارق ، بل قل التناقض ، في التجربة الثورية العربية ، بين الثورية السياسية من جهة والمحافظة الثقافية والاجتماعية من جهة اخرى ، يكمن في اساس الاخفاقات التي لحقت بحركة الثورة العربية » (ص : ١٨٦) ·

ان مختلف الاراء والتحليلات التي يقدمها لنا ياسين الحافظ تدل على عمق فهمه للتجربة العربية وعمق استيعابه للتجربة التاريخية الفيتنامية ومدلولاتها ودروسها · وهي دون شك نظرا لاهميتها وشموليتها بحاجة الى اكثر من قراءة ونقاش علمي عقلاني ·

وليد نويهض

محمود سويد ، **الصراع على أرض التسوية الاسرائيلية : ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨** ، (دار الطليعة ، بيروت ، نيسان ١٩٧٨) ·

يضم هذا الكتاب مقالات « كتبت بين اواخر ١٩٧٤ واوائل ١٩٧٨ ، تعالج تطور الصراع العربي ـ الاسرائيلي عموما ، وتطور الموقف الاسرائيلي في هذا الصراع خصوصا ، وتغطي مرحلة متكاملة تقريبا : من نتائج حرب تشرين ١٩٧٣ ، الى زيارة السادات اسرائيل في ١٩ـ١١ـ١٩٧٧ » · (ص ١٠) ·

وهذه المرحلة التي يحاول الكاتب ان يغطيها ، استنادا الى تحليل الموقف الاسرائيلي من الصراع والتسوية والمسالة الفلسطينية ، تميزت سياسيا وفكريا بانقسام المثقفين العرب ، « بشكل عام، الى محورين رئيسيين : يحمل الاول راية التضامن العربي ، كما تجلى في حرب تشرين ، مبشرا بقدرة هذا التضامن على تحقيق :

١ ـ انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ ·

٢ ـ اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة · ويرفض الثاني هذا الموقف ، مؤكدا « أن حرب ٧٣ لم تنته الى ميزان جديد للقوى يسمح بتحقيق الانجازين المشار اليهما اعلاه » · (ص ١٠)

ويرى الكاتب انه « بانتهاء زيارة السادات لاسرائيل بما انتهت اليه ، تختتم

مرحلة المراهنة على ان بامكان قوة المال والنفط العربيين على الساحة الدولية ، بمعزل عن عناصر القوة الاخرى ، تحقيق تسوية مرحلية للصراع العربي ـ الاسرائيلي ، قوامها استعادة الارض المحتلة ، واقامة الدولة الفلسطينية » ٠ (ص ١٢)

فما « لم يتغير ميزان القوى في المنطقة، فان اسرائيل مستمرة في رسم الخريطة المنبثقة عن حرب ١٩٦٧ ، دون توقف ، وأن جنوبي لبنان والجولان والضفة الغربية وغزة وسيناء ، ليست وحدها الخاضعة للهيمنة الاسرائيلية » ٠ (ص٩)

هكذا يحدد الكاتب في المقدمة موضوع الكتاب وبالتالي الموقف السياسي الذي يتبناه ازاء الصراع الراهن ، مبرهنا على صحة هذا الموقف من خلال دراسة عناصر ومرتكزات السياسة الاسرائيلية وصلتها العضوية بالامبريالية ٠

ان اهم ميزات الكتاب ان كاتبه يتابع الموقف الاسرائيلي في مختلف تطوراته ، متابعة الباحث المطلع على معطيات وحيثيات السياسة الاسرائيلية من مصادرها العبرية ٠ لذا ، فالكتاب له قيمة اكاديمية عالية من هذه الناحية ٠ فهو يقدم مادة مكثفة وغنية لكل من يريد ان يطلع على طبيعة الموقف الاسرائيلي منذ ١٩٧٣ وحتى نهاية ١٩٧٧ ٠

تستند البنية الداخلية للكتاب الى متابعة الموقف الاسرائيلي ، عبر سلسلة من المقالات المتفاوتة زمنيا ، وليس انطلاقا من معالجة موضوع الكتاب كوحدة لها بناؤها الداخلي الخاص وتسلسلها المنطقي التحليلي الاكثر ترابطا ، والذي يختلف عن التسلسل القائم على المتابعة ٠

لكن ، للطريقة التي اتبعها الكاتب ، ايضا ، جوانب ايجابية سياسية وعلمية ، منظورا الى المسألة من زاوية الصراع السياسي الدائر بين خط يراهن على امكان تسوية « وطنية » وبين خط اخر لا يراهن، على حدوث هذه التسوية ، بل يرى انها تستهدف تصفية النضال التحرري والوطني العربي وفي القلب منه القضية والكفاح المسلح الفلسطيني ٠

فلقد لعبت هذه المقالات ، في زمن نشرها ، دورا وظيفيا سياسيا ، كما ان جمعها على هذه الطريقة انما يعني التشديد ، ايضا ، على هذا الدور في مواجهة الخط الاخر المتخبط والمراهن على حصول تسوية « وطنية » ضمن موازين القوى السياسية القائمة في المنطقة العربية ٠ وذلك بهدف تبيان مدى تهافت الخط الاخير ٠

الا ان اتباع هذه الطريقة ، بالمقابل ، افقد ، الى حد ما ، موضوع الكتاب وحدة وتماسك البناء الداخلي ٠ فالمقالات الاخيرة ، سيما « استراتيجية التسوية » و « مبادرة السادات والصراع على ارض التسوية الاسرائيلية » اكثر نضجا من الناحية السياسية ٠ وهذا يعني ان الانطلاق من المفاهيم السياسية الناضجة اكثر في هذين المقالين بصدد طبيعة التسوية ودور اسرائيل في المنطقة ، كان من شأنه ان يضفي على الكتاب وحدة اكثر تماسكا ، ونضجا سياسيا ارقى يشمل الكتاب ككل ، ويجنب بالتالي ، تكرار بعض التوكيدات والافكار والتفاصيل السياسية التي كانت في مرحلة سابقة ضرورية وحاسمة للبرهان على الموقف ، لكنها لم تعد تحظى بنفس الوزن السياسي والعلمي بعد سلسلة التطورات الاخيرة ٠ وبذلك كان بالامكان استبدال التسلسل الزمني للموضوعات بتسلسل المعالجة

الوافية انطلاقا من اخر ما توصل اليه نضج المسالة المطروحة للنقاش ، والبحث من مستوى أرقى ٠

الا ان للطريقة التي اتبعها الكاتب ميرراتها وشجاعتها الخاصة في مواجهة المواقف الاخرى في اوقاتها ، والتي لم تكن تقترب من الحقيقة العلمية والسياسية، بل كانت تتيه في ضباب التخبط والاوهام واللهاث خلف الاحداث والتصريحات السياسية ٠

يميل الكاتب في عدد من الاحيان ، الى مزيد من الاستناد على المنهج الوصفي لا التحليلي ، في قضايا ومسائل تتطلب التفسير لا مجرد الوصف والتقرير ٠

فالكاتب لا يشرح لنا لماذا بعد « الزلزال » وموجة النقد التي اعترت اسرائيل بعد حرب ١٩٧٣ ، عادت القيادة الاسرائيلية الى التماسك على « نفس القواعد التي ارسيت خلال ست سنوات من الاحتلال لكامل التراب الفلسطيني ولمناطق عربية عام ١٩٦٧ » (ص ٢٨) « وهكذا عادت اسرائيل الى التمركز في اطار مفاهيمها التي هزتها حرب تشرين ، سياسيا وعسكريا ، لارتباط هذه المفاهيم بطبيعة الوجود الصهيوني ، وظروفه الجغرافية ـ السياسية ـ السكانية » ٠ (ص ٣٢)

هل يكفي ان نفسر هذه العودة الى المفاهيم التي « هزتها حرب تشرين سياسيا وعسكريا » بطبيعة الوجود الصهيوني وظروفه ؟ الم تلعب سياسة الانظمة العربية الاستسلامية دورا اساسيا في هذا المجال ٠ هذه السياسة التي لم تكن حرب تشرين بالنسبة لها سوى « حرب تحريك » وحيث زاد بعد هذه الحرب معدل سير الانظمة العربية في اتجاه الارتباط التبعي بالامبريالية ٠ « بعد سنة من حرب اكتوبر ، يستقر ميزان الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، على : تفريط عربي بمكاسب الحرب ، يقابله تماسك اسرائيلي في مواجهة نتائجها السلبية » ٠٠٠ (ص ٥٧)

فلماذا حدث هذا التفريط ؟ هل هو مجرد هفوة او سوء تقدير سياسي ، ام انه تعبير عن المنحى التاريخي السياسي الذي تسير فيه الانظمة : منحى التهادن والتحالف مع الامبريالية وليس التصادم معها ؟

وهكذا يتركنا الكاتب ، في عدد من الاحيان ، امام تقرير ووصف ما استقر عليه الوضع او المواقف السياسية دون التحليل العلمي للاسباب الحقيقية ، لا سيما تجاه اوضاع ومواقف جوهرية تتطلب مثل هذا التحليل والتفسير ٠

كيف تنظر اسرائيل الى نفسها بعد حرب تشرين ؟ يعالج الكاتب في هذا المقال وضع وموقف اسرائيل عشية هذه الحرب من التسوية وهو « الصمود في خطوط القتال ، دون ضغوط دولية شديدة ، وتضاؤل فرص الحرب والحل المفروض ، وتوسيع افاق الاتصال والتقارب والتعاون بين اسرائيل والجماهير العربية عن طريق الجسور والحدود المفتوحة ٠٠ » (ص ١٦) وقد عبر دايان عن الموقف الاسرائيلي (الذي ما زال ثابتا حتى الان) « حتى بعد التسوية الدائمة ، سنبقى في معظم المناطق : في هضبة الجولان ، والضفة الغربية ، وعلى هذا ، لا بد من تكريس جهد كبير للمناطق ، وربط العرب في الضفة وغزة باسرائيل ليسهل فصلهم عن الدول العربية » ٠ (ص ١٦) وقد كان شعار دايان : « اسرائيل ، حكومة دائمة في المناطق » ٠ (ص ٢٠) ٠ « نستطيع اليوم ان نقول ان ايا من المطاليب العربية لن ينفذ ولن يكون ٠ لن تكون هناك دولة فلسطينية ، ولا جولان سورية ، ولا غزة مصرية ولا قدس اردنية » ٠ (ص.٢١)

وقد هزت حرب تشرين ، لفترة قصيرة

من الوقت ، الكثير من المفاهيم الامنية والسياسية الاسرائيلية ، لكن سرعان ما عادت اسرائيل الى مواقفها الثابتة · وقد عبرت غولدا مئير بعد الانتخابات العامة ١٩٧٤ عن الموقف الاسرائيلي قائلة : « في اعقاب التجربة التي اكتسبناها في السنوات الاربع الاخيرة ، زاد وعينا لصدق موقفنا من عدم العودة الى الاوضاع التي كانت سائدة قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ·· » (ص ٣٣)

يقول الكاتب « بعد قمع الفدائيين في الاردن ، وخروج السوفيات من مصر ، بدا ان اسرائيل ترغب في استمرار الوضع القائم ، وان اصرارها على المفاوضات المباشرة ينطوي على رغبة بان يكون موقف العرب الرفض » · (ص ٣٦) وبعد ان يعرض الكاتب للاتجاهات السياسية المختلفة داخل اسرائيل بصدد التسوية ، يرى انها لا تمثل في الحقيقة « اتجاهات سلام فعلية ، بقدر ما تمثل اتجاهات مراوغة لكسب الوقت » · (ص ٤١)

أما مقال « من اكتوبر الى اكتوبر » ، فانه يتابع معاينة نتائج الحرب على الوضع الداخلي في اسرائيل · ويرى الكاتب « ان « الهزة » لم تبلغ العمق ·· وان المؤسسة الحاكمة عملت لاستيعاب الظاهرات المحدودة التي نشات نتيجة الحرب ، وفي اعقابها ، كما حاولت الافادة من دروس الحرب لتصحيح اوضاعها ·· وفي كل الاحوال ، ظل الطريق مسدودا امام اسرائيل مستقلة ومتحررة من اطماعها وتحالفاتها الامبريالية العالمية ، لان مثل هذا التيار ينطوي بحد ذاته على هدم المشروع الصهيوني والغائه · وهكذا تؤكد حرب تشرين مرة أخرى ، ان المشروع الصهيوني يكون امبرياليا او لا يكون ، وان اسرائيل تقوم بالتحالف مع الامبريالية الاعظم في عصرنا ، أولا تقوم ·· اما الحديث عن « الارض » مقابل « السلام » فهو مجرد خدعة ، لا تصدقها اسرائيل نفسها ولا تعنيها ، الا بمقدار ما تعنى بالسلام « السلام الاسرائيلي » ·· » (ص ٥٠ ، ٥١)· اما موقف اسرائيل من الكيان الفلسطيني والشخصية الوطنية الفلسطينية فهو موقف الرفض المطلق ، لما يعنيه من « نفي لوجود اسرائيل » · (ص ٥٣)

يتعرض الكاتب لعلاقة التسوية الاسرائيلية بحرب السنتين في لبنان · ويرى ان « مشروع الجبهة اللبنانية مرهون بالتسوية الاسرائيلية وامكان فرض شروطها على العرب » · (ص ٦١) وهو يتناول ، انطلاقا من المصادر الاسرائيلية نفسها ، تاريخ الصلة السياسية والتنسيقية العملية بين اسرائيل والفاشيين في لبنان · ويخلص الى القول: « لم يعد سرا الدعم الذي قدمته اسرائيل ، ولا تزال ، للقوى الانفصالية ، سواء في الجنوب ام في الداخل · وقد اتاح الدعم الاسرائيلي لتلك القوى ، ولا يزال ··· موقع قوة رئيسي يمكنها من رفض اي حل للمسالة اللبنانية ، قبل تنفيذ مطالبها » · (ص ٦٩) ويبسط الكاتب استراتيجية الجبهة اللبنانية التي تعتمد على الدعم الاسرائيلي المباشر وغير المباشر ، وعلى الرجعية العربية والانظمة المستسلمة · هذه الاستراتيجية التي تستهدف السيطرة الفاشية على لبنان وفرض الصيغة التي تلائم هذه السيطرة ·

اما دور « الانفصالية الجديدة » (الفاشية) في جنوب لبنان فهو دور المتواطىء والحليف مع العدو الصهيوني ، والذي يستهدف ضرب النواة الشعبية الفلسطينية واللبنانية الوطنية هناك ، وفي عموم لبنان · ففي « مواجهة هذه النواة التي بدأت تتشكل في جنوبي لبنان ، التقى اسرائيليون وعرب · الاولون يريدون قتل البديل ، قتل فلسطين قبل ان تنتقل من

القوة الى الفعل ، والاخرون يريدون قتل بذور الثورة ، قتل الحرية والديمقراطية والعلمانية ، قبل أن تتحول الى نظام عربي ينفي سواه ويقوم على انقاضه » ٠ (ص ٨٨) ولكن « بقدر ما تلتحم الحقيقتان الفلسطينية واللبنانية في الجنوب وتصعدان ، بقدر ما تتوهج الحقيقة العربية وتتألق ، وسط هذا الليل العربي البالغ الظلمة والظلام » ٠ (ص ٩٢)

يربط الكاتب انتصار الليكود في الانتخابات الاسرائيلية بمحاولة الكيان الصهيوني حل المشكلات التي واجهتها اسرائيل داخليا وخارجيا بعد حرب ١٩٧٣ ، سيما بعد فشل (المعراخ) في حلها ٠

« فالليكود بزعامة بيغن ٠٠٠ ما فتىء يعد الاسرائيليين بأن بامكانه تصحيح المسار ، والعودة بهم الى طريق تحقيق الحلم الامبراطوري ، اي الشريك القوي ٠٠ » (ص ٩٧) فبيغن المتصلب يرى انه « لا يمكن ان نفصل بين الامن القومي وبين السلام ٠٠ » (ص ١٠٥) وهو يرى السلام الحقيقي في استسلام العرب للشروط التي يمليها ٠

يقول بيغن « أن تسليم يهودا والسامرة الى اجنبي سيدمر اي احتمال للسلام ٠ وسيبدأ العرب في التفكير الجدي باقامة سلام حقيقي معنا ، فقط عندما يتوصلون الى استنتاج قاطع بانه ليس بامكانهم تدمير اسرائيل لا دفعة واحدة ولا على مراحل ٠٠ » وان المصلحة المشتركة بين اسرائيل والولايات المتحدة هي في « منع انتشار الشيوعية في الشرق الاوسط » ٠ (ص ١٠٥) ٠ اما ديان فيرى ان « بامكان حكم اسرائيلي قوي ، ودبلوماسية نشيطة ومتحركة وفعالة ، ان يبعدا خطر الضغوط الخارجية عن اسرائيل ، والمفاوضة من مركز قوة ، ضمن اهداف ثلاثة ثابتة : عدم الانسحاب من الضفة الغربية ، عدم القبول بقيام دولة فلسطينية ، عدم القبول بتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للفلسطينيين » ٠ (ص ١٠٦) ٠

وهكذا تتضح طبيعة التسوية المعروضة، فهي « واحدة في جوهرها ، وهي لا تتعدى ادخال تعديلات بسيطة على « الحدود » الاسرائيلية الحالية : انسحاب تجميلي في الجولان ، والبقاء في معظم الضفة الغربية ، وفي كل غزة ، وفي بعض سيناء ، مقابل معاهدة سلام تشتمل على علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وغيرها ٠ اما القدس ، فخارج نطاق البحث ٠ وتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية ٠٠ في جنيف مرفوض ٠ ولا مجال للبحث ، على الاطلاق ، في انشاء دولة فلسطينية مستقلة على جزء من التراب الوطني الفلسطيني » ٠ (ص ١١٠، ١١١)

اما التأييد المطلق الذي تمحضه الولايات المتحدة اسرائيل فانه « لا يلغي الفروق في النظرة الى بعض عناصر التسوية والصراع ٠ فاسرائيل مصلحة قومية اميركية ، لا ترقى اليها مصلحتها في كسب محور مصر ـ السعودية ـ ايران ، على اهميته البالغة ٠ ولا تستطيع الولايات المتحدة حماية مصالحها في المنطقة (بما فيها اسرائيل) دون استمرار المسار الحالي للانظمة العربية ، وتثبته وتعزيزه في الوجهة نفسها » ٠ (ص ١٢٣)

ان « الخلل في ميزان القوى ، هو الذي يعين « حدود » الانسحاب ، وهو الذي يحول الدولة الفلسطينية المستقلة ، الى « كيان » مرتبط بالاردن ، ثم الى جزء من المملكة الهاشمية ، ثم الى الرضوخ للاملاءات الاسرائيلية في الضفة الغربية ٠ ولقد كان هذا دائما العنصر الرئيسي في الخلاف مع منظري التسوية بعد ١٩٧٣ ٠ فليس العرب هم الذين

يرفضون الحل ، بل الولايات المتحـــدة واسرائيل هما اللذان لا يعرضان ســـوى الاستسلام » · (ص ١٢٤) ·

وعليه ، فاننا « امام استراتيجية واحدة للتسوية ، اسمها الحقيقي : الاستسلام ·· الى ان تقلب الجماهير الصفحة » · (ص ١٣٥)

ويرى الكاتب انه حتى لو تمكنـــت الولايات المتحدة من حمل اسرائيل عـلى ادخال التعديلات الطفيفة على مشروعهـا « للسلام » ، « فان المشروع يظل فـي جوهره لمصلحة اسرائيل والدور الـــذي تضطلع به في المنطقة ، ولمصلحة ارســاء وتدعيم النظام الامبريالي المعادي لوحـدة العرب وتقدمهم وتحررهم » · (ص ١٥٦)

ولا بديل هناك لمقاومـــة التسويـة الاستسلامية الا بنهوض الجماهير العربية التي ليس لها الان علاقة « بصنع القرار » السياسي · كما ان « نهوض حركة التحرر العربي متعلق الى حد كبير بقدرة حركـة المقاومة الفلسطينية على ان تحقق الثـورة في الثورة » · (ص ١٥٨) وينتهـي الكتاب بملحق يضم الرسائل المتبادلة بين بن غوريون وموشيه شاريت والياهـو ساسون بخصوص الموقف الاسرائيلـي الذي يشجع قيام دولة سياسية يسيطـر عليها الموارنة في لبنان ·

تبقى كلمة اخيرة ، نقولها في كتـاب محمود سويد · انه محاولة علمية جادة خارج هذا الركام من الكتب السياسيـة الكثيرة التي تملأ الاسواق ولا تكلـف نفسها عناء بذل اي جهد علمي ، فـلا ترشد الراغبين في الاطلاع ، ولا تنير طريق المناضلين ·

هاني منذس

الياهو ايلات ، **شيفات تسيـــون فيعراف** (العودة الى صهيون والعرب) (بالعبرية) دفير ، تل ابيب ، ١٩٧٤

مؤلف هذا الكتاب ، الياهو ايلات ، هو شخصية صهيونية بارزة · فقد كـــان اول سفير لاسرائيل في الولايات المتحدة ، كما كان سفيرا لاسرائيل في بريطانيا ، ورئيسا للجامعة العبرية في القدس · ومسؤولا ، خلال السنوات ١٩٣٤ ـ ١٩٤٥، عن علاقات الدائرة السياسية التابعـة للوكالة اليهودية في القدس مع البلدان المجاورة · وفي هذا الاطار قام بجولات داخل هذه البلاد واقام علاقات وثيقـة مع بعض زعمائها العرب · وكان قد تلقى دراسته الجامعية في الجامعة الاميركيـة في بيروت خلال السنوات ١٩٣١ ـ١٩٣٤ ، وقد ساعده هذا ، على عقد صداقـات واتصالات مع رؤساء السلطة هنـاك ، وكذلك مع الطوائف والكنائس والاحزاب

والمؤسسات المختلفة ، كما سمح له بعقد اتصالات مع بعض الشخصيات السورية بمساعدة اصدقائه في لبنان سواء من المدرسين ام الطلاب · وقد بدأت اتصالاته للمرة الاولى مع العرب في معان في شرقي الاردن ، حيث كان يعمل هناك كعامل بناء ، ومن ثم اصبح منظما للعمال اليهود في عمان والسلط ، وذلك بهدف اقامة موطىء قدم للتواجد اليهودي والعمل العبري في « شرقي ارض اسرائيل » ·

يتحدث المؤلف في كتابه عن البدو في النقب ، الدروز في اسرائيل ، المحاولات اليهودية للاستيطان في منطقة حوران ، اتصالاته مع مثقال الفايز وشراء الاراضي في مؤاب ، المسألة الكردية ، الحاج أمين الحسيني والحكم الاسلامي في فلسطين خلال فترة الانتداب ، الاتصالات مع الحسين بن علي ، مشروع لجنة بيل للتقسيم والبطريرك الماروني ، اميل اده والصهيونية ، محاضر جلسات المحادثات التي تمت في سوريا بين ممثلي الوكالة اليهودية وممثلي الكتلة الوطنية السورية·

محاولات الاستيطان اليهودي في حوران

يقول المؤلف ، انه لوحظ في بداية التسعينات من القرن الماضي ، ان هناك نشاطا ورغبة لدى يهود روسيا ورومانيا وبلغاريا والولايات المتحدة وكندا وانجلترا لتأسيس مستوطنات زراعية جديدة في « ارض اسرائيل » · وقد تم في عدد من هذه البلدان تأسيس شركات لشراء الاراضي هناك وتوطين اعضائها · واجروا اتصالات مع البارون روتشيلد حيث اسسوا سوية « لجنة اسرائيلية » مقرها في باريس للمساعدة في عملية شراء الاراضي · وقامت هذه اللجنة عام ١٨٩٤ بشراء مائة الف دونم في الجزء الغربي ـ الجنوبي من حوران وذلك في قرى الجولان التالية ، سحم الجولان وجبلين ونفعه وبوسطاس ، وكانت غالبية هذه الاراضي تعود لاحمد باشا ابو الهدى احد اغنياء دمشق · وفي عام ١٨٩٥ بدأت عملية مسح الاراضي واعدادها للزراعة ، كما تمت الاعدادات لاقامة مستوطنة تحمل اسم البارون بنيامين في اراضي سحم الجولان · وفي صيف تلك السنة وصلت عائلات من رومانيا وروسيا وبريطانيا ، ولكنها لم تكن تعرف الزراعة ، فتعرضت لاضطهاد من قبل البدو في المنطقة ومن قبل والي دمشق كاظم باشا ، الذي أصدر امرا بطردهم من هناك · فسلمت الاراضي الى مزارعين عرب ، ولكن بعد سيطرة فرنسا على الحكم في سوريا ، عاد اليهود الى المنطقة ، ورفعوا شكوى الى الملك فيصل الذي كان لا يزال ملكا في دمشق فاصدر فيصل امرا باعادة الاراضي الى شركة يكا

(Jewish Colonisation Association)

فاستعادت الشركة الارض ، واعادت تسجيلها بواسطة كواشين رسمية باسمها · وعام ١٩٢٩ ، اقيمت مزرعة في سحم الجولان كان فيها منازل ومخزن واسطبل ، وقد تم زرع حوالي خمسة الاف دونم باشجار اليوكلبتوس (الكينا) في جبلين · وفي عام ١٩٣٥ زارت بعثة مؤلفة من عدة اشخاص من قبل البارون والوكالة ومن بينهم المؤلف نفسه ، منطقة حوران ، حيث قدموا في النهاية تقريرا الى موشيه شرتوك (شاريت) رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية ·

ولكن شركة بيكا (Palestine Jewish Colonisation Association) رفضت مقترحاتهم ، ومن ثم ما لبثت ان

نشبت الحرب العالمية الثانية ، وكانت تلك اخر محاولة لتجديد البيشوف اليهودي في حوران · ويذكر المؤلف ان الاراضي التي اشترتها شركة بيكا في حوران تتوزع كالتالي ، في جيلين ١٣٫٠٠٠ دونم ، سهم الجولان ٣٣٫٠٠٠ دونم ، بوسطاس ١٢٫٠٠٠ دونم ، نقعة ٢٠٫٠٠٠ اي ما مجموعه ٧٨٫٠٠٠ دونم · ولدى قيام الدولة اليهودية صادرت الحكومة السورية كافة هذه الاراضي ، ولكن ادارة بيكا لم تستسلم بل اتخذت اجراءات قانونية ضد الحكومة السورية ·

جماعة عمان

في اطار محاولات الصهيونية لشراء الاراضي في شرقي الاردن والبدء بعملية الاستيطان هناك ، ارسلت الحركة جماعة يهودية للعمل في البناء وكذلك لدراسة حياة البدو والمنطقة · وكان المؤلف احد هؤلاء ، حيث تعلم في البداية عملية صنع حجارة الطوب ، وثم سافر هو ومجموعة أخرى الى معان وعملوا في البناء ، ومن ثم انتقلوا الى السلط واقاموا علاقات وثيقة مع الشباب المثقف هناك حيث تحول مسكنهم الى منتدى للشباب · وقد استطاعوا اخذ مقاولات هناك بسبب الهزة الارضية التي أصابت المنطقة في تلك الفترة · وانتقلوا بعدها الى عمان حيث تعرفوا الى سعيد المفتي ، الذي اصبح فيما بعد رئيسا للحكومة وكذلك هاشم بك الخير احد الشخصيات المعروفة·

وفي تلك الفترة انتقل المؤلف للعيش مع قبيلة بني صخر جنوبي عمان حيث حل ضيفا على زعيمها مثقال الفايز ، وذلك بحجة دراسة حياة البدو · وقد استمرت زيارته هذه مدة شهرين · وكانت مهمته حسب اقواله دراسة امكانية شراء الاراضي هناك ودراسة امكانية الاستيطان اليهودي في المنطقة ، وكذلك العمل على ايجاد موطىء قدم للعمل العبري في شرقي الاردن ، التي تعتبرها الحركة الصهيونية جزءا لا يتجزأ من ارض اسرائيل ·

مشروع لجنة بيل والبطريرك الماروني

يقول المؤلف ان الحركة الصهيونية اجرت اتصالات مع الطائفة المارونية في لبنان ، حيث رأت هذه الطائفة ورؤساء كنيستها ورئيسها اميل اده ، في اقامة دولة يهودية في فلسطين تدعيما لامن لبنان واستقلاله · وكانت للحركة الصهيونية علاقات وثيقة مع رئيس الكنيسة المارونية ، البطريرك انطوان عريضة · وقد زادت اهمية هذه اللقاءات كلما لاحت في الافق احتمالات ان توصي لجنة بيل بتقسيم فلسطين ، وذلك « ليساعدنا اللبنانيون في رسم حدود الدولة اليهودية المقبلة » · يقول المؤلف انه زار بكركي في بداية اذار ١٩٣٧ واخبره البطريرك بأنه سيسافر الى باريس للاجتماع برئيس الحكومة الفرنسية ، فاقترح عليه (المؤلف) الاجتماع بوايزمن · وقد سافر المؤلف ودوف هوز والبطريرك على نفس الباخرة ، وقاموا ببحث مسألة التقسيم ، حيث شددوا أمامه على المحاولات التي يجب ان يبذلها الطرفان للحيلولة دون فصل البلدين · اي يجب ان تكون الحدود بينهما مشتركة ، وطلبوا اليه ان يسعى الى تأكيد ذلك لدى اجتماعاته مع البابا ومع كافة المسؤولين الاوروبيين · ولدى وصوله الى باريس زاره وايزمن والمؤلف في فندقه ، وأكد البطريرك في الاجتماع انه

سيعمل كل جهد لايجاد حدود مشتركة مع الدولة اليهودية اذا ما قسمت البلاد · وطلب البطريرك من وايزمن ان يضغط على رئيس الحكومة الفرنسي ليون بلوم ، لدعمه الاستقلال اللبناني والمحافظة عليه من المحيط العربي ·

اميل اده والصهيونية

يقول المؤلف انه بالرغم من تزايد الاعمال العدوانية من قبل لبنان بعد فترة طويلة من الهدوء النسبي ، فان ذلك لا يثنيه عن ذكر اسماء بعض الشخصيات والسياسيين ، الذين تمتعوا بمناصب محترمة في الحياة الروحية والاجتماعية والسياسية في لبنان ، الذين تطلعوا الى علاقات وثيقة ، وعملوا من اجل التفاهم والتعاون بين دولتهم واليشوف اليهودي في فلسطين · وكان اميل اده احد البارزين منهم ، والذي تطلع الى اليوم الذي تستطيع فيه لبنان اقامة علاقات ودية مع الدولة اليهودية عندما تقوم ، وكان مؤيدا للصهيونية واهدافها ·

يقول المؤلف انه تعرف الى أميل اده اثناء دراسته في بيروت في السنوات ١٩٣١ ـ ١٩٣٤ ، عندما عمل المؤلف ايضا مراسلا لكل من « دافار » و«فلسطين بوست» ووكالة رويتر في سوريا ولبنان ·

وفي تلك الايام كان اده عضوا في البرلمان اللبناني وكان يترأس الكتلة الوطنية اللبنانية الموالية لفرنسا · وقد قابله للمرة الاولى في بيت ألبرت نقاش ، وهو مهندس ماروني ، وابن عم الفرد نقاش رئيس لبنان ما بين ١٩٤١ ـ ١٩٤٣ ·

وكان ألبرت نقاش من مؤسسي « رابطة الفينيقيين الشبان » في لبنان التي كان هدفها الاستقلال الروحي والثقافي عن المحيط العربي · وعندما زار الدكتور فيكتور يعقوبسون بيروت عام ١٩٣٣ ، بمهمة من قبل الوكالة اليهودية ، أجرت رابطة الفينيقيين الشبان استقبالا حارا له ، وقد القى الضيف خطابا اشار فيه الى العلاقات التاريخية بين الملك سليمان والملك حيرام ، ودعا الرابطة للعمل من اجل تجديد الصداقة القديمة عن طريق توثيق العلاقات بين اليشوف اليهودي وبين احفاد الفينيقيين ·

ثم يصف المؤلف اللقاء الاول مع اده ، حيث عرف الكثير عن ارائه السياسية وعن نظرته بالنسبة لمشاكل المنطقة بما فيها مشكلة فلسطين · وكان اده يعتبر لبنان بمثابة « الغرب الموجود في الشرق » ، وان الحضارة الغربية تنتهي بمجرد انتهاء حدوده · هو اي اده ، لم يكن يؤمن « بالعروبة » ، وكان اده يطلق على الفينيقيين الشبان اسم « صهيونيو لبنان » ·

كان اده ، حسب رواية المؤلف ، يعتبر الصهيونية وارض اسرائيل حليفان للبنان المسيحي والمحمي من الارتباط بالعروبة او بسوريا الكبرى · وقد عبر اده عن ذلك للمؤلف قبل انتخابه للرئاسة عام ١٩٣٦، حيث أشار الى سروره نتيجة لانتشار الرأي بين الطائفة المارونية حول المصالح المشتركة لكل من المسيحيين في الدول العربية واليهود في ارض اسرائيل ، حيث كلاهما يواجه خطرا روحيا وماديا من قبل الاغلبية المسلمة · وكان لاده نصيب لا يستهان به في تقريب كل من البطريرك انطوان عريضة واغنطيوس مبارك ، مطران الكنيسة المارونية في بيروت الى وجهة النظر هذه · كما ايد اده كافة المقترحات التي قدمت اليه لدعم العلاقات

التربوية والاقتصادية بين اليشوف اليهودي في ارض اسرائيل ولبنان · فعندما عرض البرت نقاش عام ١٩٣٨ على « الشركة الاقتصادية الفلسطينية » في الولايات المتحدة اقتراحا بشأن اقامة مشروع لبناني – يهودي مشترك لاستغلال مياه الليطاني لفائدة الدولتين ، ايد اده هذا الاقتراح ورأى فيه فرصة جدية لتوسيع المشاركة في مجالات اخرى ·

وخلال فترة رئاسته اعطى اده موافقته على اقامة « جمعية الصداقة اللبنانية – الاسرائيلية » من اجل التعاون الثقافي بين البلدين (اي المؤسسات الثقافية اليهودية في فلسطين ومؤسسات لبنانية)· وقد أعد موشيه شاريت انظمة هذه الجمعية ، ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ اعاق تنفيذها ·

يقول المؤلف ، لقد عبر اده عن تأييده للاماني الصهيونية بصورة جلية عندما اجتمع مع وايزمن في باريس في يوليو ١٩٣٧ ، وانه منذ انتخابه ١٩٣٦ اقام علاقات شجاعة مع الدائرة السياسية التابعة للوكالة اليهودية · وقد طلب من المؤلف ، ان يحافظ على هذه العلاقة ، حيث كان يزوره بين الفترة والاخرى في بيروت ويطلعه على ما يحدث في الحلبة السياسية المتعلقة بارض اسرائيل ، واشراكه في القضايا التي اشغلت الحركة الصهيونية والاستماع اليه بالنسبة لما يحدث في المعسكر العربي · ويقول ان اده رأى في قيام دولة يهودية مجاورة للبنان دعما لاستقلاله والوقوف بثبات في وجه تطلعات زعماء سوريا الوطنيين الذين يرفعون شعار « سوريا الكبرى » ودعما لكافة الاقليات التي ترفض السيطرة الاسلامية · وكانت احدى اهتمامات اده هو ان يؤمن مشروع التقسيم حدودا مشتركة بين الدولة اليهودية ولبنان · ويضيف المؤلف ، انه اشار على اده الاجتماع مع حاييم وايزمن لدى زيارته لباريس في نهاية يونيو ١٩٣٧ ، وقد وافق اده على الفور على هذا الاقتراح ، وقد تم اللقاء في ٢٢ حزيران ، وخلال اللقاء ، قال وايزمن ان تقرير لجنة بيل بشأن التقسيم سيصادق عليه بعد نصف ساعة ، وبعد انتهاء هذه الفترة نهض اده من على كرسيه وتقدم من وايزمن وقال له : « الان بعد ان اصبح تقرير لجنة بيل وثيقة رسمية ، يشرفني أن اهنىء الرئيس الاول للدولة اليهودية التي ستقوم » ·

واضاف ، حيث أنه اول المهنئين لوايزمن بشأن هذا القرار التاريخي الذي أعاد البلاد الى اصحابها ، اطلب ممن سيقف على رأس الدولة الجديدة ، عقد اول اتفاقية للصداقة بينها وبين لبنان · وعلق وايزمن على هذه المقابلة بقوله : لقد وجدت في اده صديقا حقيقيا لنا ، فهو لا يرى في الصداقة بين لبنان والدولة اليهودية ، مجرد فائدة مشتركة للطرفين، بل فائدة للثقافة الغربية واستقرارها في الشرق الاوسط ·

الملك عبد العزيز بن سعود والحركة الصهيونية

يقول المؤلف ان الدولة العربية الوحيدة التي لم يكن للوكالة اليهودية اية علاقات معها ، هي السعودية · فقد رفض الملك عبد العزيز بن سعود بصورة مطلقة اية اتصالات من جانبه او رجاله مع ممثلي المؤسسات اليهودية والصهيونية، ومنع دخول اليهود الى السعودية · ولكن الصهيونية وجدت مفتاحا لذلك ، بواسطة

فؤاد حمزة وهو من الدروز اللبنانيين ، تعرف عليه المؤلف اثناء دراسته في الجامعة الاميركية في بيروت · حيث ساعده في البحث الذي اعده عن اوضاع البدو المتجولين في الصحراء السورية · وفي عام ١٩٢٥ عين حمزة مربيا لابناء الملك عبد العزيز ، وهما سعود وفيصل حيث نجح في كسب ثقة الملك فأصبح مستشارا للامير فيصل · وقد اجتمع به المؤلف في تلك الفترة وطلب منه ان يسهل دخوله الى منطقة خيبر بحجة دراسة المنطقة ووعده بان يفعل ذلك لدى عودته الى السعودية · وقد تقابل المؤلف مع حمزة في ٨ ابريل ١٩٣٧ في بيروت في بيته ، حيث قال له : جئتك الان بصفتي مسؤولا عن قسم البلاد المجاورة في الدائرة السياسية ، من اجل التحدث معك حول قضية ارض اسرائيل · حيث اننا مهتمون بمعرفة اراء الملك عبد العزيز حول هذه القضية ، واننا نود شرح وجهة النظر الصهيونية له بصورة مباشرة · وجرى في تلك الفترة ايضا في ١٣ ابريل من السنة نفسها ، عقد اجتماع بين حمزة وبين بن غوريون وشرح له اهداف الصهيونية وطلب اليه نقلها الى الملك عبد العزيز ·

واشار حمزة على بن غوريون ان يقوم رجال الوكالة اليهودية بالاجتماع الى الامير سعود الذي سيسافر الى لندن لحضور الاحتفالات لتتويج الملك جورج السادس · وقد حاول الوفد اليهودي الاجتماع بالامير سعود ولكنه رفض ذلك رفضا قاطعا ، ومن يومها انقطعت اخبار حمزة ، الا ما ورد منها على لسان احد الاصدقاء في بيروت الذي بعث برسالة الى القدس شرح فيها الوضع السيء الذي تعرض له حمزة ، عندما اخبر الامير سعود بانه قابل اعضاء من الوكالة اليهودية · ويختتم المؤلف الحديث عن ذلك بقوله : ان اللقاءات مع فؤاد حمزة كانت اول اتصال وربما الوحيد من قبل الوكالة اليهودية مع ممثل الحكومة العربية السعودية ·

ثم يختتم الكتاب بنشر محاضر اللقاءات بين مندوبي الوكالة اليهودية وممثلي الكتلة الوطنية السورية ، والتي سنستعرض الان نقاطها الاساسية :

١) اللقاء مع فخري بك البارودي في روما في ١٧ يوليو ١٩٣٦ ، وقد حضر عن الجانب السوري فخري بك البارودي ، عضو اللجنة المركزية « للكتلة الوطنية السورية » ، وعن الجانب اليهودي الياهو افتشاين (ايلات) يرافقه عاموس لندمان ودافيد لوزيه · فقد تحدث البارودي عن الاحداث الدموية التي حدثت في فلسطين ، فأبدى الياهو ايلات نفيه القاطع من ان يكون اليهود مسؤولين عنها · ثم تطرق الحديث الى استقلال سوريا حين اكد الياهو ايلات تأييد الصهيونية للاماني الوطنية للشعب العربي بأسره وخاصة السوري · وفي النهاية سأل ايلات ، البارودي هل يعتقد ان هناك مجالا للتفاهم بين العرب واليهود وكيفية تحقيقه ؟ فأجاب البارودي ، انه يوافق على الفائدة التي سيجنيها الشعب العربي كله من التعاون مع الشعب اليهودي ، واشار الى النقص في القدرة والكفاءة السياسية لدى الزعماء العرب لفهم هذه القضية · واضاف البارودي : لا تنسوا انتم اليهود انكم تحملون الفكرة الصهيونية منذ الفي سنة ولهذا لا عجب من وجود برنامج بعيد المدى وان الطريق واضح امامكم · وبالمقابل فنحن مبتدئون وبحاجة الى وقت طويل لنثقف شعبنا كي يرى الاموز بأعين مفتوحة · ومن اجل

الحصول على ثقة الشعب العربي تجاهكم فان ذلك يتطلب ليس فقط الثقافة والدعاية وانما وجود دلائل واضحة من طرفكم تبين صدق نواياكم ، واننا نعرف انكم تسيطرون على نصف وربما ثلثي الصحافة العالمية ، لذا نرجوكم ان تحاولوا خدمة مصالحنا كما تفعلون لمصالحكم ، وان تؤثروا باستخدام نفوذكم على اوساط مختلفة في اوروبا وامريكا لصالحنا ٠ وحول التعاون تحدث البارودي قائلا « لا أرى سببا يحول دون عملنا سوية » ، انتم تملكون الكفاءة والاموال ونحن نملك الارض والقوى ٠

وبالنسبة للاحداث في فلسطين يقول البارودي : قمت بكل ما استطيع فعله كيلا يزداد الوضع خطورة وسوءا ، منعنا الاف الشبان السوريين الذين ارادوا الذهاب لمساعدة اخوانهم ، وكذلك عطلنا عمليات تهريب الاسلحة ٠ وطالب بايقاف الهجرة اليهودية ريثما تهدأ الاوضاع ، ولكن ايلات رفض ذلك رفضا قاطعا ٠ وفي نهاية اللقاء طلب البارودي من ايلات ان يقوم بالاتصال مع الوفد السوري في باريس لدى وصوله الى هناك ، وان يقدم لهم التوصيات والمعونة ، وسأله ان يقوم بالضغط على الحكومة الفرنسية كيلا يعود الوفد السوري بخفي حنين ٠ وعندما نهض ايلات للذهاب وقف البارودي وقال له : اذا ساعدت الوكالة اليهودية الوفد السوري في باريس ، فسيكون ذلك دليلا على شعور الصداقة التي يكنها الشعب اليهودي للشعب العربي ، وان مثل هذا العمل من قبلكم سيعطي « الكتلة الوطنية » سلاحا قويا للمبادرة في عمل ما بروح محادثتنا ٠

٢) محضر الجلسة بين ممثلي الوكالة اليهودية والكتلة الوطنية السورية في بلودان ، ١ اب ١٩٣٦ ٠

وقد مثل الجانب السوري فيها شكري القوتلي وفخري البارودي ولطفي الحفار ، وحضر عن الوكالة اليهودية الياهو ايلات وعاموس لندمان ٠ تحدث ايلات في هذه الجلسة شارحا نشوء الحركة الصهيونية ومكانة فلسطين في حياة الشعب اليهودي وأشار الى امكانية التعاون مع العرب وخاصة الكتلة الوطنية السورية ٠ وختم قوله ، انه من اجل التوصل الى اتفاق عربي ـ يهودي يجب على الكتلة الوطنية السورية ، ان تتفهم وتعترف بالامانى القومية للشعب اليهودي والموافقة على حقه التاريخي في اقامة وطنه القومي في فلسطين ٠ وتحدث القوتلي فشكر ايلات على محاضرته وقال انه يشرفه الالتقاء بمندوب رسمي عن الوكالة اليهودية ، وقال ايضا ان فكرة التفاهم بين العرب واليهود ليست جديدة فقد تقابلنا مع شخصيات يهودية ذات مكانة عالية ولكن هذه المرة بصورة رسمية ٠ وعبر القوتلي عن رغبته الحقيقية في التوصل الى اتفاق مع الوكالة اليهودية ، عبر التفاوض ، بعد ان يتم تحديد وتوضيح كافة القضايا ٠ وتم الاتفاق على عقد لقاء اخر يتم فيه بحث (١) مسألة العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (٢) مسألة اتفاقية عربية ـ يهودية ٠

٣) محضر الجلسة التي عقدت في دمشق ، ٩ـ٨ـ١٩٣٦

حضر عن الجانب السوري ، كل من شكري القوتلي وفايز الخوري ولطفي الحفار ، وعن الجانب اليهودي دوف هوز والياهو افشتاين ودافيد هكوهين ويوسف نحماني ٠ وكان على جدول الاعمال مسألتين ، اولهما العلاقات بين اليهود والعرب في فلسطين وثانيهما بين العرب واليهود بصورة عامة ٠ واشار القوتلي الى انه لاحظ ان الوفد اليهودي يسجل نص محضر هذه الجلسة والتي سبقتها ، ولهذا طلب عدم نشر اي شيء عن الجلسة

دون موافقة الطرفين · وتحدث دوف هوز فاشار الى ان خوف عرب فلسطين من المشروع الصهيوني مزعوم ، وان المفاوضات ستنجح اذا ما رأى كل طرف على حدة والطرفان معا ان لهما مصلحة بذلك ، حيث أن باستطاعة اليهود رفع مستوى الفلاح العربي ، وتحدث بقية اعضاء الوفد اليهودي عن المشكلة اليهودية والصهيونية ، مؤكدين ان ذلك لن يتم على حساب العرب ·

٤) محضر الجلسة التي عقدت في دمشق بتاريخ ٢ـ١ـ١٩٣٧

اشترك فيها عن الجانب السوري شكري القوتلي ، وعن الجانب اليهودي الياهو ايلات والياهو ساسون وتم الاجتماع في بيت القوتلي ، الذي كان قد اصبح وزيرا للمالية · وقد سلمه الوفد اليهودي محاضر الجلسات في بلودان ودمشق بين ممثلي الوكالة والكتلة الوطنية ، وطلب اليه قراءتها والمصادقة على ما جاء فيها · ولكن اتضح لنا (المؤلف) ، ان القوتلي لم يسلمنا النصوص موقعة لانه لا يريد ان يترك بأيدينا وثيقة موقعة بشأن المحادثات معنا · وكانت الكتلة قد تسلمت السلطة مؤخرا ، وعندما طلب اليه الرد حول المحاضر قال بأنه سيسلمها لرفاقه ، وانه سيهتم بالحصول على استعدادهم لمواصلة المفاوضات هنا · وهنا فهمنا من ملاحظته الاخيرة ان تغيرا ما قد حدث على موقفه وعلى موقف حكومته ، فيما يتعلق بالاتصالات مع الوكالة اليهودية ·

٥ ـ محضر الجلسة التي عقدت في دمشق في ٣ـ١ـ١٩٣٧

حضر عن الجانب السوري جميل مردم رئيس الحكومة السورية ، وعن الجانب اليهودي الياهو ايلات · وقد سلمه ايلات رسالة تهنئة من وايزمن بمناسبة تعيينه رئيسا للحكومة ورد مردم قائلا : طالما يوجد لديكم سياسي مثل الدكتور وايزمن ورجل خبير بقضايا الشرق مثل شرتوك ، فانني متفائل بان مسألة العلاقات بين اليهود والعرب ستجد حلها المناسب · وقال انه يعرف كافة التفاصيل عن المفاوضات التي جرت مع « الكتلة الوطنية » وابدى اسفه لعدم تمكنه من الاشتراك فيها · وقال انه مشغول الان بقضايا سورية الحيوية ، وانه سيتفرغ بعدها لمسألة المفاوضات معنا (الوكالة) · واشار الى ان الخلاف بيننا هو خلاف اقرباء لان مصالحنا مشتركة ، وعبر عن امله في ان تتكرر الزيارة ·

٦) محضر الجلسة المعقودة في دمشق بتاريخ ٢٦ـ٢ـ١٩٣٧

مثل الجانب السوري جميل مردم ، كما مثل دوف هوز والياهو ايلات الجانب اليهودي · وتحدث دوف هوز في هذه الجلسة عن الاشاعات التي تدور حول تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية· فاشار الى انه اذا تحقق ذلك فسيصيب الضرر المصالح اليهودية والعربية في فلسطين وان سوريا ستتضرر نتيجة لذلك · وتوجه بسؤال الى رئيس الحكومة سورية حول استعداده هو ورفاقه للتأثير على الزعماء الفلسطينيين للتوصل الى اتفاق مع اليهود قبل فوات الاوان · ورد مردم قائلا بانه سيتصل بالحاج امين الحسيني بهدف التأثير عليه وعلى بقية الزعماء الفلسطينين ليقوموا باجراء مفاوضات معنا · ووعد بانه سيقوم هو ورفاقه ببذل كل ما لديهم من قوة لكي تثمر اتصالاتهم هذه ·

٧) محضر الجلسة المعقودة في باريس بتاريخ ١٠-٦-١٩٣٧

حضر عن الجانب السوري جميل مردم واحسان الجابري ، وعن الجانب اليهودي الياهو ايلات · وتحدث مردم عن التوسط بين الحركة الصهيونية وعرب فلسطين ، فقال انه لم ينجح في ذلك · وقال بان الحل الوحيد هو المفاوضات المباشرة بين اليهود وعرب فلسطين ، ووعد بعد الانتهاء من حل مشاكل سوريا ، ان يتفرغ للتوصل الى اتفاق بينهما · وقال ان تقسيم فلسطين لا يشكل حلا ، وانه سيسبب ضررا لليهود والعرب على السواء · وذكر بأنه يعرف من مصادر موثوقة ان الجزء العربي من فلسطين سيضم الى شرقي الاردن وان الامير عبد الله سيقف على رأس الدولة العربية الجديدة ·

وأشار مردم خلال المحادثة الى انه لم يعارض الصهيونية أبدا ، وانه قدر دائما قدرات ومواهب القائمين عليها وانه نصير اتفاق عربي ـ يهودي · وذكر ايضا انه أرسل كتابا مطولا الى الملك عبد العزيز حول العلاقات بين اليهود والعرب ، وانه أشار عليه وجوب اشراك جميع ذوي النفوذ في العالم العربي بشأن المفاوضات بين عرب ارض اسرائيل وبيننا (اليهود) ·

حمدان بدر

صدر عن مركز الابحاث

Zionist Relations with Nazi Germany

تاليف : فارس جلوب

اطلب نسختك بالبريد من : قسم التوزيع في مركز الابحاث ـ ص·ب ١٦٩١ ـ بيروت·

سعر النسخة ٦ ل·ل· (ما عدا اجور البريد)

شهريات

المقاومة الفلسطينية

بانتظار المرحلة الثالثة من الانسحاب الاسرائيلي من الجنوب ، ارتبط موضوع اتفاق القاهرة مع موضوع الانسحاب ارتباطا وثيقا لاسباب عديدة ابرزها :

اولا : ان اسرائيل اشترطت لاتمام الانسحاب ان لا تعود القوات الفدائية الى المناطق التي ستنسحب منها ·

ثانيا : ان السلطة اللبنانية تريد مد سلطتها الى الجنوب عبر ارسال مجموعات من الجيش اللبناني ، ويقتضي ذلك اتفاقا مع قوات المقاومة الفلسطينية ·

ثالثا : ان الميليشيات اليمينية في الجنوب تضع وجودها شرطا لازما ما دامت السلطة تعترف باتفاق القاهرة ، وبالتالي بالوجود الفلسطيني المسلح ·

وبسبب هذه العوامل الثلاثة المتشابكة، تداخلت العوامل الفلسطينية واللبنانية والاسرائيلية مع بعضها البعض ، وتداخلت من جهة اخرى كل هذه العوامل مع مهمة قوات الطوارىء الدولية في لبنان وتفسيرها لقرار مجلس الامن رقم ٤٢٥ الذي تعمل على اساسه : وكانت هذه القضايا محور اتصالات ومباحثات واسعة على امتداد الفترة من ١٥ ايار الى ١٥ حزيران ·

العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية :

كان من الواضح ان بلورة موقف رسمي لبناني لا يتم الا على قاعدة من التفاهم مع المقاومة الفلسطينية ، خاصة وان المقاومة اظهرت استعدادها الدائم لاتخاذ كل ما من شأنه ان يسهل عملية الانسحاب الاسرائيلي · وقد بادر الدكتور سليم الحص (٢١ـ٥) الى اعلان موقف باسم حكومته قال فيه ردا على جدل السياسيين اللبنانيين المطالبين بالغاء اتفاق القاهرة « لا اعتقد ان من المجدي التعرض لاتفاق القاهرة اليوم ··· والوجود الفلسطيني واقع لا يمكن اغفاله···· ونسعى للوصول الى تفاهم مشترك مع منظمة التحرير الفلسطينية حول الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان ···· وندعو الجميع من اليسار واليمين ، ومن الفلسطينيين واللبنانيين الى وقف التحرك المسلح في

منطقة القوات الدولية باستثناء قوات الامن اللبنانية » . وكان هذا التصريح تمهيدا لموقف اخر اعلنه الرئيس الياس سركيس في اجتماع مجلس الوزراء . (٢٤ـ٥) وقال فيه انه يجب « عدم الربط بين تنفيذ اتفاق القاهرة ، وتنفيذ القرار ٤٢٥ » وكانت هذه التصريحات اللبنانية مقدمة لانجاح اللقاء المنتظر بين المقاومة والسلطة اللبنانية في اليوم نفسه ، حيث اجتمع الوفدان برئاسة عرفات والحص ، واسفر اللقاء سريعا عن بيان اصدرته المقاومة اثناء الاجتماع واعلنت التزامها فيه بالنقاط التالية :

١ ـ حرص المنظمة على تسهيل مهمة القوات الدولية لتحقيق الانسحاب الاسرائيلي وعودة السيادة اللبنانية الى الجنوب .

٢ ـ شجب التجاوزات والممارسات السلبية في الجنوب والاستعداد الكامل لبذل كافة الجهود لمنع التجاوزات .

٣ ـ العزم على انهاء المظاهر المسلحة لمساعدة السلطة الشرعية .

٤ ـ السعي لتأمين عودة المتطوعين الذين جاؤوا الى لبنان في فترة الغزو الاسرائيلي .

وذكر ناطق باسم المنظمة (طلال ناجي) ان اتفاقية القاهرة لم تكن في هذا اللقاء موضع جدل او نقاش . وبعد ايام ، وردا على ما اشيع من أن ما جرى في اللقاء المشترك ادى الى وضع اتفاق جديد بديل لاتفاق القاهرة ، اعلن الحص واعلنت منظمة التحرير (٢٧ـ٥) ان « ما صدر عن لقاء الدوحة لم يكن اتفاقا جديدا » .

وساهم صلاح خلف (ابو اياد) في توضيح ابعاد الموقف الفلسطيني بحديث واسع ومفصل (المونداي مورننغ ـ ٢٨ـ٥) ذكر فيه ان المقاومة وافقت على وقف العمليات من الجنوب ، ووضع حد للتجاوزات ، وازالة المظاهر المسلحة ، مقابل التمسك باتفاق القاهرة ، ورفض « تجريدنا من السلاح » ، واوضح ابو اياد انه ليس هناك تضارب بين اتفاق القاهرة وعودة سيادة الدولة اللبنانية للجنوب .

وفي ٣ـ٦ جرى اجتماع ثان متكتم بين عرفات والحص لم يعلن عن نتائجه اي شيء رسمي ، وان كان قد رشح ان البحث تركز فيه على ارسال الجيش اللبناني للجنوب ، ثم عقد اجتماع ثالث (٨ـ٦) جرى فيه بحث ومتابعة تنفيذ ما اتفق عليه في الاجتماع الاول من اجراءات وعدت المقاومة بتنفيذها .

ورافق هذه الاجتماعات وتلاها عدوانان اسرائيليان ، الاول على منطقة النبطية وجوارها (٣٠ـ٥) وادى الى مقتل واصابة ٢٢ شخصا من جراء عمليات القصف المدفعي الكثيف ، والثاني في منطقة العقيبة ، حيث قامت اسرائيل بانزال قوة بحرية كبيرة هاجمت قاعدة لحركة فتح ودار حول القاعدة وداخلها قتال عنيف اعترفت بعنفه اسرائيل ، وادى هذا العدوان الى استشهاد ٤ وجرح ٦ من الفدائيين ، والى استشهاد ٩ من المدنيين اللبنانيين ، والى اعتراف اسرائيل بمقتل ضابطين وجرح ٨ جنود من المهاجمين .

الانسحاب

في ٢١ـ٥ اعلنت اسرائيل ببيان رسمي انها ستتم انسحابها من جنوب لبنان يوم ١٣ حزيران . ويذكر ناطق اسرائيلي بعد ذلك ان الانسحاب مشروط بـ « ترتيبات مناسبة » تكفل عدم عودة الفدائيين . ومنذ هذا الاعلان بدأ البحث اللبناني الجدي بقضية ارسال الجيش الى الجنوب ، وكان ذلك موضوع بحث اساسي في قمة اللاذقية (٣١ـ٥) بين الرئيسين الياس سركيس وحافظ الاسد ، حيث أسفرت المباحثات عن اتفاق الطرفين على

ضرورة انجاز هذه الخطوة · وفور انتهاء القمة التقى عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري مع عرفات بدمشق لابلاغه نتائج قمة اللاذقية وما يتعلق منها بالجانب الفلسطيني ، ثم اجتمع مجلس الوزراء اللبناني (٣ـ٦) واقر مبدأ ارسال الجيش الى الجنوب ، مع تأجيل البت بتوقيت ذلك ، ثم تولى الرئيس سركيس بحث الامر مع كميل شمعون وبيار الجميل ، ولكن شمعون بادر فور ذلك الى وضع العراقيل حسب طريقته المعهودة فأعلن (٤ـ٦) عن « ضرورة تأمين طريق الدامور قبل ارسال الجيش للجنوب » ، ورد وليد جنبلاط على موقف شمعون بقوله « ان قضية الدامور هي جزء من قضية المهجرين من تل الزعتر والكرنتينا » · (٦ـ٦) ·

وكان طبيعيا ان يتشعب هذا البحث ليشمل القوات الدولية ، وفي هذا الاطار التقى الجنرال امانويل ارسكين قائد القوات الدولية مع عرفات (٢ـ٦) ، واعلن أرسكين بعد اللقاء ان عرفات يوافق على :

١ ـ تجميد العمليات العسكرية ·

٢ ـ منع التسلل ·

٣ ـ يصر على حق العودة الى القواعد بعد الانسحاب الاسرائيلي · وذكر ارسكين أن عرفات وافق على السماح لضباط مراقبة دوليين بالتمركز في قلعة الشقيف ، وتم تنفيذ ذلك فعلا يوم ١١ـ٦ ·

ومن جهتها اعلنت المقاومة عن اللقاء انه تمت فيه ازالة سوء التفاهم الذي سببته تصريحات أرسكين السابقة عن تناقض اتفاق القاهرة مع قرار ٤٢٥ ، وذكرت انه تم الاتفاق على اعتبار كل ما يتعلق بالعلاقات اللبنانية الفلسطينية خارج اطار تدخل القوات الدولية ·

واعلن عرفات بعد اللقاء في خطاب امام فريق من المقاتلين ان « لا احد يستطيع ان يلغي تواجدنا ، ونحن موجودن حيث توجد البندقية الفلسطينية ، ونلتزم بعدم القصف الا اذا هوجمنا لاننا لا نريد تحميل جبهة الحدود اكثر مما تحمل الان » ·

أما على الصعيد اللبناني فقد حضر الى بيروت (٥ـ٦) الجنرال سيلاسفيو منسق قوات الطوارىء الدولية في الشرق الاوسط ، واجتمع الى المسؤولين ، حيث اطلع منهم على ترتيبات ارسال الجيش اللبناني للجنوب ، وابلغهم شروطا اسرائيلية للانسحاب تقضي بالاحتفاظ باربع مواقع ، مما دفع وزير الخارجية فؤاد بطرس لان يعلن انه غير متفائل بالانسحاب الاسرائيلي الكامل يوم ١٣ حزيران ، ثم عاد بطرس واعترف رسميا (٨ـ٦) بان اسرائيل طلبت البقاء في النقاط الاربعة بعد الانسحاب ·

وفي اليوم التالي (٩ـ٦) اعلن ارسكين شرطا جديدا للانسحاب الاسرائيلي ، يقضي بان اسرائيل ستسلم المناطق التي ستجلو عنها الى المليشيات اليمينية المتواجدة في الجنوب بقيادة الرائد سعد حداد · وانتقد ارسكين اسرائيل لموقفها هذا الذي يتناقض مع مضمون القرار ٤٢٥ واشاد بتعاون منظمة التحرير معه · وقد نفذت اسرائيل شرطها هذا مباشرة ، وبدأت منذ يوم ١٠ـ٦ بعمليات تسليم وتسليم بين قواتها وقوات سعد حداد ، بعد ان أمدته بعدد من الاليات والمدافع ·

وقد أدخل هذا الموقف الاسرائيلي تعقيدا شديدا على الموقف ، وخلق أزمة سياسية داخل لبنان حول الموقف من سعد حداد ، ووضع القوات الدولية في مأزق حول كيفية التصرف بعد الانسحاب الاسرائيلي · وحين اعلن مصدر عسكري لبناني كبير (المونداي مورننغ ١٢ـ٦) قبل الانسحاب بيوم واحد أن « سعد حداد ضابط في الجيش مكلف بمهمة من القيادة السابقة ، ولكن لا توجد اتصالات

بينه وبين القيادة الحالية ، زاد في غموض الموضوع بدل ان يوضحه ، خاصة وان ارسكين اعلن في يوم الانسحاب بالذات (١٣ـ٦) ان لديه تعليمات بأن « حداد يمثل الحكومة اللبنانية » وهو ما رد عليه مصدر رسمي لبناني بالقول ان « التصريح المنسوب لارسكين عار عن الصحة » ، وابرز ذلك خلافا داخل السلطة اللبنانية نفسها ، وربما وجود تعليمات ومواقف متناقضة - واستمر هذا التناقض بينما كانت اسرائيل تنسحب على طريقتها وتسلم ٢٣ موقعا لقوات سعد حداد ، و ١٤ موقعا فقط للقوات الدولية ٠

وفي اليوم التالي للانسحاب (١٤ـ٦) اعلن كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة ان « الحكومة اللبنانية اعترفت بصورة مؤقتة بالرائد سعد حداد كقائد الامر الواقع للقوات اللبنانية في منطقته»، بينما كان الرئيس الحص يصر على موقف رسمي لبناني اخر يدعو فيه القوات الدولية للسيطرة على كل الجنوب ، قائلا ان « اي تصرف يتعارض مع هذا الموقف يعتبر خروجا على ارادة الدولة ولا بد من مواجهته » ، واكد الحص موقفه في اليوم التالي بتصريح قال فيه انه « ليس للمجموعات العسكرية في الجنوب اي صفة تمثيلية للسلطة » ٠٠وبالرغم من هذا الخلاف ، وبسبب عدم تمكن السلطة من ارسال قوات من الجيش الى الجنوب ، فرض الامر الواقع نفسه ، وبقي سعد حداد رغم الحملة عليه في موقعه ، الامر الذي دفع عرفات لان يعلن (١٤ـ٦) ان ما جرى في الجنوب هو « عملية تسلم وتسليم بين صهاينة الخارج وصهاينة الداخل » ٠

العلاقات الفلسطينية الداخلية :

بعد البيان السياسي الذي اصدرته حركة فتح (الشهر الماضي) ، والذي حددت فيه مواقفها من التسوية ،والتضامن العربي ، والسياسة الاميركية ،واستمرارية النضال المسلح ، دعا ابو اياد (١٦ـ٥) « لوحدة عسكرية وتنظيمية وسياسية بين فصائل المقاومة الفلسطينية تكون منطلقا لوحدة مع الحركة الوطنية اللبنانية ، وتعتمد على البيان السياسي الاخير لحركة فتح » ٠

وبعد ايام من هذه الدعوة اجتمع المجلس المركزي الفلسطيني في دمشق (٢٠ـ٥) واتفق فيه على دعوة المجلس الوطني الفلسطيني للاجتماع يوم ١٥ اب ، على ان يجري تحديد مكان انعقاد المجلس في وقت لاحق ، اما المواقف السياسية التي حددها بيان رسمي فدعت الى :

١ ـ التمسك والالتزام باتفاق القاهرة في لبنان ٠

٢ ـ التنبه لمخطط تفجير الوضع في لبنان من جديد ٠

٣ ـ رفض اي قمة عربية في ظل مبادرة السادات ٠

٤ ـ تجاوز العقبات التي تقف فيطريق الوحدة الوطنية الفلسطينية وتجاوز الخلافات الهامشية ٠

وما اشار اليه ابو اياد من دعوة لوحدة شاملة ، وما دعا اليه بيان المجلس المركزي من « تجاوز للعقبات » كان فيما يبدو نوعا من الرد الايجابي على مذكرة اعدتها خمس منظمات فدائية (منظمات جبهة الرفض الاربعة ، والجبهة الديمقراطية) وقدمتها رسميا الى قيادة حركة فتح ، وقد تسربت هذه المذكرة الى الصحف ونشرت يوم ٢٥ـ٥ ، وتسجل المذكرة نقدا لسياسة منظمة التحرير في مجالات : التسوية السياسية ، العلاقات مع الدول الرجعية العربية ، العلاقات مع الحركة الوطنية اللبنانية ، ثم تطالب بتشكيل هيئة قيادية تضم الامناء العامين

للمنظمات ، وعدد من قيادة حركة فتح ، مع عدد من الشخصيات الوطنية ، وتكون مهمة هذه الهيئة مناقشة واتخاذ القرار السياسي الفلسطيني ، متعا لاي انفراد في هذا الشأن ٠

وقد ادت هذه المذكرة الى اشاعة جو من الحيوية في الحوار الفلسطيني الداخلي ، وعقدت على اثرها سلسلة من اللقاءات الفلسطينية الداخلية بين المنظمات من جهة، وبين المنظمات وحركة فتح من جهة اخرى، جرت فيها مناقشة مضمون المذكرة واتفق على ان يضع كل تنظيم تصوره لاجراءات الوحدة الوطنية المطلوبة ، تمهيدا لحوار اوسع يكون مقدمة لاجتماع المجلس الوطني ، حيث يجري اقرار ما اتفق عليه ٠

ورغم حرارة الحوار الداخلي فان انعكاساته المباشرة على الاعلام كانت ضئيلة ، ومن هذا الضئيل ما اعلنه بسام ابو شريف باسم الجبهة الشعبية (٣٠ـ٥) بقوله « اذا اقر المجلس الوطني برنامجنا فسنشترك في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وفي المجلس المركزي » ، وذكر ان الجبهة « تكثف حوارها مع المنظمات لوضع برنامج عمل لوحدة وطنية متينة »٠ ومنه ايضا ما اعلنه خالد الحسن باسم حركة فتح في اليوم نفسه من انه « لا مانع من دخول امناء المنظمات في عضوية اللجنة التنفيذية اذا وافق المجلس الوطني الفلسطيني » ٠

اضافة الى ذلك سجل الوضع الفلسطيني حدثين :

اولا : قيام وفد من الجبهة الديمقراطية برئاسة الامين العام نايف حواتمة ، بزيارة مفاجئة الى موسكو (٢٩ـ٥) ، حيث اجرى مباحثات مع بوريس بونامريوف (٢ـ٦) ، وصدر عن المباحثات بيان (٨ـ٦) ، اكد فيما اكد دعم موسكو « للتحالف داخل اطار منظمة التحرير الفلسطينية » ٠

ثانيا : قيام خليل الوزير (ابو جهاد) بزيارتين لدمشق عقد خلالهما اكثر من اجتماع عسكري مع اللواء مصطفى طلاس (٦ـ٦) ، ومع اللواء حكمت الشهابي (٧ـ٦) ٠ وعلم ان البحث تركز في هذه الاجتماعات على بحث عمليات المقاومة العسكرية والتنسيق في ذلك بين المقاومة وسوريا ٠ ولوحظ ان المقاومة قامت بعد هذه الاجتماعات بعملية ضد مستعمرة محولا في غور الاردن ، وذلك للمرة الاولى منذ عام ١٩٧١ ٠

وقام قادة المقاومة خلال هذه الفترة بزيارات عربية كان ابرزها زيارات قادة المقاومة لليبيا لمشاركتها باعياد جلاء القوات الاميركية (عرفات ، ابو اياد ، حواتمة ، حبش ، جبريل) ، وقيام ابو اياد بزيارة للجزائر اثناء مباحثات بومدين والقذافي ، حيث اجرى معهما مباحثات منفصلة ٠

بلال الحسن

المناطق المحتلة

من بين الموضوعات التي ظهرت مؤخرا في المناطق المحتلة ثلاث موضوعات : محاولة مصادرة مزيد من الاراضي العربية عن طريق الغاء التوكيلات واعداد خطة استيطانية جديدة تستهدف اقامة ست مدن رئيسية في الضفة الغربية ، ومواصلة نهب ثروات سيناء البترولية ·

قضية التوكيلات

في اواسط شهر نيسان الماضي ، اخذ موضوع « التوكيلات » يطرح نفسه كقضية في الضفة الغربية · ولكي نحيط بهذه القضية التي اثارتها بالاساس شهرة المصادرة المتحكمة بسلطات الاحتلال ، سنقف قليلا عند القانون الاسرائيلي الخاص بـ « ممتلكات اللاجئين » · لقد صدر هذا القانون على شكل انظمة عقب قيام اسرائيل ، لتنظيم الاستيلاء «القانوني» على ملايين الدونمات التي خلفها اللاجئون الفلسطينيون · وعينت سلطات الاحتلال في حينه « قيما » على « ممتلكات الغائبين » · الا ان هذا « القيم » او « المؤتمن » الذي يفترض فيه حماية الممتلكات الى ان تجد قضية اللاجئين حلا لها ، منح الاراضي للكيرن كييمت لتقوم بدورها باعمال تمهيدها لاقامة المستوطنات اليهودية عليها ·

وفي العام ١٩٦٧ عندما سقط ما تبقى من الاراضي الفلسطينية ، واجهت سلطات الاحتلال وضعا مشابها ، واصدرت قانونا خاصا في عام ١٩٦٧ يعرف باسم « امر بخصوص الممتلكات المتروكة ، ممتلكات الفرد » ينص على ان يحق للقيم الاستيلاء على اية ممتلكات متروكة ، هجرها اصحابها عند مغادرتهم الضفة الغربية · ويقسم اصحاب الممتلكات الى فئتين ، الفئة التي تعيش في دول عدوة (الدول العربية) ويعتبر افرادها بمثابة «غائبين»، والفئة الثانية التي تعيش في دول اجنبية، ولا ينظر الى افرادها كغائبين · الا ان سلطات الاحتلال اخذت مؤخرا تنظر اليهم كغائبين · ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال التي عينت قيما او « حارسا » على هذه الممتلكات لم تضع يدها من خلال القيم على ممتلكات الغائبين من الضفة الغربية الا فيما ندر ، وذلك لاسباب عدة من بينها التخوف من التبعات السياسية التي يمكن ان تنجم عن مثل هذا العمل · وقد عثر على مخرج يسمح بموجبه لاصحاب الممتلكات التصرف بممتلكاتهم ، وذلك عن طريق «التوكيلات» ، حيث يوكل صاحب الملك الى شخص ما في الضفة الغربية ، التصرف بممتلكاته ·

الا ان سلطات الاحتلال غيرت هذا الوضع عند منتصف شهر نيسان الماضي عندما اخذت تعلن انها لا تعترف بالتوكيلات متذرعة بحماية حقوق اصحاب الممتلكات

عقب تكاثر اعمال الغش في التوكيلات ! واعلنت ان القيم على ممتلكات الغائبين سيستخدم صلاحياته وفق القانون ·

لم يكن الهدف من وراء السياسة الجديدة حماية ممتلكات الغائبين من اعمال الغش ، حتى عودة هؤلاء الغائبين ، وانما مصادرتها لحساب المستوطنات التي تظهر في اماكن مختلفة من الضفة الغربية ، خاصة وان هذا التوجه الجديد رافق اعمال المصادرة القائمة ليس ضد « الغائبين » وانما ضد « الحاضرين » وزامن ظهور مخطط لاقامة ست مدن في الضفة الغربية للمستوطنين اليهود · هذا فضلا عن ان المصادر الاسرائيلية نفسها اعترفت بان السياسة الجديدة تعني مصادرة ربع مليون دونم من الاراضي بالاضافة الى الممتلكات الاخرى كالبيوت والحوانيت ·

وقد تصدى المواطنون العرب من اصحاب الاراضي سواء « الغائبون » منهم او حاملوا التوكيلات او «الحاضرون» للسياسة الجديدة · ففي منطقة حارس حيث اقدمت سلطات الاحتلال على مصادرة مساحات واسعة من الاراضي ـ تضاربت المعلومات حول حجمها ـ ارسل رئيس المجلس القروي لحارس عبد الجليل صالح مذكرة الى الحاكم العسكري في نابلس احتج فيها على مصادرة « عشرة الاف دونم من اراضي القرية » وفق ما ذكرته هآرتس (١٩ـ٥ـ٧٨) والتي نقلت عن جهات وصفتها بالامنية انه جرى مصادرة حوالي الف دونم لصالح المستوطنة الاسرائيلية التي تحمل اسم « حارس » · وقد اعترفت سلطات الاحتلال بعد ذلك وكرد على صحيفة هآرتس ان مساحة الاراضي المصادرة هناك ٣١٢ دونما فقط ·

كما وتحرك سكان قرية النبي صالح ودير نظام بواسطة المحامي الياس خوري للدفاع عن اراضيهم التي تها اليهم · وتوجه المحامي الى الاسرائيلي طالبا « امتثال وزير الدفاع الاسرائيلي والحاكم العسكري العام للضفة الغربية والحاكم العسكري لمنطقة رام الله امام محكمة العدل العليا في القدس » وابداء الاسباب التي تدفع بجنود الجيش الاسرائيلي لمنع موكليه من دخول اراضيهم · وطالب ايضا بازالة الاسلاك الشائكة التي طوقوا بها منطقة تبلغ مساحتها ٢٠٠ دونم ، وعدم مضايقة اصحاب الارض ومصادرة اراضيهم لاقامة المستوطنات عليها · واستند المحامي في مذكرته على نصوص من القوانين الدولية القاضية بمنع اية سلطة محتلة اجراء تغييرات على الوضع القانوني وعلى طبيعة المناطق التي تحتلها ·

ويعتبر هذا الطلب الموجه الى «القضاء» الاسرائيلي الاول من نوعه في المناطق المحتلة · ومن الجدير بالذكر ان « محكمة العدل العليا » استجابت لطلب المحامي ·

لم يكتف اصحاب الاراضي بالتوجه الى القضاء الاسرائيلي بل بعثوا ايضا بمذكرات الى قناصل الدول الاجنبية في القدس ·

الى جانب ذلك ،ظهرت حركة احتجاجات واسعة في الضفة الغربية وخاصة في مناطق القدس ورام الله وبيت لحم ضد القرار الخاص بالغاء التوكيلات · ففي بيت لحم عقد اجتماع شعبي كبير خلال النصف الثاني من ايار الماضي ، قرر فيه المجتمعون مطالبة سلطات الاحتلال بالتراجع عن القرار المذكور · كما ونظم اصحاب الممتلكات الموجودون في اوروبا الغربية وامريكا اللاتينية حملة احتجاجات

واسعة · وفي مدينة نيويورك قام اصحاب المتلكات بتظاهرة احتجاجية امام مباني الامم المتحدة ·

وكان من نتيجة تصاعد موجة الاحتجاجات ان تراجعت سلطات الاحتلال عن السياسة الجديدة تجاه ممتلكات الغائبين كما اعلن عن ذلك وزير الدفاع عيزر فايتسمان ، كما واشارت الصحف الاسرائيلية نقلا عن اوساط وزارة الدفاع الى ان سلطات الاحتلال عدلت عن اعتزامها مصادرة مساحات واسعة من اراضي الضفة الغربية تخص الغائبين · بيد ان وزير الزراعة ارئيل شارون اكد ـ وفق ما جاء في معاريف ٣١ـ٥ـ٧٨ ـ على ان قرار محكمة العدل العليا الخاص بمصادرة الاراضي لن يؤثر على النشاط الاستيطاني لان « هنالك مساحات كافية من الارض لتحقيق هذا الهدف » ·

مخطط لاقامة ست مدن في الضفة

في الوقت نفسه الذي اثيرت فيه قضية التوكيلات ، طرحت اوساط وزارة الدفاع خطة استيطانية جديدة تحمل اسم « خطة فايتسمان » ، تعتمد على اقامة ست مدن رئيسية ، ثلاث منها في منطقة نابلس وثلاث في منطقة القدس ، تستهدف تثبيت الاستيطان القروي القائم في الضفة الغربية وتعزيزه تمهيدا لتهويد الضفة الغربية وتكريس احتلالها · وقد جاء في حيثيات الخطة التي اعدها فرع البرمجة في قيادة الجيش الاسرائيلي برئاسة العميد ابراهام تمير ان هذه « المراكز الكبيرة تستجيب للصعوبات السياسية خاصة منذ المفاوضات مع مصر » (هآرتس ١٩ـ٥ـ ٧٨) · واكد العميد تمير على ان المراكز الدينية في منطقة نابلس تقع في الجزء الغربي من المنطقة ، وبذلك تتوفر « امكانية لمفاوضات حول مستقبل المنطقة الشرقية من السامرة » ، كما واكد على ان المراكز الثلاث الاخرى تستهدف « تعزيز الاستيطان في منطقة القدس » ·

وهذه المدن هي :

منطقة القدس

١ ـ جعبون ، من المقرر مصادرة ٢٥٠٠ دونم واستيعاب ٥٠٠٠ عائلة ·

٢ ـ معاليه ادوميم (٤٠٠٠ دونم) و (٧٠٠٠ عائلة) ·

٣ ـ افرات (١٤٠٠٠ دونم) و (٧٠٠٠ عائلة) ·

منطقة نابلس

١ ـ حارس (معظمها اراض صخرية) (١٤٠٠٠ عائلة) ·

٢ ـ قرني شومرون (٣٠٠٠ دونم) (٢٠٠٠ عائلة) ·

٣ ـ النبي صالح (بعضها اراض صخرية) (٢٠٠٠ عائلة) ·

يبلغ مجموع العائلات في هذه المدن الست وفق الخطة ٣٨ الف عائلة ·

ومن الجدير بالذكر ان الاعمال الاستيطانية تجري على قدم وساق في بعض هذه المراكز قبل ظهور الخطة آنفة الذكر ، ففي مستوطنة حارس تنشط وزارة الاسكان في اقامة المباني ، وفي مستوطنة معاليه ادوميم تجري اعمال البناء واقامة المنشآت الصناعية «باندفاعة قوية » · وتقرر مؤخرا اقامة ١٤ مصنعا وورشة في هذه المستوطنة بالاضافة الى المصانع الـ ١٤ القائمة هناك ، والتي يعمل فيها الان ١٣٧ مستوطنا · ومن المقرر زيادة عدد العمال خلال نصف عام

الى ٧٠٠ عامل · وتضم المستوطنة في الوقت الحاضر ٢٥٠ مستوطنا ·

اما على صعيد الاستيطان القروي فقد اعلن في السادس والعشرين من ايار الماضي عن انتقال اعضاء مستوطنة « تومار » في غور الاردن من النقطة المؤقتة الى النقطة الدائمة ، بعد ان استكملت وزارة الاسكان بناء ٤٠ وحدة سكنية · كما وشرع بتمهيد الارض لمستوطنة جديدة تحمل اسم « يفيت » التي من المقرر استكمالها خلال عامين ، وهي مخصصة لنواة استيطانية لمهاجرين من فرنسا · كما واقيمت في غور الاردن اول محطة بنزين مع مطعم يملكهما يهود · وثم تدشين مكاتب لتقديم الخدمات لمستوطني الاغوار ·

وفيما يتعلق بنشاط حركة جوش ايمونيم فان الحركة تسعى الان لتثبيت اقدامها في النقاط ال ١٨ التي اقامتها حتى الان في الضفة الغربية وذلك بمحاولة تزويد كل مستوطنة بقطع من الاراضي مساحة كل منها تتراوح ما بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ دونم · ووعد مساعد وزير الدفاع الحركة « بدراسة الاستيلاء على مساحات واسعة من الاراضي بهذا الحجم » ·

« تحرشات » العرب :

في الوقت الذي تقوم فيه حركة جوش ايمونيم باقامة الوقائع الجديدة فوق الاراضي العربية ، اخذت بعض الصحف الاسرائيلية (انظر معاريف ٥ـ٦ـ٧٨) تتحدث عن « تحرشات » سكان القرى العربية في منطقة النبي صالح بالمستوطنين اليهود في مستوطنة « نفيه تسوف » ·

وقالت ان القرويين هناك « يتحرشون » و « يغرقون » المستوطنة بقطعانهم عقب قرار محكمة العدل العليا ازالة الاسيجة التي كان المستوطنون قد اقاموها · وافادت أن المستوطنين يحتجون على دخول قطعان الاغنام الى منطقة تبلغ مساحتها ٩٠ دونما تم « الاستيلاء عليها وفق القانون » تحتوي على بركة للمياه · ونقلت عن المستوطنين ادعاءهم بأن قرار المحكمة « رفع معنويات » العرب وشجعهم على جلب قطعانهم الى بركة المياه ·

وهنالك شكوى اخرى للمستوطنين ، ومن نوع اخر ، تتلخص في اتهام القرويين العرب وخاصة في ضواحي قرية عبود بغلق الطريق المؤدية الى المستوطنة «سواء بواسطة قطعان الغنم او على يد سكان القرية انفسهم · فالسيارات الاسرائيلية التي تسلك الطريق تجد نفسها مضطرة للتوقف والانتظار مدة طويلة حتى يخلي القرويون الطريق · وهم يفعلون ذلك ببطء شديد لاثارة الغضب » وقدم المستوطنون شكوى بهذا الخصوص الى الحاكم العسكري يعربون فيها عن استغرابهم من استمرار هذه « التحرشات » ·

ومن ناحية اخرى قدم عدد من اعضاء الكنيست اقتراحا مستعجلا لاستيطان منطقة النبي صالح ومصادرة مساحات من الاراضي لتعزيز الاستيطان في المنطقة ·

اسرائيل تستمر في نهب الثروة البترولية في سيناء

منذ عام ونيف وسلطات الاحتلال تقوم باعمال التنقيب عن البترول ، بواسطة شركات اسرائيلية واجنبية ، في ثلاث مناطق من سيناء ـ منطقة الغور في خليج السويس ، والمنطقة البحرية المقابلة للعريش ومنطقة مشارف رفح في شمال سيناء · ومن غريب الصدف حقا ان

تتكلل اعمال التنقيب عن البترول في المنطقة البحرية المقابلة للطور ، بتفجر البترول في نفس اليوم الذي قام به السادات بزيارته للكيان الاسرائيلي · وقد استمرت اعمال التنقيب عقب الزيارة ، وتم حتى الان حفر ثلاث ابار هي « علما ١ » و « علما ٢ » و « علما ٣ » · ومن المقرر ان تقوم شركة نبتون الاميركية صاحبة الامتياز بحفر ١٠ ـ ١٢ بئرا اخر في نفس المنطقة وفق الخطة المقررة ·

واشارت الصحف الاسرائيلية الى وجود مخزون ضخم من البترول في المنطقة ، والى ان الابار الثلاث تنتج في الوقت الحاضر ١٦ الف برميل يوميا ، وتقوم السفن الراسية هناك بنقله الى ايلات حيث يجري نقله بواسطة الانبوب الى عسقلان على البحر المتوسط ·

وفيما يتعلق باعمال التنقيب في مياه العريش ، فانها لم تسفر حتى الان عن اكتشافات تذكر · اما اعمال التنقيب الجارية منذ اكثر من عام في منطقة مشارف رفح فقد اسفرت عن اكتشاف حقلين كبيرين للغاز في « سدوت ١ » و « سدوت ٢ » · ويقدر احتياطي الغاز هناك بـ ٣٤٫٥ مليار قدم مكعب من الغاز · وتعتزم الشركة الاسرائيلية التي تحمل اسم « التنقيب عن البترول ، استثمارات محدودة الضمان » بالتعاون مع شركة « باز » وشركة « وسترن ديزت » ومستثمر يهودي من الولايات المتحدة ، القيام بحفر ابار اخرى بحثا عن مزيد من الحقول ، ومد انبوب بين الحقول المكتشفة ومنطقةعراد في النقب لاستثمار الغاز ·

اسرائيليات

I

الموقف الاسرائيلي : لا جديد حول مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة

توصلت الحكومة الاسرائيلية الى قرار في شأن الرد على الاسئلة الاميركية المتعلقة بمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة بعد مرور ٥ سنوات من الحكم الذاتي · وقد اعلن سكرتير الحكومة اربيه ناؤور صيغة القرار ـ الرد على النحو التالي : « تعتبر حكومة اسرائيل ان استمرار مجرى التفاهم بينها وبين جاراتها ، بهدف الوصول الى سلام ، هو امر حيوي · كذلك تعرب عن موافقتها للبحث والاتفاق حول ماهية العلاقات العتيدة بين الاطراف، بعد ٥ سنوات من الحكم الذاتي الاداري، الذي سيبدأ تطبيقه مع حلول السلام ، اذا طلب اي طرف اجراء مثل هذا البحث· ويشمل اطار اجراء مثل هذا البحث ، اشراك هيئة ممثلة لسكان [الضفة الغربية] وغزة ، تنتخب حسب نظام الحكم الذاتي، في المفاوضات بين الاطراف ، بهدف الوصول الى اتفاق فيما بينها » (رإ؟ ـ ١٨ـ٦ـ٧٨) · وقد بادر الى تقديم صيغة

القرار هذه رئيس الحكومة بيغن ، حيث نال تأييد ١٣ وزيرا مع معارضة وزير الدفاع عيزر وايزمان · وكان ويزمان قد عارض ايضا اقتراحا تقدمت به كتلة داش يقضي بان تعلن الحكومة عن موافقتها على اجراء مفاوضات بين الاطراف ، بهدف حسم قضية المركز الدائم للضفة الغربية وقطاع غزة ، بعد مرور ٥ سنوات من الحكم الذاتي ، وذلك من خلال اشراك ممثلين ملائمين من سكان المناطق· وقد نال اقتراح داش هذا تأييد ٤ وزراء فقط ــ وهم وزراء داش ــ بينما اعلن نائب رئيس الحكومة وزعيم داش يغئال يدين، ان كتلته ستمتنع كما يبدو عن تأييد القرار في الكنيست ، ولن تؤيد موقف الائتلاف الحكومي (المصدر نفسه) ·

كانت الحكومة الاميركية قد تقدمت بطلب الى الحكومة الاسرائيلية ، قبل هذا ، وقد جاء هذا الطلب على شكل سؤالين وجها الى رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن ووزير خارجيته موشيه دايان ، خلال زيارتهما الاخيرة لواشنطن ، حيث ينص السؤال الاول على « ما سيحدث في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بعد مرور المرحلة الانتقالية المتمثلة بخمس سنوات من الحكم الذاتي للسكان · والسؤال الثاني حول الوسيلة التي ستتبع في نهاية هذه الفترة ، لمعرفة وجهة اختيار السكان ، اي ، بمعنى اخر ، اي حكم سيختارون ، وما هو شكل الارتباط الذي يفضلونه ، اذا رغبوا حقا في ارتباط ما ؟ ويفضل الاميركيون في هذا الخصوص اجراء استفتاء ، ليستطيع السكان الفلسطينيون ان يختاروا بواسطته الابقاء على الوضع الراهن ، او تفضيل علاقات اوثق مع اسرائيل او مع الاردن · بينما تعارض اسرائيل استفتاء كهذا ، وتفضل حل المسألة في مجلس [اداري] للضفة والقطاع ، يتمثل فيه مندوبون عن الفلسطينيين ، والاردن واسرائيل ومصر، مع احتفاظ كل واحد من هذه الاطراف بحق الفيتو » عند البحث في المسائل المتعلقة بهذه المناطق (اريئيل غيناي ــ يديعوت احرونوت ، ٥ــ٥ــ٧٨) · وكان بيغن قد اعلن ان اسرائيل اخذت على عاتقها مهمة اقتراح بديل لمسألة الاستفتاء التي يقترحها الحكم الاميركي ، وذلك خلال بضعة اسابيع (دافار ، ٣ــ٥ــ٧٨) · (لمزيد من التفاصيل حول الاقتراحات الاميركية ، انظر شؤون فلسطينية ــ العدد ٧٩ ص ٢٠٩ ــ ٢١٤) ·

يلاحظ من خلال النقاش السياسي داخل الحكومة ، ان هناك ثلاثة اتجاهات رئيسية بين الوزراء ، حول كيفية الرد على الاسئلة الاميركية المذكورة · وتتمثل هذه الاتجاهات في ثلاثة اقتراحات تقدم بها كل من دايان وفايتسمان وحاييم لانداو (وزير بلا وزارة) · « فبينما تقوم وتؤكد هذه الاقتراحات الثلاثة على ضرورة مشروع السلام الاسرائيلي ومشروع الحكم الذاتي الاداري كأساس لكل تسوية ، وعلى ضرورة الرد بصيغ ايجابية على الاسئلة الاميركية ··· فان هناك اختلافات في مضامين الصيغ التي تقترحها ، وهنا يبرز الاختلاف بين مواقف كل من دايان وفايتسمان ولانداو ، وينعكس التباين في اراء الوزراء الاخرين » (رأ ، ١٢ــ٦ــ٧٨) ·

يقول الوزير لانداو ، وهو احد المقربين من رئيس الحكومة بيغن ، وأحد المتصلبين البارزين في الحكومة ، « ان مشروع الحكم الذاتي الذي اقترحته اسرائيل ، ينص ، على اعادة بحث اسسه بعد مرور خمس سنوات ، ولذا، يجب اقامة الحكم الذاتي من أجل السلام ، وبعد مرور

السنوات الخمس يمكن العودة الى فحص ودراسة الاسس على ضوء التجربة المتراكمة » (المصدر نفسه)· اي ان لانداو يعارض التقيد بأي نص بشأن ما سيحدث بعد مرور السنوات الخمس ، وترك الامور مفتوحة حتى ذلك الوقت والهدف هو ، بالطبع ، محاولة استغلال الوقت لخلق حقائق جديدة في تلك المناطق ، تمكن اسرائيل من احكام سيطرتها عليها · ويلاحظ ان هذا الموقف قريب جدا من موقف بيغن الذي يدعي انه في حال امتناع اسرائيل عن الاعلان سلفا حول استعدادها ، مثلا ، لتحديد السيادة على الضفة الغربية وغزة ، بعد انقضاء فترة السنوات الخمس « فان هناك احتمالا لخلق واقع يضمن استمرار الارتباط الاسرائيلي بهذه المناطق · وعلى المدى المنظور ، فان اهتمام [بيغن] ينصب على اعمال تطويرية واستثمارات اسرائيلية واسعة في الضفة الغربية ، مع اقامة مشاريع مشتركة مع سكانها ، بحيث تخلق مصلحة مشتركة لاستمرار التعايش بين العرب واليهود في هذه المنطقة · وحسب تقريره ، فان الاستجابة للطلبات الاميركية ـ المصرية ، ستقضي على هذا الاحتمال » (عوزي بنزيمان ـ هآرتس ، ١٩ـ٥ـ٧٨) · لذلك يمكن القول ان بيغن يتبنى الخط المتشدد داخل الحكومة ، الامر الذي سيترك اثره بالطبع على نتيجة البحث الجاري في حكومته الان ، وعلى مسار الجهود لاعادة عجلة المفاوضات السياسية المتوقفة ·

اما فايتسمان ، فيقترح العودة الى المفاوضات المباشرة مع مصر ، بصفتها الشريك الحقيقي للمفاوضات ، وليس الولايات المتحدة ، التي يمكنها الاكتفاء بتقديم خدماتها الحميدة · وقد جاء اقتراح فايتسمان هذا على شكل ورقة عمل ، اعدت في وزارة الدفاع ، وجرى تقديمها الى الحكومة في جلستها الخاصة في تاريخ ١٢ـ٦ـ٧٨ · « ويقترح فايتسمان في تلك الورقة انشاء صمامات امنية تضمن امن اسرائيل واحباط كل محاولة للمساس بأمنها بعد التوصل الى تسوية · كذلك تتضمن الورقة اقتراحا للتعاون الاقتصادي بين اسرائيل وسكان الضفة الغربية بعد التسوية · اما القدس فالسيادة فيها لاسرائيل ، ويجب تمكين اليهود من العيش في الضفة الغربية مع قدر قليل من الاحتكاك مع العرب · وكما يبدو فان فايتسمان ، يقصد هنا التجمعات السكنية اليهودية التي اقترحها ، في المناطق غير المأهولة بكثافة من العرب » (رأ ، ١٢ـ٦ـ٧٨) · وفي هذا الصدد اعدت وزارة الدفاع ، مشروعا استيطانيا واسعا في الضفة الغربية تم تقديمه الى اللجنة الاستيطانية المشتركة للحكومة والمنظمة الصهيونية ، من قبل رئيس قسم التخطيط في الاركان العامة العميد ابراهام تمير · وحسب المشروع ، ستقام ستة مراكز مدينية في الضفة الغربية تتسع لـ ٤٠ الف عائلة ، وذلك من اجل تجنب العراقيل السياسية في عملية الاستيطان في هذه المنطقة (هآرتس ، ١٩ـ٥ـ٧٨) · وقد جاء اقتراح فايتسمان امام الحكومة بشأن الضفة الغربية مثلائما مع هذا المشروع ·

اما اقتراح دايان فينص على عدم تأجيل الحسم في القضايا المطروحة وانما « علينا ان نبذل كل ما نستطيع للتوصل الى تسويات دائمة منذ الان · وفي نهاية السنوات الخمس ، يملك كل جانب الحق في تحديد السيادة ، التي ستبقى مفتوحة خلال الفترة الانتقالية ، الا انه يجب ان ندخل في مفاوضات تفصيلية تحدد شبكة العلاقات في الضفة الغربية وقطاع غزة بين ثلاث جهات : اسرائيل والاردن وعرب

المناطق · ومن بين الامور التي يقترحها دايان ، البدء بمفاوضات الان حول شراء الاراضي ووضع ترتيبات التنقل من منطقة الى اخرى ، اي من الضفة الغربية وغزة الى اسرائيل ، وبالعكس ، ومسألة المستوطنات والترتيبات الامنية وتحركات الجيش » · (رأ ، ١٢ ـ ٦ ـ ٧٨) ·

وكان دايان قد قدم وثيقة خطية لبيغن بشأن اجراء بعض التعديلات في مشروع الحكم الذاتي ، اهمها اعطاء دور اكبر للاردن في تنفيذ المشروع وفي الاشراف على الادارة الذاتية (يديعوت احرونوت ، ١ـ٦ـ٧٨) · واقتراح دايان الحالي ، الذي يهدف الى انقاذ اسرائيل من الضائقة السياسية التي وصلت اليها ، ليس جديدا . « فهو في الحقيقة ليس سوى تلك الفكرة القديمة : « الحل الوظيفي » ـ اي اشراك الاردن في المهام الادارية المتعلقة بشؤون الضفة ، مع انفراد اسرائيل بالاهتمام بقضايا الامن وحدها ، بالاضافة الى حقها في الحفاظ على المستوطنات التي اقامتها في الضفة الغربية ، وحتى شراء أراض والاستيطان فيها مستقبلا · وبالنسبة للفلسطينيين ، يريد دايان ان توافق اسرائيل على اعطاء تفسير عملي لبعض بنود مشروع الحكم الذاتي بهدف تجسيد تعبير الشخصية الفلسطينية، وليس الاستقلال الفلسطيني بوجه خاص · اما بيغن فيعتقد ان المشروع الاسرائيلي معقول ، ويمكن ان يحقق رغبات الفلسطينيين · وبالنسبة الى الاردن ، فان حقيقة منحه مركزا معينا في اطار الحكم الذاتي ، وحقيقة التزام اسرائيل بعدم فرض سيادتها على الضفة الغربية ، وابقاء مسألة السيادة مفتوحة ، يجب ان يكون كافيا للاردن مدى خمس سنين على الاقل » (يوسف حاريف ـ معاريف ، ٥ـ٦ـ ٧٨) · ورغم هذا الاختلاف في وجهات النظر ، فان الامر المتفق عليه بين الاشخاص الرئيسيين الثلاثة داخل الحكومة الاسرائيلية ـ بيغن ، دايان ، فايتسمان ـ هو « ان الاردن ليس له في الحقيقة اية حقوق ، اذ انه احتل أرض اسرائيل الغربية في حرب ١٩٤٨ ، من خلال عمل عدواني ، لذلك فان غزوه لهذه المنطقة لم يكن شرعيا · وبيغن يضيف : اما اسرائيل فقد احتلت المنطقة في سنة ١٩٦٧ ، من خلال عملية دفاعية بارزة » (المصدر نفسه) ·

هذه هي الاتجاهات الرئيسية التي توجه النقاش السياسي الدائر الان في الحكومة الاسرائيلية · لذلك ليس هناك اي جديد على صعيد الاجوبة الاسرائيلية وبشكل يتلاءم على الاقل مع التراجع في الموقف الاميركي ، الذي تشير اليه الدوائر الاسرائيلية بصراحة ووضوح · فقد اشار وزير خارجية اسرائيل السابق ابا ايبن ، الى ان « المواقف الاميركية تحسنت جدا خلال الفترة الاخيرة · فمثلا ، معارضة الانسحاب من جميع المناطق [من جانب الولايات المتحدة] ، معارضة دولة فلسطينية مستقلة خاضعة لـ م·ت·ف ، قبول المبدأ بانه يحق لاسرائيل الاحتفاظ بوحدات من جيشها في انحاء الضفة الغربية ، التي ستنتقل الى سيادة عربية ، الاستعداد لعدم استخدام عبارة تقرير مصير · انه لامر يثير الاستياء حقا ، اذ مع وجود موقف اميركي كهذا ، تسلم حكومة اسرائيل بحالة التجميد ، ليس في المفاوضات مع مصر فحسب ، وانما في التفاهم مع الولايات المتحدة ايضا · اعتقد ان سياستنا يجب ان ترتكز الان على الجبهة الاميركية وليس المصرية · فالسادات لن يقيم سلاما مع اسرائيل ،

اذا كانت هذه تفتقر الى دعم اميركي ودولي » (من مقابلة معه ـ دافار ، ٢ـ٦ـ٧٨) ٠

المعارضة تنشط

على صعيد المعارضة ، بادر المعراخ الى تقديم مشروع جديد للتسوية ، في الوقت الذي كانت الحكومة تتخبط فيه بشأن كيفية الرد على الاميركيين ٠ ولا يختلف مشروع المعراخ الجديد عن مشاريعه السابقة ، اذ يعتمد على الحل الاقليمي الوسط على كافة الجبهات ، بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة ، الامر الذي ترفضه حكومة الليكود ٠ وفي مقابلة اذاعية تحدث شمعون بيريس احد زعماء المعراخ ، حول المشروع الجديد بقوله : « نحن على استعداد لحل اقليمي وسط على كافة الجبهات ، ولكن دون العودة الى حدود ١٩٦٧ ٠ وكذلك فنحن نرفض اقامة دولة ثالثة بين الاردن والبحر ، ونؤيد حل القضية الفلسطينية في اطار اردني ـ فلسطيني ٠ ونحن لا نرفض التوصل الى اتفاقات مرحلية ، الى حين التوصل الى حل اقليمي وسط ٠

وبالطبع فاننا نقول بالحفاظ على وحدة القدس وتكاملها » (رأ ، ١٢ـ٦ـ٧٨) ٠ واضاف بيريس « بالنسبة للقضية الفلسطينية ، يجب اعطاء حق المشاركة للفلسطينيين انفسهم في تحديد مستقبلهم٠ [وبالنسبة ل م٠ت٠ف] فانا أرفض التعامل معها بكل ثمن وكل شرط » (المصدر نفسه) ٠ ولخص بريس اسس المشروع الجديد بقوله ، انه ينص على اخلاء سيناء مع ضمان مستقبل المستوطنات والمطارات ، مقابل سلام كامل وتعاقدي ، ثم تجريد الضفة من السلاح ، وتركز الجيش الاسرائيلي فيها لضمان امن اسرائيل بين البحر والاردن ٠ واشار بيريس الى ان الاميركيين مستعدون للقبول بهذا المشروع « وفي اسوأ الحالات ، نحقق تنسيقا اميركيا ـ اسرائيليا ٠ وهكذا يصبح في المثلث اسرائيل ـ اميركا ـ مصر ، تقارب بين الموقفين الاسرائيلي والاميركي ، بدل ان يكون هناك تقارب بين الموقفين الاميركي والمصري » (المصدر نفسه) ٠

وكان رئيس الحكومة السابق رابين ، قد كشف النقاب عن مشروع للسلام خاص به ، يرتكز ايضا على الحل الاقليمي الذي يتبناه المعراخ ، مع بعض التعديلات البسيطة ، خاصة في سيناء ٠ وبعدما يذكر رابين ان الهدف الاساسي في السياسة الاسرائيلية ، يجب ان يتمثل الان في السعي الى تحقيق سلام مع مصر ، يعلن انه ينبغي على حزب العمل اعادة البحث من جديد في مشروعه على ضوء الظروف المتغيرة ٠ « فبالنسبة للقضية المصرية ، يجب ان يتبنى الحزب المبدأ الذي وافقت عليه حكومة اسرائيل الحالية : اعادة السيادة المصرية على سيناء ٠ علينا ان نبادر الى الاقتراح على مصر اجراء تعديلات متبادلة في الحدود ، تطالب اسرائيل بموجبها بمشارف رفح ومنطقة عتسيون القريبة من ايلات ، ونقترح على مصر بالمقابل ، مناطق كانت ضمن حدود ارض اسرائيل الانتدابية ، بالقرب من حدود مصر ٠

كذلك تطالب اسرائيل بتمديد الفترة الزمنية ، التي ستحتفظ بها بالمطار [العسكري] في اوفيرا ٠

« اما في القطاع الشرقي ، فمن اجل تحقيق سلام مع مصر ، من الضروري وجود مرحلة انتقالية ، حتى تحقيق حل

دائم لقضية الضفة الغربية وقطاع غزة ، وحل القضية الفلسطينية ، وتوقيع معاهدة سلام مع الاردن · وتستمر المرحلة الانتقالية حتى خمس سنوات ، حيث يتم الاتفاق خلالها على حكم مشترك ،اسرائيلي ـ اردني في الضفة الغربية وغزة · ويتحمل الاردن مسؤولية ادارة حياة السكان في جميع المجالات المدنية ، بينما تحافظ اسرائيل على الامن في هذه المناطق ، وتحتفظ لنفسها بحق الاستيطان اليهودي في المناطق ، التي حددها المعراخ، وكانت لها الافضلية الاولى في مجال الاستيطان · واقصد هنا ، بوضوح ، عدم الاستيطان في مناطق ذات كثافة سكانية عربية عالية ، كمنطقة نابلس مثلا » (في مقابلة معه ـ معاريف ، ٥ـ٦ـ ٧٨) · ويضيف رابين قائلا ، « ان الحل الدائم الذي سيتحقق في نهاية الفترة الانتقالية ،سيعتمد على انسحاب اسرائيلي حسب القرار ٢٤٢ ، اي « انسحاب من « مناطق » الى حدود قابلة للدفاع ، وليس من « المناطق » ، حسب الصيغة المقبولة لدى العرب والسوفييت » (المصدر نفسه) ·

وكان رابين قد اعلن قبل ذلك ان مشروع السلام الذي قدمته حكومة ليكود، اكثر سهولة بالنسبة للادارة الاميركية من مشروع المعراخ ، كنقطة انطلاق في المفاوضات على الاقل ، وذلك لسببين ، اولا لانه يعتمد على حدود الرابع من حزيران بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة ، ثانيا ، لانه يتضمن استعدادا اسرائيليا للانسحاب الى الحدود الدولية في سيناء (هآرتس ، ١ـ٦ـ٧٨) ·

واذا كان تطور العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية ، يتوقف الى حد بعيد على مدى التنسيق الاميركي ـ الاسرائيلي ، فيما يتعلق بمشاريع التسوية المطروحة ، ومدى التجاوب الاسرائيلي مع الافكار الاميركية في هذا الشأن ، فان هناك قضايا اخرى يمكن ان تؤثر على العلاقات بين الطرفين ، حاضرا ومستقبلا ، واهمها قضية التسليح العربي في الولايات المتحدة، ثم علاقات الولايات المتحدة مع الدول العربية الموالية للغرب ، ثم التنسيق القائم بينها وبين دول حلف الاطلسي فيما يتعلق بالنظرة المشتركة تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي · وهنا يبرز رد الفعل الاسرائيلي على قضية التصديق على صفقة الطائرات الاميركية لكل من مصر والسعودية واسرائيل ، وعلى القرار الذي صدر عن اجتماع وزراء خارجية دول حلف شمالي الاطلسي خلال اجتماعهم في واشنطن في الشهر الماضي ، بخصوص النظرة المشتركة الى مشاريع التسوية المطروحة في المنطقة ·

صفقة الطائرات : ضربة لمكانة اسرائيل الخاصة في الولايات المتحدة

تلقت اسرائيل نبأ التصديق على صفقة الطائرات في الكونغرس الاميركي في منتصف اذار (مارس) الماضي ، باستياء وانفعال شديدين ، معتبرة الامر بمثابة ضربة لمكانتها الخاصة ولنفوذها في الولايات المتحدة · وقد عقب رئيس الحكومة بيغن على هذه القضية بقوله : « انهم يحاولون [بهذه الصفقة] املاء شروط السلام علينا ، ودفعنا الى وضع ، ليس في غاية الصعوبة فقط ، وانما يستحيل معه الدفاع عن السكان المدنيين» (يديعوت احرونوت ، ١٧ـ٥ـ٧٨) ·

واشار بيغن الى « خطورة خرق الالتزام الكامل وغير المشروط من جانب الادارة الاميركية ، فيما يتعلق بتزويد الطائرات، والذي اعطي لاسرائيل قبل سنتين ، والان تحول ، الى التزام مشروط ايضا بتزويد طائرات لدول هي في حالة الحرب مع اسرائيل » (المصدر نفسه) · كذلك علق وزير الخارجية دايان على صفقة الطائرات بقوله : « برأيي ، لا يجوز اعطاء طائرات للدول العربية ، طالما لم توقع بعد على اتفاق سلام مع اسرائيل · ليس مهما ابدا بأية طائرات سنهاجم ، فالامر لا يختلف ، سواء كانت هذه طائرات هجومية اميركية ام روسية » (معاريف ، ١٧ـ٥ـ٧٨) · اما رئيس الحكومة السابق رابين ، فقد اعتبر صفقة الطائرات بمثابة اخلال بوعد اميركي اعطي له في الماضي · «ان خرق وعد رئاسي بتصديق من الكونغرس، هو ظاهرة خطيرة جدا ، ولا سابقة لها تقريبا ، في العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة ··· وهذا [الخرق] يضع علامة استفهام واسعة على كل وعد نحصل عليه من رئيس اميركي في المستقبل » (المصدر نفسه) ·

ويلاحظ ان الاستياء الذي عكسه رد الفعل الاسرائيلي الرسمي ، قد جاء مقرونا بطلبات عسكرية كثيرة من جانب اسرائيل « للتعويض عليها » ، مما دفع الادارة الاميركية الى « تأخير التصديق على طلبات اسرائيلية للسلاح ، حتى تعود اسرائيل وتفحص من جديد مفهومها القائم وراء هذه الطلبات ، وتلائمه مع فترة الهدوء والتسويات في المنطقة » (يوئيل ماركوس ـ هآرتس ، ٢٨ـ٥ـ ٧٨) ·

« تغيير جوهري في العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية » : اقتصرت ردود الفعل الاسرائيلية على صفقة الطائرات على ابراز النتائج السياسية والعسكرية ، واثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل · ويلاحظ من خلال ردود الفعل هذه ، ان هناك شبه اتفاق بين الاسرائيليين ، على ان تغييرا ما لغير صالح اسرائيل قد حدث على الصعيد الاميركي ، اساسه علاقات الولايات المتحدة مع الدول العربية الموالية للغرب، وتعلقها بالنفط والمال العربي ، خاصة السعودي · « لقد اصبحنا بعيدين عن تلك الايام ، التي وقع فيها ٧٦ نائبا في الكونغرس على وثيقة احتجاج ضد سياسة كيسنجر · لقد مرت ثلاث سنوات تقريبا منذ ذلك الوقت ، وليس مركزنا في الكونغرس هو الذي تضعضع فقط ، وبصورة مقلقة ، وانما اخذ مركز اللوبي العربي يزداد قوة · وثمة اسباب عديدة لهذا الانقلاب ، اهمها : اولا ، الاهمية المتزايدة للسعودية في الولايات المتحدة ، كمصدرة للنفط وحليفة ذات قوة كبيرة في السوق المالي العالمي : ان الاموال التي تستثمرها السعودية في الولايات المتحدة ، تساعد على الحفاظ على اسعار النفط في مستواها الحالي ، وبالاضافة الى ذلك تشكل حماية للدولار ، الذي بدا يظهر علامات ضعف في الآونة الاخيرة···

ثانيا ، ان شعبية السادات القوية منذ زيارته الاخيرة لواشنطن ـ بالاضافة الى زيارته التاريخية للقدس ـ قد اثرت ايضا · فالنواب الاميركيون يترددون جدا قبل القيام بأية خطوة من شأنها المس بمركز الرئيس المصري الدولي والعربي · ثالثا، ينبغي الا نتناسى الحقيقة ، وهي ان هبوط شعبية اسرائيل ناتج ايضا عن سياسة

حكومة بيغن في عدة مجالات ، خاصة فيما يتعلق بالاستيطان » (اريئيل غيناي ـ يديعوت احرونوت ، ١٤ـ٥ـ ٧٨) ٠

على اي حال ، فان الاعتقاد السائد هو ان ادارة كارتر ارادت ان تجعل من هذه الصفقة « محكا لسياستها في الشرق الاوسط ، ولزعامة الرئيس كارتر» (عيدو ديسنتسيك ـ معاريف ، ١٤ـ٥ـ ٧٨) ٠ لذلك وجدت من المناسب التغلب على اللوبي اليهودي ، الذي يمثل قوة اسرائيل ونفوذها في الولايات المتحدة ، وقد نجحت في ذلك بواسطة تقرير صفقة الطائرات في الكونغرس ٠

ان النتيجة السياسية الهامة التي توصل اليها المعلقون الاسرائيليون ، ان هذه الصفقة تعبر عن تغيير جوهري في العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وتفوح منها رائحة التخلي وعدم الثقة ٠ انها خطوة اخرى في الجهد المنهجي والموجه الذي تقوم به الادارة الاميركية الحالية لتقزيم اسرائيل ، سواء في الوسط الشرق ـ اوسطي او في الوسط الاميركي ٠

« لقد اوضحت الادارة الاميركية لاسرائيل ولاصدقائها ، ان عليها ان تعود الى مقاساتها الطبيعية » ـ التي تصغر جدا عن مقاساتها الحالية ، الاقليمية ، العسكرية والسياسية ـ وعليها ان تتكيف على التعيش كدولة اقلية صغيرة في الشرق الاوسط ، برعاية الولايات المتحدة، ورضى الدول العربية الكبيرة والغنية بالمناطق والنفط والسكان » (حجاي ايشد ـ دافار ، ١٨ـ٥ـ٧٨) ٠ ويدعي اصحاب هذا الرأي ان صفقة الطائرات ليست سوى مؤشر لمزيد من التراجعات في السياسة الاميركية امام المطالب العربية ، على حساب مصالح اسرائيل في اميركا ٠ ويبدو ان هذا الرأي مبالغ فيه جدا ، خاصة وان اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ، ما زال قويا يمتلك مجالات عمل واسعة ٠ « وليست هناك اية حاجة للافتراض بأن [الصفقة] هي فشل ذريع للمسألة الاسرائيلية ، او انها سحب البساط من تحت اقدام اسرائيل في الولايات المتحدة ٠٠٠ فالتأكيد الاساسي لاسرائيل ما زال على حاله ، ولكن ليس كأحتكار ، وليس على حساب المصالح الاميركية ٠ وعلى اسرائيل ان تكون حساسة تجاه هذا الامر ، تماما كما تطالب واشنطن بان تظهر حساسية تجاه قضاياها ٠ فالنفط وثبات الدولار لا يقلان اهمية بالنسبة للولايات المتحدة ، من الحدود الآمنة لاسرائيل ٠ وعلى اسرائيل ان تظهر حساسية تجاه المصالح الاميركية لاعتبار اخر : فقد رأينا بأية سهولة يمكن ان يتطور الحديث حول اللاسامية الى افعال ، وبأية سهولة يمكن ان يجد اليهود الاميركيون انفسهم في وضع صعب ٠ فاللوبي اليهودي غير قادر على كل شيء ٠ وقوته متعلقة بعدالة قضيتنا ٠٠٠ وعندما نطالب بتأييد شعبي علينا ان نبرهن على ان طلباتنا اخلاقية، وقد اثيرت خلال الاشهر الاخيرة ـ بفضل عمليات الاستيطان ، والتغيير الفجائي في موقفنا التقليدي من القرار ٢٤٢ ، والادعاءات حول حقوقنا التاريخية في الضفة ـ شكوك كثيرة حول عدالة موقفنا ٠

« ان الدرس الاهم [لصفقة الطائرات] ٠٠٠ هو ان الكونغرس منح تأييده لسياسة كارتر الشرق اوسطية ، ووافق على المفهوم القائل ان من الواجب انشاء معسكر معتدل في المنطقة بسبب اوضاع عالمية ٠ اي انه ينبغي وضع

حد للحرب ، وتشجيع اقامة خط معاد للاتحاد السوفييتي وحليفاته في المنطقة · والحكم الاميركي يريد ان يضمنا الى هذا المعسكر ، وليست هناك دلائل تشير الى رغبته بالتضحية باسرائيل من اجل الاسراع في انشاء هذا المعسكر » (يوئيل ماركوس ـ هآرتس ، ١٩ـ٥ـ٧٨)

اضافة الى النتائج السياسية لصفقة الطائرات ، انصب الاهتمام الاسرائيلي ، على النتائج العسكرية ايضا ، حيث اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي عيزر فايتسمان ، ان على اسرائيل الاهتمام بكيفية معالجة قضية الطائرات عسكريا ، في حال اضطرارها لذلك في المستقبل (معاريف ، ١٧ـ٥ـ٧٨) · كذلك تطرق وزير الدفاع السابق بيريس الى الخطر العسكري لصفقة الطائرات بقوله : « ان الخطر على تل ابيب لا يتوقع فقط من عمليات القصف المدفعي من الضفة الغربية ، وانما من قصف الطائرات طويلة المدى ايضا ، التي تستطيع قطع كل المجال الجوي في منطقتنا خلال بضعة دقائق · اضف الى ذلك ، فان المفهوم الامني في اسرائيل ، ارتكز دائما على قيام تفوق جوي اسرائيلي ، سواء من اجل حماية اجواء اسرائيل ، او ردع العدوان من الخارج · وما حدث ، بعد التصديق على صفقة الطائرات ، هو تجاهل الحاجة الى الحفاظ على التفوق الجوي في اسرائيل ، وذلك من اجل المحافظة على ميزان القوى في الشرق الاوسط · والمشكلة لا تتمثل في تزويد مصر والسعودية باعداد كثيرة من الطائرات ، وانما في حصول السعودية على طائرات مقاتلة طويلة المدى ، سريعة ، ودقيقة ـ وهي احدث طائرة تعمل في اجواء الشرق الاوسط ، وهناك من يقول ـ في العالم كله » (شمعون بيريس ـ يديعوت احرونوت ، ١٩ـ٥ـ٧٨) ·

مؤتمر وزراء خارجية حلف الاطلسي تراجع عن اتخاذ قرار « معاد » لاسرائيل :

نجحت اسرائيل في منع اتخاذ قرار لغير صالحها في مؤتمر وزراء خارجية بلدان حلف شمال الاطلسي ، الذي عقد في واشنطن في اواخر شهر ايار الماضي · وقد جندت اسرائيل لهذه المهمة جميع ممثليها في عواصم تلك البلدان ، لبذل جهد ديبلوماسي واعلامي ، لمنع اتخاذ قرار ينص على وجوب انسحابها على جميع الجبهات حسب قرار مجلس الامن ٢٤٢ · « وقد علم ايضا ان القرار الذي كان سيصدر عن المؤتمر ، يتحدث حول الحاجة الى حل المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها ، بشكل يضمن اعترافا بالحقوق الشرعية للفلسطينيين ، ويمكنهم من المشاركة في تقرير مستقبلهم » (يديعوت احرونوت ، ٢٩ـ٥ـ٧٨) : وبفضل الضغط الاسرائيلي ، اصدر المؤتمرون في النهاية قرارا يكتفي بدعوة دول الشرق الاوسط ، الى بذل المزيد من الجهود ، من اجل الوصول الى سلام عادل ودائم في المنطقة · « فكما كان متوقعا ، جاءت الفقرة المتعلقة بقضية الشرق الاوسط في القرار ، عامة جدا في صياغتها ـ حسب الاتفاق الذي تم بين وزير الخارجية الاميركي والسفير الاسرائيلي سيمحا دينيتس »· (يديعوت احرونوت ، ١ـ٦ـ ٧٨) ·

حنه شاهين

II

التدهور في العلاقات الاسرائيلية ـ الاوروبيـة

العلاقات السياسية

ان التدهور في العلاقات الاسرائيلية ـ الغرب أوروبية ، وخاصة دول السـوق الاوروبية المشتركة السائد الآن ، كان قد بدأ بالفتور الذي ساد علاقات هذه الـدول باسرائيل ، ابان وفي اعقاب حرب تشرين عام ١٩٧٣ والحظر النفطي الذي رافـق هذه الحرب ، لما جره على اوروبا الغربية من ضرر اقتصادي كاد يصل الى حـد الكارثة لو استمر بضعة أشهر اخرى ·

وقد تجلى هذا الفتور اول ما تجلى فـي البيان الذي أصدرته المجموعة الاوروبية آنذاك ، والذي دعت فيه لاول مرة لاحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، اذ كان قد ورد في هذا البيان انه « للوصول الى سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط، لا بد من احترام الحقـوق المشروعـة للفلسطينيين » (معاريـف ٧ـ٧ـ١٩٧٧ ودافار ٢٢ـ٨ـ١٩٧٧) ·

أما الخطوة الثانية في عملية التدهـور هذه ، فقد تجلت في كلمة سفير ايطاليـا لدى الامم المتحدة بييرو فينتشي ، الـذي تحدث باسم دول السوق الاوروبية فـي الجمعية العمومية لعام ١٩٧٥ ، حيث جـاء في كلمته التي القاها آنذاك انه « لا بد من الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بالتعبير عن هويته القومية » (دافار ٢٢ـ٨ـ٧٧) · ثم تلاه ماكس فان دراستـول وزيـر خارجية هولندا في كلمته عن الشـرق الاوسط أمام الجمعية العمومية لعـام ١٩٧٦ ، اذ اكد على ان « الحل للنـزاع في الشرق الاوسط يكون ممكنا فقـط ، اذا ما ترجمت الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في التعبير العملي عن هويتـه القومية للغة الواقع » (المصدر نفسه) ·

وعلاوة على ذلك ، فقد كان مندوبـو المانيا الغربية وبريطانيا وفرنسا ـ وهي الدول الرئيسية في المجموعة الاوروبية ـ اكثر وضوحا في تحديد موقف دول السوق الاوروبية من قضية الشرق الاوسط ، في كلماتهم امام الجمعية العمومية لنفـس العام · فوزير الخارجية الالماني الغربي ، تحدث عن « الاخذ بعين الاعتبار حـق تقرير المصير للشعب الفلسطيني » بالاضافة الى « حقه في اقامة سلطة وطنية » (المصدر نفسه) ، ثم تلاه الوزير البريطاني انتوني كروسلاند فتحدث عن « مساحة من الارض للفلسطينيين ، ليست بالضرورة دولـة مستقلة ، وانما مكان يستطيعون فيـه الاهتمام بمشاكلهم » (المصدر نفسه) ·

اما لوي دي ـ غرينغو ، وزير الخارجية الفرنسي ، فقد تحدث عن « الحتمية فـي

حق الشعب الفلسطيني في وطن لـه » مضيفا أنه « لا يمكن ان يكون ثمة حـل للنزاع في الشرق الاوسط ، بدون ترجمة حق الشعب الفلسطيني في التعبير عـن هويته القومية الى لغة الواقع » ثم تساءل « ولكن كيف يمكن لنا ان نطبق هذا الحق دون قاعدة اقليمية ، تستطيع مع الوقـت ان تتخذ قالب الدولـة ؟ » (دافـار ٢٢ـ٨ـ٧٧) ٠

وقد شكلت هذه المواقف المنسجمة لدول المجموعة الاوروبية في الجمعية العمومية ، اساسا للبيان الذي نشرته دول السـوق المشتركة التسع كجسم سياسي واحد ، في كانون أول عام ١٩٧٦ ، والذي جاء فيـه ان « تجسيد حق الشعب الفلسطيني فـي التعبير الفعلي عن هويته القومية ، قـد يشتمل على قاعدة اقليمية في اطار الحل الذي ستحققه المفاوضات » (المصـدر نفسه) ٠

وفي المؤتمر التالي الذي عقده وزراء خارجية الدول التسع في كانون ثانـي عام ١٩٧٧ في لندن ، في اطار اللقـاءات النصف سنوية لرؤساء دول السوق ، وفي اطار المباحثات الدورية لوزراء الخارجية الغرب اوروبيين ، كانـت المبـادىء الاساسية التي وضعت للبيان النهائـي ، تقضي ضمن ما قضت انه « يتوجب عـدم الموافقة على امتلاك مناطق بالقوة » وانه « يتوجب على اسرائيل الانسحاب مـن مناطق احتلت في حزب عـام ١٩٦٧ » (معاريف ٢٩ـ٦ـ٧٧) ٠ كما واعتـرف البيان « بحق الوجود لكل دول المنطقـة داخل حدود آمنة ومعترف بها ، من خلال اعطاء ضمانات ملائمـة » (المصـدر نفسه) ٠ أما في الموضوع الفلسطينـي نفسه ، فقد جاء في البيان بأنه « يجـب تأمين تمثيل فلسطيني في مؤتمر جنيف » وتحدث عن « اعطاء وطن للفلسطينييـن بشكل عام وغامض » (معاريف ٢٩ـ٦ـ٧٧) ٠

وكان هذا البيان الـذي منـع نشره الرسمي بسبب التدخل الاميركي ، بعـد تسرب المعلومات المسبقة من لندن عـن النية في أصداره ، « بمثابة القاسـم المشترك الادنى للدول التسع الاعضـاء في المجموعة الاوروبية ٠ اذ ان هذه الدول كانت قد تحدثت بشكل منفرد عن تغييرات سياسة اكثر حدة ـ مثل التعريف الالماني بشأن الحاجة الى اقامة كيان فلسطيني » (معاريف ٢٩ـ٦ـ٧٧) ٠ أو مثل الوثيقة المشتركة التي وقع عليهـا الايطاليـون والسوفييت والتي تتحدث عن « الحقـوق المشروعة للشعب الفلسطيني » (المصدر نفسه) ، ولكنهم عندما اجتمعوا لـم يكونوا مستعدين للموافقة الا على هـذه الصيغة ٠

وقد علل التدخل الاميركـي الذي أدى الى تجميد البيان في حينه « بالرغبـة لخلق جو سياسي مريح ـ سـواء فـي الولايات المتحدة أو في اوروبا الغربية ـ استعـدادا لزيـارة رئيس الحكومة الاسرائيلية السابق اسحق رابين الـى واشنطن » (المصدر نفسه) ، عشية الانتخابات الاسرائيلية ، والحقيقـة ان الاميركيين كانوا قد تخوفوا من نشر هذا البيان ، الذي كان « يتضمن تغييرا فـي الاسلوب السياسي الذي تتكلم بـه دول غرب اوروبا ، بالنسبة لموضوع الشـرق الاوسط » (المصدر نفسه) ٠

وكانت اسرائيل قد « حاولت مـن ناحيتها اقناع الدول التسع بأن تبقـى خارج الصورة » (المصدر نفسه) ، بطرحها عدة اسباب بينها ان : اوروبا « لا تستطيع ان تكون مشاركة في عمليـة الصراع الشرق اوسطي كالولايات المتحدة » ، بل

وغير قادرة على تقديم « خدمات كتلك التي تقدمها الولايات المتحدة للاطراف المتنازعة ، عند المحادثات حول حلول ـ جزئية » ، وان « البيانات الاوروبية تعزز موقف المتطرفين في العالم العربي فقط » · (المصدر نفسه) · كما وادعت اسرائيل أيضا ، بأن ليس في اقوال الاوروبيين أي « تجسيد لتسوية الخط مع الولايات المتحدة ، على صعيد البيانات السياسية ، لان أوروبا تتناسق معها في الموضوع الفلسطيني فقط · ولكنها لا تتبنى الصيغة الاميركية بالنسبة لماهية السلام ، أو التمييز بين حدود أمنية وبين حدود سياسية » (معاريف ٢٩ـ٦ـ٧٧) ·

ولكن محاولات الاقناع التي قامت بها اسرائيل ، لم تنجح ، والتدهور في العلاقات الاسرائيلية ـ الغرب أوروبية ازداد حدة ، وحصل على دفعة اخرى بارزة خلال نصف السنة التي مرت بين مجلس رؤساء الحكومات الاوروبية في نهاية كانون ثاني ١٩٧٧ وبين المجلس الذي تلاه في ٢٩ـ٦ـ٧٧ ، وذلك لعدة اسباب أهمها :

١ ـ انتقال الحكم من حزب العمل « الاشتراكي » الى حزب الليكود اليميني ·

٢ ـ صورة بيغن كسياسي متطرف لدى الوعي الشعبي والسياسي الاوروبي ·

٣ ـ البيانات التي صدرت عن الحكومة الاسرائيلية الجديدة ·

٤ ـ الازمة الاقتصادية في أوروبا ·

٥ ـ التغيرات في موقف أميركا من منظمة التحرير الفلسطينية ·

فبعد الوهلة الاولى لانتصار الليكود في الانتخابات الاسرائيلية ، أفاقت اوروبا من ذهولها قليلا نظرا لنتائج هذا الانتصار على الوضع في الشرق الاوسط ، و « الخوف من تجدد القتال ظهر ثانية بكل ثقله وقد اطل من خلفه كابوس دمار الاقتصاد الاوروبي المنهار تحت وطأة حظر نفط جديد ، اذا لم يكن تحت وطأة حرب ينجر اليها العالم مع نشوب الاعمال العدوانية في الشرق الاوسط » (هآرتس ١٢ـ٩ـ٧٧) وخاصة بعد تلك التصريحات المتطرفة ، التي صدرت عن مناحيم بيغن اثر فوزه في الانتخابات مباشرة ، وعن حكومته الجديدة منذ اليوم الاول لتشكيلها ·

ولذلك ، فقد عاد وزير الخارجية الفرنسي لوي دي ـ غرينغو وطالب في مؤتمر وزراء الخارجية الاوروبيين الذي انعقد في لندن في ٢١ـ٦ـ٧٧ ـ في اليوم التالي تماما لتقديم مناحيم بيغن حكومته الجديدة امام الكنيست الاسرائيلي في ٢٠ـ٦ـ٧٧ ـ ببحث الوثيقة الشرق أوسطية التي جمدت بفعل الضغط الاميركي · وكانت الصيغة التي اقترحتها فرنسا اكثر حدة من تلك التي اقترحت في المؤتمر الذي انعقد في كانون ثاني ١٩٧٧ ، اذ لم تعد المسألة هي « التأييد لمبدأ الكيان الفلسطيني فقط ، وانما التأييد الصريح لحق الفلسطينيين في وطن » (يديعوت احرونوت ٤ـ٧ـ٧٧) ·

وكان أحد المتحمسين جدا للصيغة الفرنسية وزير خارجية المانيا الغربية ديتريش غينشار ، الذي كان قد عاد لتوه من جولة في الدول العربية برأي مبلور بأنه « لا يمكن الوصل الى اي حل في الشرق الاوسط دون حل المشكلة الفلسطينية » (المصدر نفسه) وهذا بحد ذاته « يعد تبنيا للخط العربي القائل : ان الحل يجب ان يكون في اطار المناطق المحتلة التي في يد اسرائيل » (يديعوت احرونوت ٤ـ٧ـ٧٧) ·

أما بريطانيا فكانت قد ضمت صوتا اخر للفرنسيين ، في القرار الذي كان

آخذا في التبلور ضد اسرائيل ، بعد ان وجد رئيس الحكومة البريطانية جيمس كالاهان ـ الذي كان يتحدث في الماضي وفي كل مناسبة عن صداقته الشخصية لاسرائيل ، النابعة من العلاقات الوثيقة مع حزب العمل الاسرائيلي ـ نفسه « أقل التزاما تجاه مناحيم بيغن وحكمه ، ناهيك عن تصريحات بيغن ضد الصحافة البريطانية التي هاجمته ، مما زاد من الاحساس بالمرارة في لندن تجاه الحكم الاسرائيلي الجديد » (المصدر نفسه) مما دعا بريطانيا الى « التأخر في ارسال برقية التهنئة لبيغن لفوزه في الانتخابات ، وتأجيل زيارة وزير الخارجية البريطانية ديفيد أوين التي كانت مقررة لاسرائيل » (المصدر نفسه) ٠

بل واكثر من التغيير في الخط البريطاني ، فوجىء الدبلوماسيون الاسرائيليون ، بالاصوات الاخرى التي سمعت في « هيج » ، عاصمة هولندا صديقة اسرائيل التقليدية ، اذ عبر رئيس حكومتها الاشتراكي يوف دان ـ أويل ، عن « تأييده هو الاخر لحقوق الفلسطينيين في تقرير المصير » ٠ (المصدر نفسه)

وهكذا ففي نهاية المحادثات التي تمت في اطار المجلس الاوروبي في لندن ٢٩ـ٦ـ٧٧ ، اصدر رؤساء دول السوق الاوروبية المشتركة ، بيانا سياسيا مشتركا في موضوع الشرق الاوسط ، اكثر حدة من البيان السابق الذي لم ينشر ، اذ انه يشتمل على « التأييد لمبدأ الوطن للفلسطينيين » الذي يشكل في رأيهم « شرطا اساسيا لكل حل في الشرق الاوسط ، ورفضا للاحتفاظ بمناطق محتلة » (يديعوت احرونوت ٤ـ٧ـ٧٧ ، ومعاريف ٧ـ٧ـ٧٧) ٠

فهذه الصيغة الحادة لقرار «التسع» ، كانت قد أثارت « رؤى قاسية بالنسبة لمستقبل علاقات اسرائيل مع دول غرب اوروبا » (المصدران نفسهما) ٠ اذ أنها لا تشتمل على السياسة الاميركية الجديدة « وتتبنى عناصرها الثلاث بالنسبة لماهية السلام ، وحدود المستقبل ، والمشكلة الفلسطينية » (معاريف ٧ـ٧ـ٧٨) ، وحسب ، وانما تتعداها بموقفها الذي لا يقبل التأويل ، فالاميركيون تحدثوا في بيان وزارة الخارجية الاميركية ، الذي صدر في ٢٦ـ٦ـ٧٧ ، عن القرار ٢٤٢ بمفهوم « مناطق محتلة » ، وليس « المناطق المحتلة » ، الا ان بيان السوق الاوروبية ينص صراحة على « وضع حد لاحتلال المناطق (بأل التعريف) » (المصدر نفسه) ، كما ان الاميركيين لم « يقرنوا فكرة الوطن مع الشعب الفلسطيني وانما اكتفوا في التعبير ـ فلسطينيون ـ » ، بينما تحدثت دول السوق عن « الشعب الفلسطيني وعن هوية قومية » (يديعوت احرونوت ٤ـ٧ـ٧٧ معاريف ٧ـ٧ـ٧٧) ٠

وتفسر صحيفة « يديعوت احرونوت » هذه المواقف بقولها « لولا الضوء الاخضر من واشنطن ، لما كان غينشار ، ودان ـ أويل ، واندريوتي ،وحتى ديستان يخرجون بمثل هذا التصريح المتطرف ضد اسرائيل » (٤ـ٧ـ٧٧) ، وهكذا تكون اسرائيل قد وقفت « ولاول مرة منذ عهد ديغول ، امام جبهة أميركية ـ أوروبية مشتركة ومنسقة ، تحد الى حد كبير من حرية المناورة للدول الصغيرة في العالم الغربي » (معاريف ٧ـ٧ـ٧٧) ٠

ثم جاءت مبادرة السادات وزيارته لاسرائيل بعد أربعة اشهر من بيان دول السوق الاوروبية ، لتزيد من الانجراف الاوروبي ضد اسرائيل ، ففي المؤتمر الدوري الذي عقده وزراء الخارجية للدول الاوروبية التسع في كوبنهاجن في نهاية عام ١٩٧٧ ، اظهروا ما كان « قد أصبح حقيقة سياسية صعبة ، وهي كل

دول غرب أوروبا تؤيد الان المطالب والمواقف العربية في المواضيع الثلاثة المركزية ، التي تختلف عليها اسرائيل مع السادات ، ومع سائر الدول العربية المعتدلة » (دافار ١٦-٢-٧٨) · فقد اعرب المؤتمر عن « معارضته لسياسة الاستيطان التي تتبعها حكومة اسرائيل » (المصدر نفسه) ·

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل تلا هذا المؤتمر بعد ذلك ، اجتماع زعماء دول السوق الاوزوبية في بروكسل في ٥-٢-٧٧ ، للبحث في مبادرة السادات « السلمية » ، الا ان تطورا مفاجئا أجل البحث في بند الشرق بناء على طلب من رئيس حكومة بريطانيا جيمس كالاهان الذي « طالب رفاقه بأن لا يجروا البحث » (يديعوت احرونوت ٤-٤-٧٨) · وكان كالاهان قد اطلع زعماء غرب اوروبا على التطورات الاخيرة في المفاوضات الاسرائيلية ـ المصرية · وكشف النقاب عن جزء من الاسرار السياسية التي اطلعه عليها مناحيم بيغن ابان زيارته الرسمية لبريطانيا في ٢-١٢-٧٧ قبل يومين من انعقاد المؤتمر ، حيث طالب كالاهان « التدخل لدى رفاقه الاوربيين للوقوف على الحياد » (يديعوت احرونوت ٢١-١٢-٧٧) · وقد كشف كالاهان عن تفاصيل أولية من مخطط السلام الذي طرحه بيغن ، ومن ضمنها « نية اسرائيل الانسحاب من سيناء ومخططها في اعطاء حكم ذاتي لسكان الضفة الغربية والقطاع » (دافار ١٦-٢-٧٨) ، مما دعا الى استجابة زعماء السوق الاوروبية بالاجماع لدعوته ، في ان « لا تتدخل السوق في عملية السلام في الشرق الاوسط » (يديعوت احرونوت ٢١-١٢-٧٧ ، دافار ١٦-٢-٧٨) ·

الا ان اوروبا الغربية ، سرعان ما رأت نفسها محررة من الوقوف على الحياد ، اثر اصطدام عملية السلام بطريق مسدود ، بعد فشل قمة الاسماعيلية المصرية الاسرائيلية في ٢٥-١٢-٧٨ ، مما دعا رئيس الحكومة البريطانية جيمس كالاهان نفسه للتصريح : « نحن نفهم مشاكل اسرائيل الامنية ، ولن نكون مستعدين لتأييد أية اتفاقية لا تضمن أمنها · ولكننا لا يمكن ان نفهم ان حفنة من المستوطنات المدنية سوف تضمن الحدود الجنوبية ، في الوقت الذي فيه لمصر نوايا صادقة في السلام ، بل والسادات يقترح برنامج الست نقاط لتنظيم الامن » (معاريف ٤-٤-٧٨) ·

أما الدفعة الجديدة لعملية التدهور في العلاقات بين اسرائيل واوروبا الغربية ، فقد كانت اثر الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان اذ « بعد أيام قليلة من عملية الطريق الساحلي فقط ، جفف الزعماء الغربيون دموع التماسيح التي سكبوها على ضحايا الكارثة في اسرائيل ، وانتقلوا لمهاجمة عمليتها في جنوب لبنان ، وانهالت التنديدات العنيفة من معظم العواصم الاوروبية » (يديعوت احرونوت ٤-٤-٧٨) · واكثر من ذلك فقد وجد هذا التدهور « التعبير عنه في ردود فعل الحكومات الاوروبية على طلب اسرائيل اغلاق مكاتب م·ت·ف » ، وخاصة ما جاء في رد وزير الخارجية البلجيكي ، ورئيس مجلس وزراء خارجية أوروبا ، سيمونا ، الذي « اجاب بفظاظة » بأن « ليست هذه هي الطريقة التي نحل بها المشكلة الفلسطينية » (المصدر نفسه) ·

العلاقات الاقتصادية

اما بالنسبة للعلاقات الاقتصادية مع دول السوق الاوروبية ، فقد تأثرت تأثرا مباشرا بهذا التدهور في العلاقات

السياسية · اذ ان « كل من هو على اطلاع على شبكة علاقات اسرائيل مع السوق ، يعرف ان المسافة بين السياسة والاقتصاد قصيرة جدا » (دافار ١٢-٢-٧٨) · وقد عبر عن ذلك مدير قسم الاعلام في مندوبية السوق المشتركة، كلاوس هلدروف ، حين ذكر للصحافيين الاسرائيليين « في بروكسل في اوائل عام ١٩٧٨ » بان « القرارات في الشؤون الاقتصادية ، يتخذها الاشخاص الذين يأخذون بعين الاعتبار من يقرر مستقبلهم السياسي » (دافار ١٢-٢-٧٨) · وهذا هو « الموقف الرسمي للسوق ، وعلينا ان لا ننتظر اي تقدم في المستقبل ، وخاصة في مجال الزراعة ، التي لا يزال المصدرون الاسرائيليون يدفعون الجمرك الكامل على الكثير من منتجاتها » (المصدر نفسه) ·

ولذلك فان « النتيجة العملية لكل الاتفاقات التي وقعتها اسرائيل مع دول السوق الاوروبية في بروكسل في ٨-٢-٧٧ ، للتعاون العلمي والاقتصادي والصناعي والمالي ، كانت حتى اليوم ضئيلة جدا » (المصدر نفسه) ·

وتعزو اسرائيل هذا التدهور في المجال الاقتصادي مع دول السوق الاوروبية ، الى الضغوط التي يمارسها العرب على دول السوق ، « للضغط على اسرائيل في الحقل الاقتصادي » (يديعوت احرونوت ٤-٤-٧٨) ، مستغلين في ذلك موضوع النفط ، الذي « يبعث القشعريرة في جسم الاوروبيين بمجرد ذكره » (المصدر نفسه) · مما يضطرها لارضاء العرب « والمحافظة على علاقات طيبة معهم ومساعدتهم » (هآرتس ١٢-٢-٧٨) ، بل وأجرت « التسهيلات الكريمة ، وخاصة لدول المشرق مصر وسوريا والاردن ولبنان » (المصدر نفسه) ، في الاتفاقات التي وقعتها مع الدول العربية قبل عام ، والتي « ساوت فيها بينها وبين اسرائيل » (دافار ١٢-٢-٧٨) ·

وكانت دول السوق قد منحت الدول العربية بموجب هذه الاتفاقيات ، « تخفيضا جمركيا بنسبة ١٠٠٪ على منتجاتها الصناعية للمجموعة الاوروبية » ، اما الصادرات الزراعية ، فقد حظيت « بتخفيض جمركي بنسبة ٤٠٪ - ٨٠٪ » ، كما « لم تلزم الدول العربية بالغاء الجمارك على المستوردات من دول المجموعة الاوروبية بالتدريج ··· وذلك خلافا لاسرائيل التي الزمت بذلك » (المصدر نفسه) ·

اما في المجال المالي فثمة « تفريق اكثر بروزا ···· فمقابل قرض بمبلغ ٣٧ مليون دولار لاسرائيل منحت المجموعة الاوروبية ٢٢٠ مليون دولار للدول العربية، وهبة أخرى بمبلغ ١٢٥ مليون دولار » (هآرتس ١٢-٢-٧٨) ·

توفيق فياض

قضايا دولية

ربما لم يكن الموقف على المسرح العالمي مشحونا بالتوتر منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ كما هو خلال الاسابيع الاخيرة ٠

فعلى الرغم من اختلاف معطيات الموقف على مسرح العلاقات الدولية اختلافا كبيرا عما كانت عليه في ذلك الوقت من عام ١٩٧٣ ، وخاصة فيما يتعلق بأولويات المشكلات العالمية المطروحة كمجال للتحركات الدولية ، الا ان حدة التوتر العالمي في الاسابيع القليلة الاخيرة تكاد تصل الى الحد الذي سبق ان بلغته ، عندما ارتفعت حرارة الاحتكاك بين الكتلتين المتصارعتين في العالم ذروة خاصة أدت بالولايات المتحدة في اثناء حرب الشرق الاوسط الاخيرة ، الى اعلان حالة التأهب القصوى في جميع قواعدها داخل الولايات المتحدة وفيما وراء البحار (بما في ذلك القواعد النووية) ٠

وفي الظروف الراهنة ، وعلى الرغم مما قد يبدو من تراجع ازمة الصراع العربي ـ الاسرائيلي في الشرق الاوسط امام أزمات اخرى في الاهتمامات الدولية ـ مثل أزمة القرن الافريقي او الصراع الدائر في شابا (زائير) ـ الا ان مؤثرات ازمة الشرق الاوسط تبدو كامنة وراء كثير من مظاهر التوتر القائمة ٠ وبتعبير اوضح فان كثيرا من الاطراف المتصارعة على المسرح العالمي ـ تخوض صراعات متعددة في مناطق من العالم قد تبدو جغرافيا بعيدة عن الشرق الاوسط ٠ ولكنها في الحقيقة قريبة منها للغاية استراتيجيا : اي اقتصاديا وامنيا بالدرجة الاولى ٠

ولا يعني هذا بطبيعة الحال ، انه لا توجد في الاساس على مسرح الصراعات الدولية غير أزمة الشرق الاوسط وان كل الصراعات الاخرى هي فروع وروافد لها ٠ انما الذي نعنيه هو ضرورة التنبه الى حضور أزمة الشرق الاوسط في التحركات العالمية المختلفة ٠٠ سواء كان هذا الحضور بالسلب او بالايجاب ٠

وعلى سبيل المثال فان الصراع المتجدد في « شابا » ـ الذي قد لا يكون في نواته الاساسية غير صراع داخلي يفجره فساد وانحطاط نظام موبوتو في زائير ، صراع طرفاه الرئيسيان زائيريان بالدرجة الاولى والاخيرة ـ يتحول مع التدخلات الخارجية (حقيقية ومزعومة) الى صراع عالمي توظفه الاطراف العالمية الغربية لما يتجاوز اهداف الحفاظ على مناجم شابا ونظام موبوتو الذي يكفل استمرار الشركات الغربية في استغلالها٠

فان ادخال اطراف من الشرق الاوسط (العربي) في هذا الصراع يؤكد وجود اتصال ـ لا انفصال ـ بين ما يجري في شابا وما يخطط بالنسبة للشرق الاوسط٠

كذلك ـ وعلى سبيل المثال أيضا ـ فان ما تكشفه الصراعات العديدة (التي تتمركز في الفترة الاخيرة في أفريقيا اكثر من غيرها) عن اعادة تشكيل للتحالفات الكبرى والصغرى في العالم ، ينبه بدوره الى ضرورة اعتبار معايير جديدة في قياس مواقف اطراف كبرى وصغرى ازاء القضايا العالمية ، بصفة خاصة قضية الشرق الاوسط ، وبصفة عامة قضايا التحرر الوطني والاجتماعي · فان ظهور الصين الشعبية على مسرح الاحداث الافريقية حليفا لنظام موبوتو ، منسقا للنشاط العسكري والسياسي والدبلوماسي والاقتصادي مع دول الغرب ـ مع دول حلف الاطلسي على وجه التحديد ـ يشكل تصعيدا جديدا في تحول اتجاهات السياسة الخارجية الصينية من مستوى المساواة بين « الامبريالية الاشتراكية » (الاتحاد السوفياتي) والامبريالية الرأسمالية (الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان) الى مستوى التأييد للامبريالية الغربية والتنسيق معها ضد الاتحاد السوفياتي · وبطبيعة الحال فان مراقبة هذا التصعيد في تحولات السياسة الخارجية الصينية تظهر انها ليست وليدة احداث افريقيا الاخير ، وانما هي ظاهرة نامية ومتطورة على مدى السنوات العشر الماضية (على الاقل) · وتظهر أيضا ـ وهو الاهم ـ ان مؤشر هذه التحولات لا يمكن ان يقف عند حدود افريقيا دون ان يشمل بتأثيراته سياسات الصين الشعبية ازاء حركة التحرر العربية وقضيتها الاولى : فلسطين · وبالمثل لا يمكن فهم دلالات الصراع الجديد في شرق اسيا بين الصين وفيتنام ـ رفاق السلاح السابقين (وبعد الصراع الذي سبقه بين كمبوديا وفيتنام) بمعزل عن التحولات الجديدة المتصاعدة للسياسة الصينية ازاء افريقيا والشرق الاوسط واوروبا الغربية وأميركا اللاتينية ·

ويمكن ان نقول ان السبب الرئيسي وراء حدة التوتر التي تميز الوضع الدولي منذ فترة ، والتي بلغت مستوى لم تبلغه منذ خمس سنوات وربما اكثر ، هو ما يبدو من وجود عملية اعادة تشكيل للتحالفات، ليس فقط بما يبدو من انضمام الصين الى مؤيدي المعسكر الغربي بدرجة لم يسبق لها مثيل · انما بما يبدو ايضا من تجديد التحالف العسكري بين الولايات المتحدة وفرنسا · ذلك التحالف الذي كان قد مر بمرحلة توقف مع مدى الاعوام العشرة الماضية منذ انسحاب فرنسا من القيادة العسكرية لحلف شمال الاطلسي، وقبلها بفعل السياسة الاوروبية الاستقلالية الديغولية · كما يبدو في تشديد وتصعيد التحالف بين الاتحاد السوفياتي وكوبا الى المستوى الذي ظهر في دور كوبا الاممي في أفريقيا ، وخاصة منذ وقوفها الى جانب الحركة الشعبية لتحرير انغولا ضد الحركتين المدعومتين من الغرب في الحرب الاهلية الانغولية · وتجلى ـ في وقت اقرب ـ في المساعدات الفعالة التي قدمتها كوبا للنظام الثوري الاثيوبي في حرب صحراء « أوغادين » ضد الصومال ·

يضاف الى هذا عودة النظام الايراني الى انتهاج سياسة تنسيق عسكري مكشوف مع الغرب بعد سنوات حاول فيها نظام الشاه اصطناع « التوازن » عن طريق تدعيم علاقات اقتصادية مع الاتحاد السوفياتي ذهب فيها الى حد شراء الاسلحة منه · اذ يبدو الان ان سنوات الهدنة في العلاقات الايرانية ـ السوفياتية قد انتهت · وعادت ايران تمارس دورها كقاعدة متقدمة للعسكرية الاميركية ضد الاتحاد السوفياتي · وهو دور لا ينفصل

عن مسعى نظام الشاه لان يقوم بدور دولة كبرى مصغرة في الشرق الاوسط ضد الحركات الوطنية والثورة على امتداد الخليج العربي وغرب اسيا كله وحتى شرق افريقيا ·

وفي اطار اعادة تشكيل التحالفات على مسرح الصراعات العالمية لا بد من وضع التغير الذي طرأ على سياسة الهند بسقوط انديرا غاندي الانتخابي وصعود حزب « جاناتا » اليميني الى الحكم ، والتغير الاحدث الذي وقع في افغانستان، وهو تغير أخل بتوازنات غربية تعتمد على استقرار منطقة غرب اسيا وجنوب اسيا باعتبارها ـ من الناحية الاستراتيجية ـ المعبر العريض عن الشرق الاوسط الى الشرق الاقصى ، والعكس ، وهي المنطقة المحيطة بالنفط العربي والايراني ·

واذا كانت الاحداث الاخيرة ـ من افغانستان الى شابا ، والفاعلون في هذه الاحداث من كوبا واميركا في نصف الكرة الغربي الى ايران في الشرق الاوسط حتى الصين في الشرق الاقصى ـ قد برهنت على نتيجة اساسية فهي سقوط « الوفاق الدولي » بالمفهوم الغربي · فقد بنى الغرب ـ بزعامة الولايات المتحدة ـ علاقات « الوفاق » مع الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية على أساس ان هذا الوفاق وسيلة لتجميد الاوضاع حيث هي ملائمة للغرب ، ان لم يمكن تحريك الاوضاع العالمية والاقليمية باتجاه المصالح الغربية ـ الاستراتيجية والاقتصادية اساسا ـ حيث لا تكون ملائمة للغرب ، دون ان تسمح قواعد « الوفاق » بتدخل مضاد او بفعل عكسي من جانب المعسكر الاخر · ولا يعني هذا ان الولايات المتحدة « اكتشفت فجأة » خطأ مفهومها من « الوفاق » مع الاتحاد السوفياتي · انما يعني انها بدأت محاولات جديدة لفرض هذا المفهوم على خلفية من واقع عالمي لا سبيل الى التصرف ازاءه كما لو كانت كل الخيوط بأيدي الغرب ·ولهذا يتضح ـ كلما ازداد توتر العلاقات بين واشنطن وموسكو ـ ان واشنطن تنفذ ما يمكن اعتباره سياسة « ما بعد الوفاق » ، وهي السياسة المتمثلة على المستوى النظري بأطروحات زبغينو بيرجنسكي مستشار الرئيس الاميركي كارتر لشؤون الامن القومي . الذي يمكن اعتباره « كيسنجر ادارة كارتر » · وبعبارة اخرى فان اشتداد حركة الصراع وانعكاسها بالتوتر الشديد على العلاقات الدولية ، وخاصة بين « الدولتين الاعظم » خلال الشهر الاخير هي في المكان الاول انعكاس لوضع نظريات بيرجنسكي موضع التطبيق عن طريق « ربط اوروبا الغربية واليابان والصين بنظام تنسيق موحد في مواجهة الاتحاد السوفياتي » ، باعتباره النقيض الاساسي لمصالح الغرب ، والمقصود هو ، بطبيعة الحال ، مصالح الولايات المتحدة على وجه التحديد ·

وهكذا فان الاحداث الدولية التي واكبت حركة الصراع على مدى فترة الشهر المنقضية (حتى الاسبوع الثالث من حزيران) تفرض بطبيعتها زاوية الرؤية التي ينبغي النظر منها الى تلك الاحداث لفهمها مترابطة ومتداخلة ومتفاعلة فيما بينها · ولعل كلمة « الحرب الباردة » ، التي عادت تتردد في الاسابيع الاخيرة بأكثر مما ترددت في اي وقت منذ بداية فترة « الانفراج الدولي » في السياسة العالمية ـ تصف بدقة هذه الزاوية للنظر · فقد احتدمت الاتهامات والاتهامات المضادة ليس فقط بين « الدولتين الاعظم » ، انما بين كافة الاطراف الكبرى والصغرى على المسرح الدولي · وليس من قبيل التبسيط الممثل ابدا ان نقول ان اجواء « الحرب

الباردة » قد سيطرت على احداث الاسابيع الاخيرة ، ولا نعني بتلك الاجواء مجرد تبادل « الاتهامات » ، انما الصراعات الاقليمية التي التهبت بشكل خاص في افريقيا وشرق اسيا ، وكذلك الانتفاضات الداخلية التي وجدت طريقها الى بعض الدول الاطراف في صراعات اقليمية ، بصورة مباشرة او غير مباشرة · بل يمكن حتى ان نضيف الى ما نعنيه بأجواء الحرب الباردة عددا من الزيارات الرسمية وغير الرسمية والاجتماعات والمؤتمرات التي تمت خلال الاسابيع الماضية · مثل زيارة زبغنيو بيرجنسكي مستشار الرئيس الاميركي كارتر لشؤون الامن القومي الى الصين الشعبية ، وجولة وزير الخارجية الصيني هوانغ هوا التي شملت زائير (وقد زار خلالها مدينة كولويزي مسرح القتال الاخير في شابا) وايران ، واجتماع ممثلي دول حلف الاطلسي الذي افتتحه الرئيس الفرنسي ديستان في باريس في حزيران (يونيو) الماضي ·

بل ان مناخ « الحرب الباردة » قد بدا بصورة مكثفة ومفسرة ـ من وجهتي نظر متصارعتين ـ في وثيقتين اساسيتين سلطت الاضواء عليهما دوليا خلال الاسابيع الماضية · اولاهما خطاب القاه الرئيس الاميركي كارتر في قاعدة « انابوليس » يوم ٧ حزيران الماضي بمناسبة تخريج دفعة من ضباط البحرية الاميركية · والثانية بيان رسمي سوفياتي حول الازمة الراهنة للعلاقات السوفياتية ـ الاميركية اذاعته وكالة « تاس » يوم ١٧ حزيران ·

واذا ما اخذنا بالمقدمة القائلة بان « الحرب الباردة » هي مفتاح فهم الاحداث التي جرت خلال الشهر المنقضي، فان استعراض هذه الاحداث ينبغي ان يبدأ · بقراءة لهاتين الوثيقتين ·

● خطاب كارتر في « انابوليس » تضمن اساسا النقاط التالية :

ـ يستطيع الاتحاد السوفياتي الاختيار بين المواجهة او التعاون ، والولايات المتحدة مستعدة لمواجهة أي من هذين البديلين ·

ـ ان الوفاق يجب ان يكون متبادلا بصورة حقيقية ، وان على كل من البلدين ممارسة بعض التحفظ في المناطق التي يسودها الاضطراب وخلال الفترات العسيرة ·

ـ ان الولايات المتحدة « قلقة للغاية » بسبب « المبادرات السوفياتية ـ الكوبية » في افريقيا ، ولهذا فانها « ستساند الجهود التي يبذلها الافارقة لوقف هذا التدخل مثلما فعلوا بالنسبة لزائير » ·

ـ ان الولايات المتحدة لم تقرر تجميد مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية (سالت) مع الاتحاد السوفياتي بسبب « مسلك السوفيات في افريقيا » ·

وقد اعتبر خطاب كارتر هذا علامة مهمة على طريق الحرب الباردة بين العملاقين ، ولكنه اعتبر ـ مع ذلك وفي الوقت نفسه ـ خطابا متعقلا متسما بضبط النفس ، وذلك بالمقارنة بتصريحات صدرت قبله بأيام عن بيرجنسكي اتهم فيها موسكو بـ «انتهاك الوفاق » ، وألمح الى تجميد محادثات « سالت » بسبب السياسة السوفياتية والكوبية في افريقيا وغيرها ·

● البيان السوفياتي الذي اذاعته وكالة « تاس » كان بمثابة رد شامل على التصريحات الاميركية ، وخاصة على

خطاب كارتر في انابوليس ، وتضمن اساسا النقاط التالية :

ـ ان تغييرات خطرة على السلام تجري في الوقت الحاضر في سياسة الولايات المتحدة ، « قد تؤدي الى بعث الحرب الباردة » ٠

ـ ان الولايات المتحدة تحاول التدخل في الشؤون الداخلية السوفياتية « تحت ستار الدفاع عن حقوق الانسان » ٠

ـ ان المسؤولين الاميركيين يتصلبون في سياستهم الخارجية « للتهرب من ازمات البطالة والتضخم من الجرائم والتمييز العنصري ضد السود » ، وان هناك ملامح عودة الى « الماكارثية » داخل الولايات المتحدة ٠

ـ ان في داخل الاوساط الاميركية الحاكمة صراعا حادا حول قضايا الانفراج والعلاقات مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية بين خصوم الانفراج ومؤيديه ٠

ـ ان من شأن « التحالف الاميركي ـ الصيني على اساس معاداة السوفيات ان يغلق امكانية التعاون مع الاتحاد السوفياتي » ٠

ـ ان الاتحاد السوفياتي وكوبا قد ساعدا انغولا واثيوبيا بطلب من حكومتيهما الشرعيتين ، بينما لم يقوما باي دور في احداث شابا ٠

وهكذا فان البيان السوفياتي يضع نقاطا عديدة على حروف تركتها التصريحات الاميركية ، وخاصة خطاب كارتر المذكور ، دون اي ايضاح ٠ واهم ما تضمنه البيان السوفياتي تقريره القاطع بأن « التحالف الاميركي ـ الصيني » يغلق الباب امام امكانية التعاون بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ٠٠ اي انه ينهي عهد الانفراج ٠ الامر الذي يوضح مدى الخطورة التي ينطوي عليها تحرك الولايات المتحدة ـ الذي يقابل باستعداد واستجابة واضحين من جانب بكين ـ نحو تصعيد استغلالها لتصدع العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ٠

ولعل من الامور التي لها دلالتها ان الاتحاد السوفياتي اوضح في بيانه ان استخدام الولايات المتحدة « الورقة الصينية » في اللعبة العالمية لا يعتبر بحد ذاته امرا جديدا ، « انما كان يبدو حتى الان ان قادة الولايات المتحدة قد ادركوا جيدا انه لا يجوز لعب هذه الورقة دون اثارة الخطر على قضية السلام وعلى انفسهم ، وعلى المصالح الوطنية للولايات المتحدة » ٠ فقد عكس هذا الجزء من البيان مدى القلق الذي تشعر به موسكو بعد زيارة بيرجنسكي الاخيرة لبكين ٠ وهي الزيارة التي كانت موضوعا لمناقشة طويلة جرت في واشنطن بين الرئيس الاميركي كارتر ووزير الخارجية السوفياتي اندريه جروميكو ، حيث من المعتقد ان جروميكو اعرب عن شكوك بلاده وتحذيرها لواشنطن من ممارسة هذه اللعبة المزدوجة ٠ لعبة تحريض الصين ضد الاتحاد السوفياتي ، والاستجابة لتحريضات الصين لها ولاوروبا الغربية ضده ٠ وقد خلفت هذه الزيارة وراءها انباء عديدة عن : صفقات اسلحة غربية متطورة للصين ـ تعاون نووي غربي ـ صيني ـ استعداد الولايات المتحدة لاقامة علاقات كاملة مع بكين (وهذا معناه فض يدها تماما من نظام تايوان) كثمن لتحالف كامل بين الصين والغرب ٠ ولكن بغض النظر عن مدى نصيب هذه الانباء من الصحة ، فقد اعقبت زيارة بيرجنسكي لبكين تحركات صينية واسعة الى زائير وايران والمغرب وباكستان وبعض دول اوروبا الغربية ٠

وقد ذكرت مجلة « نيوزويك » الاميركية (٥ـ٦ـ١٩٧٨) ان المحللين السياسيين دهشوا بشكل خاص لطول جلسات المحادثات التي اجراها بيرجنسكي مع الزعماء الصينيين ، وقالت ان تفصيلات

تلك المحادثات بقيت سرية ، وقد اكتفى بيرجنسكي بوصفها بانها كانت محادثات « مفيدة ومهمة وبناءة » · واعرب مسؤولون صينيون عن ارتياحهم لمحادثاتهم معه بالمقارنة للمحادثات التي كان قد أجراها في بكين قبله وزير الخارجية الاميركي سايروس فانس · « اننا نعرف اين يقف بيرجنسكي من الاتحاد السوفياتي والصين واليابان · اما مع فانس فلم نعرف ذلك ابدا » · وقد عبرت مجلة « تايم » الاميركية (٥ـ٦ـ١٩٧٨) عن مغزى هذا القول بقولها ان « الزعماء الصينيين يرحبون برسالة بيرجنسكي المعادية للسوفيات » · وذكرت انه وصف السياسة السوفياتية في افريقيا بانها غبية، وبذل جهدا كبيرا لاقناع محاوريه الصينيين بان الولايات المتحدة تزداد قوة وان القيادات السياسية والاجتماعية في العالم تسير ضد السوفيات « بل انه اطلع مضيفه على نظم الاسلحة الاميركية الجديدة ،وكان هدفه اقناعهم بان محادثات « سالت » الجديدة بين واشنطن وموسكو لا تشير الى ضعف من جانب الولايات المتحدة كما يعتقد الصينيون » ·

وقد علمت « التايم » ان بيرجنسكي « طلب من الزعماء الصينيين ان يستخدموا نفوذهم لمساعدة الحركات المعادية للسوفيات في افريقيا » ··· « وقد ناقش بيرجنسكي مع الزعماء الصينيين ايضا اهتمام الحكومتين المتبادل بمجابهة عدم الاستقرار السياسي في كل من باكستان وافغانستان » ·

والامر المؤكد ان تطورات بالغة الاهمية فيما يتعلق بمصير الانفراج الدولي يمكن ان تنشأ عن بلوغ التقارب الاميركي ـ الصيني حد التنسيق او « التحالف » ضد الاتحاد السوفياتي وضد القوى التي يؤيدها الاتحاد السوفياتي في مناطق العالم المختلفة ·

ويمكن النظر من هذه الزاوية نفسها الى التطورات التي طرأت خلال الشهر المنقضي بين فيتنام والصين · اذ لم يعد من المستبعد تماما النظر اليها على انها نتيجة لتوثق العلاقات بين فيتنام والاتحاد السوفياتي الى حد غير مريح للصين ، على ملاحظة ان فيتنام تربطها حدود جغرافية مشتركة مع الصين ، ولا تربطها اية حدود مماثلة مع الاتحاد السوفياتي ، وهو امر له دلالاته وانعكاساته الاستراتيجية ، فضلا عن بعده التاريخي الذي تميز على مدى مئات السنين بصراع القوميتين الفيتنامية والصينية ·

لقد جاءت احداث « هروب » عشرات الالوف من ذوي الاصل الصيني من فيتنام ، اثر تطبيق اجراءات اشتراكية عديدة في فيتنام شملتهم كما شملت الفيتناميين ، ولكنها جاءت ايضا على اثر توقيع اتفاق لمساعدات سوفياتية ضخمة ـ بقيمة ٢٦٠٠ مليون دولار من الاتحاد السوفياتي لفيتنام لدعم جهود اعادة بناء ما هدمته الحرب الاميركية · كما جاءت على اثر وقف الصين هبتها من الارز لفيتنام ـ بما مقداره ٥٠٠ الف طن سنويا، وخفضها امداداتها من السلع الاستهلاكية الصينية الرخيصة الى فيتنام ·

مع ذلك فان الدور الابرز في تنفيذ سياسة الغرب التصعيدية الجديدة كان لفرنسا · والرأي الذي ذهب ـ منذ تولي الرئيس جيسكار ديستان الرئاسة ـ الى ان فرنسا ما بعد المرحلة الديغولية هي فرنسا ـ اميركية السياسة والتحالف ، قد وجد اكبر تأكيد له في الدور الذي ادته فرنسا في زائير (بمشاركة شابتها بعض شوائب الحذر والتردد من جانب بلجيكا) بتوجيه عسكري وسياسي اطلسي ـ أميركي · وقد كشف اجتماع دول الاطلسي الذي عقد في باريس (٥ـ٦ـ ١٩٧٨) عن رغبة فرنسا في تحويل الدور الاخير الذي أداه ألف وسبعماية من المظليين الفرنسيين في زائير الى دور دائم

يشمل افريقيا · اتضح ذلك من الاقتراح الفرنسي بتشكيل « قوة امنية افريقية » من الدول التي لا تزال ترتبط بفرنسا بعلاقات وثيقة (مثل السنغال وتوغو وأفريقيا الوسطى وساحل العاج والغابون والمغرب) · ومن الواضح ان المقصود بهذه القوة الفرنسية القيادة والسلاح والمساندة ان تكون قوة تدخل ضد حركات التحرر الافريقية وضد اي حركة تحرر للثورة الاجتماعية ، وذلك ضمانا لمصالح الشركات الرأسمالية الغربية التي لا تزال تمارس نهب ثروات بلدان القارة على أوسع نطاق ·

وقد تكشف لفرنسا خلال احداث الشهر المنقضي أنها بدورها في زائير وتشاد وموريتانيا وغيرها ربما تلتقي مع بعض النظم الافريقية والعربية التي تحرص على « ابعاد النفوذ السوفياتي » عن القارة وتطالب الغرب بتدخل اكثر صراحة وفاعلية ، ولكنها تصطدم في الوقت نفسه بنظم افريقية وعربية اخرى ترى في التدخل الغربي محاولة لعودة سيطرة الاستعمار الجديد وتهديدا للنظم التقدمية ولحركات التحرر الوطني الافريقية ، بل تهديدا للمصالح العربية المباشرة · ويتصادف ان الصدام الفرنسي هو مع بلدان حرصت فرنسا طوال السنوات الماضية على المنافسة على صداقتها من اجل تجارتها ونفطها في الدرجة الاولى ، وخاصة ليبيا والجزائر ·· ومن خارج القارة الافريقية العراق ، والى حد ما سوريا · ولهذا سيتعين على فرنسا خلال الفترة القصيرة القادمة ان تحاول ان تحل هذا التناقض ، لانها لا تستطيع ان تحتفظ بأسواق السلاح واسواق النفط وان تمارس ـ في الوقت نفسه ـ سياسة البديل عن التدخل الاميركي المباشر في افريقيا ، خاصة ان بعض المشكلات الافريقية هي مشكلات عربية في الوقت نفسه ·

واذا كانت فرنسا قد لعبت دورها في تصاعد الموقف نحو « الحرب الباردة » من مواقع هجومية ، فان حليفا ـ هو ايران ـ اخر للولايات المتحدة لعب دوره من مواقع دفاعية ، على الرغم من ان ايران ظلت طوال السنوات العشر الماضية تتهيأ لدور هجومي في المنطقة المحيطة بها · ولكن العوامل الداخلية المتمثلة في اشتداد قوة المعارضة ضد نظام الشاه هي التي الزمته مواقع الدفاع ، حيث فشلت تراكمات الاسلحة المتطورة في منع انفجار الوضع الاجتماعي داخل ايران وفي الحيلولة دون وقوع اكبر صدام بين نظام الشاه والمعارضة الشعبية منذ احداث العام ١٩٥٣ التي شهدت فرار الشاه امام شعبية محمد مصدق ثم عودته على حراب العسكريين محروسا بأجهزة وكالة الاستخبارات الاميركية التي تولت تخطيط وتنفيذ انقلاب الثورة المضادة لصالحه ضد حكومة مصدق ·

ويبدو ان الدرس الوحيد الذي يريد الشاه ان يخرج به من احداث الصدام بين نظامه من ناحية وبين رجال الدين والماركسيين الايرانيين من ناحية اخرى هو ضرورة « تقوية النظام الامني الغربي لمواجهة خطر الشيوعية في منطقة الخليج النفطية » · وفيما عدا ذلك فانه لم يحاول على المستوى الداخلي شيئا الا تغيير بعض قيادات اجهزته الامنية وقيادات حزبه الرسمي الواحد · ولا يخفي اي من هذه الاجراءات ـ انما بالاحرى يكشف ـ حقيقة ان الشاه لم يبد مهزوزا طوال العشرين سنة الماضية كما يبدو الان · ومع ذلك فان الشاه يريد ان يستغل هذا الاضطراب لدعم الفكرة عن دور قيادي مسيطر لايران في الخليج باسم جماعة مصادر النفط التي يحرص عليها الغرب ضد الخطر الشيوعي ، الخارجي

والداخلي · ولم يفت شاه ايران في هذا الصدد ان يزيد من فزع الغرب من التغيير الذي وقع في افغانستان ، والذي كان موضوعا لاتصالات ومحادثات عديدة شملت ايران وباكستان والهند وبعض دول الخليج والصين الشعبية ·

وبين مواقع الهجوم ومواقع الدفاع في تحركات القوى الامبريالية على المسرح العالمي لا بد ان تبرز تناقضات مضاعفة اكثر حدة بين مقتضيات « الاستقرار » الذي تحاول القوى العالمية المحافظة الابقاء عليه في مواقع نفوذها وسيطرتها، ومقتضيات التغيير والثورة التي تفاجئها على فترات متقاربة داخل تلك المواقع · فلا امن نظام الشاه استقر في ايران ·· ولا انتفاضات اقليم شابا انتهت بالتدخل الفرنسي ـ الاطلسي ـ الافريقي · وفيما وراء الاستقرار المفقود داخليا ، والتدخل العسكري خارجيا تبدو عملية اعادة نظر شاملة في اسس « الوفاق الدولي » ، كي يدرك الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ان قبول الولايات المتحدة والمعسكر الامبريالي بالدخول في اتفاقات وفاقية ليست قبولا شاملا وابديا · وكي تدرك الولايات المتحدة والمعسكر الغربي ان اهتمام الاتحاد السوفياتي و « المعسكر السوفياتي » بدعم « الانفراج الدولي » ليس لمصلحة تجميد العملية الثورية عالميا كما أنه ليس لمصلحة « تسيب » يسمح بتسلل غربي الى هذا المعسكر تحت اي شعار ·

س·ك·

قضايا عسكرية

الولايات المتحدة تعوض اسرائيل عسكريا مقابل صفقة الطائرات

عقب موافقة الكونغرس الاميركي على صفقة الطائرات الثلاثية الى كل من اسرائيل ومصر والسعودية ، التي تمت في ١٦ـ٥ـ٧٨ ، والتي تضمنت بيع اسرائيل ٧٥ طائرة من طراز « ف ـ ١٦ » و ١٥ طائرة من طراز « ف ـ ١٥ » ، اضافة للطائرات الـ ٢٥ الاخرى التي سبق بيعها لاسرائيل من الطراز المذكور ، نقل السفير الاميركي لدى اسرائيل ، « صمويل لويس » رسالة من الرئيس « كارتر » الى « بيغن » يوم ١٨ـ٥ـ٧٨ تحمل تأكيدا على الالتزام الاميركي بالمحافظ على أمن اسرائيل ، وتلميحا بأن الولايات المتحدة قد تمنح اسرائيل تعويضات بما يضمن الابقاء على قوتها الرادعة ·

وبخصوص الموضوع ذاته اوضحت الاوساط السياسية الاسرائيلية ان المسؤولين الاميركيين ابدوا استعدادهم ، في اتصالات حديثة جرت مع اسرائيل ، للدخول في مفاوضات حول تعويضات للصفقة الثلاثية في مجال تسليح اسرائيل · وذكرت هذه المصادر أن

« فايتسمان » وزير الدفاع الاسرائيلي قد يتوجه الى واشنطن لاجراء تقويم شامل للوضع على صعيد حاجات اسرائيل الامنية والتفاوض حول طلبات اسلحة جديدة ٠

وفي اليوم ذاته ، ١٨ـ٥ ، نشرت صحيفة « هآرتس » أن الولايات المتحدة ستزود اسرائيل بـ ٥٠ طائرة اضافية من طراز « ف ـ ١٦ » (النهار ١٩ـ٥ـ ٧٨) وفي ٢٢ـ٥ـ٧٨ اعلنت اسرائيل انها ستتخذ خطوات لمواجهة تزويد مصر والسعودية بطائرات اميركية متطورة ، وذلك دون أن تحدد اية تفاصيل عن هذه الخطوات التي تنوي القيام بها ٠ وقد أعلن « ارييه ناور » ، الناطق الرسمي باسم الحكومة الاسرائيلية ، بأن رئيس الوزراء « بيغن » وجه رسالة شخصية الى « كارتر » ، ردا على رسالة الاخير اليه ، تناولت مضاعفات صفقة الطائرات على امن اسرائيل ٠ وقالت مصادر مطلعة في القدس ، في اليوم ذاته ، ان « بيغن » سيطلب تزويد اسرائيل بطائرات متطورة اضافية تكون بمثابة تعويض لها (النهار ٢٣ـ٥ـ٧٨) ٠ كما ذكرت المصادر نفسها بأن فايتسمان يستعد للسفر خلال اسبوعين (لم تتم الزيارة بعد) لاجراء محادثات ذكر انها تتعلق ببرنامج اسرائيل لشراء اسلحة تبلغ قيمتها ١٠ مليارات دولار في العقد المقبل ٠ وفي ٢٦ـ٥ـ٧٨ نشرت صحيفة « القبس » الكويتية في نبأ لمراسلها في واشنطن ، ان وزير الدفاع الاسرائيلي ، سيبحث مع المسؤولين الاميركيين خلال زيارته المقبلة لواشنطن في موضوع الاسراع بتنفيذ مشروع سري خاص لتسليح اسرائيل يقضي بتزويدها بما قيمته مليارا دولار من الاسلحة سنويا على مدى ١٠ سنوات ٠ واوضحت الصحيفة المذكورة ان هذا المشروع يتضمن زيادة عدد الدبابات الاسرائيلية بنسبة ١٠٠٪ والطائرات بنسبة ٥٠٪ والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات بنسبة ٩٠٠٪ ٠ ويقضي المشروع ايضا بتزويد اسرائيل بالتكنولوجيا العسكرية الاميركية المتطورة الى جانب السماح لها بانتاج صاروخ « مافريك » جو ـ ارض وصاروخ « اي ـ م ٩ ال » المتطور وشبكات الكترونية للمراقبة وصفائح للدبابات مماثلة لتلك المستخدمة في المدرعات الاميركية ٠ (النهار ، ٢٧ـ٥ـ٧٨)

وفي ٧ـ٦ـ٧٨ صرح السفير الاسرائيلي في واشنطن « سيمحا دينيتز » للصحافيين بانه بحث مع وزير الخارجية الاميركي « سايروس فانس » في موضوع الاسلحة وقضية مفاوضات السلام في الشرق الاوسط ، وذلك في اجتماع استغرق ساعة عقداه في اليوم المذكور ٠ واوضح مسؤولون اميركيون أن السفير الاسرائيلي والوزير الاميركي بحثا في مسائل ما تزال مفتوحة منذ زيارة وزير الدفاع الاسرائيلي لواشنطن في اذار (مارس) الماضي ٠ (النهار ٨ـ٦ـ٧٨) ٠

وتجدر الاشارة الى ان صحيفة « عال همشمار » كانت قد ذكرت في ٩ـ٣ـ٧٨ ، ابان زيارة « فايتسمان » لواشنطن ، انه اصر ، خلال اجتماعه بوزير الدفاع الاميركي « هارولد براون » وعدد من المسؤولين في وزارة الدفاع الاميركية ، على جميع طلبات اسرائيل من الاسلحة الاميركية لفترة عشرة اعوام ، التي وردت في برنامج « ماتمون ـ ٣ » الذي قدمته اسرائيل الى الولايات المتحدة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦ ٠ واوضحت الصحيفة المذكورة أن التقارير الصحفية تشير الى ان الحجم المالي لمشروع « ماتمون ـ ٣ » (وهو برنامج اسرائيلي

اخر ، او معدل ، للبرنامج « ماتمون ـ ب » المقدم منها للولايات المتحدة خلال عام ١٩٧٤) يبلغ ١٣ مليار دولار ، وان الهدف من (نشرة م٠د٠ف ايار ٧٨) الحصول على الاسلحة التي تتضمنه هو ضمان قدرة اسرائيل على الدفاع ضد أي هجوم عربي ٠

كما ذكرت « يديعوت احرونوت » ، في ٩ـ٣ـ٧٨ ايضا ، نقلا عن صحيفة « واشنطن بوست » الاميركية ، ان « فايتسمان » اثار في محادثاته مع المسؤولين الاميركيين ، طلبات اسرائيل للاسلحة ، ومن بينها طائرات صهريج من نوع « ك٠سي ـ ١٣٥ » (وهي نوع من طائرات « البوينغ ٧٠٧ » مخصص لتزويد الطائرات بالوقود في الجو) ، والحصول على الاف الدبابات وناقلات الجنود المصفحة ، وانواع اخرى من الاسلحة المتطورة ، وكميات ضخمة من الذخيرة ، لضمان عدم اعتماد اسرائيل على جسر جوي اميركي في حال نشوب حرب جديدة ٠ كما طلب « فايتسمان » مساعدات مالية لمشروع انتاج دبابات « مركفاه » الاسرائيلية (ما زالت قيد الاختبار والتطوير) ٠ ويبدو ان الولايات المتحدة لا توافق ، حتى الان ، الا على نصف ما تطلبه اسرائيل من الاسلحة والمعدات في برنامج « ماتمون ـ ٣ » ، فقد ذكرت « يديعوت احرونوت » في ١٤ـ٣ـ٧٨ ان مجلة « افياشن ويك » الاميركية اجرت مقابلة مع « فايتسمان » ، كتبت بعدها ان اسرائيل تطلب من الولايات المتحدة مضاعفة كمية المعدات العسكرية التي يقترحها الاميركيون في المفاوضات الحالية، وذلك بهدف تحديث الجيش الاسرائيلي على نطاق واسع ٠ ومن هذه الزيادات : طلب اسرائيل أن يصبح لديها ما مجموعه ١٥٠ طائرة « ف ـ ١٦ » و ٧٥ طائرة « ف ـ ١٥ » ٠ واضافت مجلة « افياشن ويك » قائلة ان برنامج « ماتمون ـ ٣ » يعكس تغييرا في التكتيك الاسرائيلي لمواجهة الدبابات ، اذ طلبت اسرائيل الحصول على ٣٠ طائرة هليكوبتر هجومية من نوع « هيوز ٥٠٠ م ٠ د » ، كما أنها ترغب في شراء طائرات هليكوبتر مسلحة من نوع « كوبرا» ٠

وتجدر الاشارة الى ان اسرائيل قد تسلمت بالفعل ١٨ طائرة « كوبرا » ، ويبدو انها تريد الحصول على مزيد منها ، الى جانب الـ ٣٠ طائرة الجديدة من طراز « هيوز ٥٠٠ م٠د » المشار اليها ، وهي طائرة هليكوبتر خفيفة غير مصفحة او ذات تجهيزات قتالية خاصة مثل « الكوبرا » ، ولذلك فهي اقل كلفة منها ، ولكنها لا تستطيع ان تحمل ٨ صواريخ مضادة للدبابات من طراز « تاو » ، وتبلغ سرعتها الملاحية القصوى على ارتفاع سطح البحر (وهو الارتفاع الذي تعمل عليه عادة ضد الدبابات) ٢٣٢ كلم في الساعة ، ومدى عملها على ارتفاع ١٢٢٠ مترا يصل لنحو ٥٩٠ كلم ٠

ونقلت « يديعوت احرونوت » عن « فايتسمان » قوله في المقابلة مع « افياشن ويك » ان برنامج « ماتمون ـ ٣ » يتضمن طائرات « ف ـ ١٥ » و « ف ـ ١٦ » وطائرات هليكوبتر وزوارق هوفر كرافت ومدفعية ومعدات اخرى ٠ وان الولايات المتحدة ادرجت في المقترحات التي قدمتها نصف ما تضمنه البرنامج تقريبا ٠

ونشرت الصحيفة ذاتها في ٣١ـ٣ـ٧٨ أن وزارة الدفاع الاميركية ابلغت الكونغرس انها تنوي بيع اسرائيل ٦٠ صاروخا مضادا للطائرات من نوع «هوك» المحسن ، وشبكتي رادار متطورتين ، بقيمة

٩ ملايين دولار ، وقالت الصحيفة المذكورة ان هذه الصفقة تعتبر تنفيذا لاحد بنود برنامج « ماتمون ـ ٣ » ٠

وتجدر الاشارة الى ان الكاتب الاميركي « انتوني هـ٠ كوردسمان » ، الذي نشر مقالا في « مجلة القوات المسلحة الاميركية » في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧ حول « ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي » انتقد فيه السياسة الاميركية بالنسبة للمساعدات العسكرية لاسرائيل ، كان قد قدر حجم القوة العسكرية الاسرائيلية المستهدف بناءها في الفترة من ١٩٧٦ حتى ١٩٨٦ (وهي فترة برنامج « ماتمون ـ ٣ »)لتواجه الدول ، العربية عامة ، بنحو ٥٠٠ دبابة وحوالي ١١٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة ونحو ٧٥٠ طائرة قتال ، و ٨٠ طائرة هليكوبتر هجومية ، و ٩٠٠ قاذف صواريخ م/د ، و ٥٠ كتيبة مدفعية ، و ٥٠ بطارية صواريخ م/ط ، و ٦ كتائب صواريخ ارض ـ ارض « لانس » ٠ ثم اوضح الكاتب المذكور ان الولايات المتحدة الاميركية لم تقبل بكل هذه المتطلبات العسكرية الاسرائيلية ، واختارت بدلا من ذلك ان تحدد متطلبات الدعم استنادا لتقديرها لمستقبل القوة العسكرية لدول المواجهة العربية فحسب ، والتي تشكل التهديد الرئيسي لاسرائيل ٠

هذا وكانت الحكومة الاميركية قد تقدمت للكونغرس في اواخر شباط (فبراير) طلبا يقضي بمنح اسرائيل معونة عسكرية بقيمة مليار دولار ، ومعونة مالية بقيمة ٧٨٥ مليون دولار ، وذلك ضمن برنامج المساعدات الخارجية للسنة المالية الاميركية ١٩٧٩ ، وذلك وفقا لما ذكرته صحيفة « يديعوت احرونوت » في ١ـ٣ـ ٧٨ ، والتي ذكرت ايضا انه عند بحث هذا الطلب في لجنة شؤون الشرق الاوسط واوروبا ، التابعة للجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس ، تحدث « نيكولاس ديليوتس » ، مساعد وزير الخارجية الاميركي ، امام اللجنة ، فقال ان خطة توسيع وتحديث الجيش الاسرائيلي ، التي بدأت في سنة ١٩٧٤ ، ثم قطعت بعد ذلك شوطا بعيدا ، تمول من خلال المعونة الاميركية ، واضاف قائلا ان الحكومة الاميركية توصلت ، بعد دراسة عميقة ، الى استنتاج انه سيكون في مقدور اسرائيل عند منحها المعونة الجديدة المقترحة ، معالجة اي تهديد عسكري من جانب الدول العربية حتى اواخر الثمانينات ٠ وان مبلغ المليار دولار المقترح يعكس حقيقة انه سيتم الحفاظ على تفوق اسرائيل النسبي ، وسيتم تعزيزه بعد استيعاب معدات الكترونية متطورة، في مقدورها الغاء التفوق العددي لاي تجمع محتمل للقوى العربية ٠ وفي هذا الصدد ايضا ، تجدر الاشارة الى ان وزير الدفاع الاميركي ، « هارولد براون » ، كان قد صرح في ١٧ـ٤ـ٧٨ ، اثناء مؤتمر صحفي عقده في لندن ، بأن اسرائيل ، استنادا الى معلومات وكالة المخابرات الاميركية المركزية ، ستظل قادرة على مواجهة اي هجوم عربي مشترك بنجاح حتى السنة ١٩٨٣ ٠

ورغم ان الولايات المتحدة تؤجل حاليا اعلان موافقتها على برنامج « ماتمون ـ ٣ » بالحجم الذي تراه ، حتى تتلقى الاجابات الاسرائيلية المطلوبة حول كيفية تنفيذ القرار ٢٤٢ ، فان ذلك ليس معناه انها لن تنفذ نسبة ٥٠٪ على الاقل من هذا البرنامج الضخم ، ان لم يكن اكثر وفقا لما ستكشف عنه الاحداث ، وسوف يتم ذلك الامداد الهائل بالاسلحة والمعدات تحت شعار تعويض اسرائيل عن صفقة الطائرات الاميركية للسعودية ومصر !

عمليات « القدس » « العقيبة » « محولا »

في ٢ـ٦ـ٧٨ نفذت المقاومة الفلسطينية عملية فدائية في قلب مدينة القدس المحتلة، اذ فجرت عبوة ناسفة في اتوبيس مكتظ بالركاب في احدى ضواحي القدس ، اسفرت عن قتل ٦ اشخاص وجرح ٥ اخرين ، مثبتة بذلك قدرتها على العمل في عمق الارض المحتلة ٠

وفي ٩ـ٦ـ٧٨ شنت اسرائيل اغارة بواسطة وحدة من «الكوماندوس» البحريين ضد ما وصفته بقاعدة بحرية للمقاومة في شاطىء العقيبة بمنطقة الصرفند جنوبي صيدا بلبنان ٠ وذلك في حوالي الساعة الثانية وخمس عشرة دقيقة بعد منتصف الليل ، ووصل المغيرون الى الشاطىء بزوارق مطاط تدعمهم زوارق طوربيد وزورق صواريخ وعدد من طائرات الهليكوبتر ، واسفرت الاغارة عن استشهاد ٤ من رجال المقاومة ونسف بعض المنازل وجرح ٦ اخرين ، واعترفت مصادر العدو الاسرائيلي بفقد قتيلين من الضباط و ٨ جرحى ٠ وهذه الاغارة ، يمكن اعتبارها نوعا من الرد على عملية « القدس » ، او نوعا من اخذ المبادرة الهجومية ضد قواعد الثورة الفلسطينية ، ضمن الاطار العام للاستراتيجية المضادة لحرب العصابات ، التي تنتهجها القيادة العسكرية الاسرائيلية منذ عملية الهجوم الشامل على جنوب لبنان في ١٥ـ٣ـ٧٨ ٠

وفي ١٢ـ٦ـ٧٨ شنت وحدة من رجال المقاومة الفلسطينية اغارة خاطفة على منشآت عسكرية في مستوطنة « محولا » في غور الاردن الشمالي ، القوا خلالها قنابل يدوية على المنشآت والمنازل في المستوطنة ، واستشهد واحد من المجموعة المهاجمة ، التي كانت تضم ٤ من الفدائيين ٠ وجاءت هذه الاغارة ، بعد ثلاثة ايام فقط من عملية « العقيبة » الاسرائيلية ، لتثبت قدرة الثورة الفلسطينية على الاستمرار في النضال ، وعدم جدوى عمليات الردع المباشر ضدها ، ولتؤكد ايضا قدرتها المجددة على مهاجمة الارض المحتلة من كل مكان ، سواء عن طريق البر او عن طريق البحر، وانه لا جدوى من كافة اجراءات الامن الاسرائيلية في الحيلولة دون استمرار النضال ضد الكيان الصهيوني ٠ ومما يجدر ذكره ان المستوطنة المذكورة تبعد نحو ٨٠٠ متر عن خط حدود ١٩٦٧ ، ونحو ٨ كلم من نهر الاردن وحوالي ١٥ كلم جنوبي « بيسان » ، والهجوم عليها يطرح مجددا امكانية استخدام الجبهة الشرقية ضد اسرائيل ، تلك الجبهة التي سادها هدوء نسبي منذ العام ١٩٧٠ ٠

المغزى الاستراتيجي لزيارة الغواصة النووية الاميركية لحيفا

بعد أن قامت حاملة الطائرات الاميركية « نيميتز » ، التي تسير بالطاقة النووية ، بزيارة ميناء « حيفا » يوم ٦ـ٤ـ١٩٧٨ ، وصلت الغواصة النووية الاميركية « لابون » هي الاخرى الى « حيفا » يوم ١٤ـ٦ـ٧٨ ، في زيارة رسمية تستمر ٤ ايام ، وهي الزيارة الاولى التي تقوم بها غواصة نووية لاسرائيل ٠ والغواصة « لابون » هي احدى غواصات فئة « ستورجون » ، التي توجد منها ٣٧ غواصة لدى البحرية الاميركية ، وهو اكبر عدد من الغواصات العاملة بالطاقة النووية من طراز واحد لدى البحرية المذكورة ٠ وقد دخلت « لابون » الخدمة العملية في ١٤ـ١٢ـ٦٧ ، ويبلغ وزنها القياسي ٣٦٤٠ طنا ، ووزنها وهي غاطسة اثناء العمل ٤٦٤٠ طنا ٠ ويبلغ طولها

٨٩ مترا ، واقصى عرض لهيكلها ٥ر٩ امتار ، ويصل غاطسها وهي طافية على سطح الماء الى ٧ر٩ امتار · وهي مزودة بمفاعل نووي من صنع شركة « وستينغهاوس » يوفر الطاقة اللازمة لتشغيل محركيها التوربينيين ، اللذين تبلغ قوتهما الدافعة ١٥ الف حصان ، وتبلغ اقصى سرعة لها على سطح الماء ٢٠ عقدة (نحو ٣٩ كلم في الساعة) و ٣٠ عقدة وهي غاطسة تحت سطح الماء (نحو ٥٥ كلم في الساعة) · ويتألف طاقمها من ١٠٧ افراد (من بينهم ٣٢ ضابطا) ، ولكن وكالة « رويتر » للانباء تقول ان طاقمها يتألف من ١٢٠ رجلا ·

وهي مسلحة باربعة انابيب لاطلاق الطوربيدات التقليدية من عيار ٢١ بوصة (٥٣٣ مم) ، فضلا عن ٤ـ٦ صواريخ موجهة ضد الغواصات من نوع « سبروك » Subroc التي تطلق من داخل انابيب الطوربيدات العادية وهي غاطسة تحت الماء ، ثم توجه نحو الهدف بعد ان تنطلق فوق سطح الماء بسرعة تفوق سرعة الصوت ، ويمكن ان تصل الى هدف يبعد نحو ٥٦ كلم ، ثم تنفصل عن الصاروخ ، عند وصوله لنقطة محددة من قبل ، قبلة اعماق نووية تندفع الى داخل سطح الماء بسرعة مخففة تحول دون اشتعال الصاعق، حتى تصل الى عمق معين من قبل حيث تنفجر وتدمر الغواصة المعادية · كما انها مسلحة ايضا بطوربيدات مضادة للغواصات (لا يعرف نوعها بالضبط) ذات رؤوس متفجرة تقليدية توجه نحو الغواصات من تحت سطح الماء · (هناك انواع منها يصل مداها الى ١١ كلم واخرى يبلغ اقصى مدى لها ٤٦ كلم) ·

ولا شك ان زيارة الغواصة النووية « لابون » لميناء « حيفا » ، والتي تمت بعد شهرين تقريبا من زيارة حاملة الطائرات النووية « نيميتز » للميناء ذاته ، انما تشكل جزءا من السياسة الاميركية العاملة من أجل اقامة قواعد عسكرية اميركية في فلسطين المحتلة « اسرائيل » وفي سيناء ، وستكون « حيفا » هي القاعدة البحرية الاساسية ضمن هذه القواعد · كما أن هذه الزيارات ، التي تقوم بها قطع اساسية من الاسطول السادس ، تهدف الى تأكيد مصداقية الالتزام الاميركي بحماية اسرائيل تجاه القوى العربية الرافضة للتسوية الاميركية ، والى اقناع القوى السياسية الاسرائيلية المترددة في قبول العرض الاميركي بعقد معاهدة دفاع اميركية ـ اسرائيلية ، كضمان وبديل أمني عن ذلك الجزء من الاراضي المحتلة عام ٦٧ التي ستضطر اسرائيل الى الجلاء عنها في حال التوصل الى التسوية المذكورة · ذلك لان القوى الصهيونية ، الاكثر تطرفا ، ترى في مثل هذه الضمانة الامنية قيدا على طموحاتها التوسعية الخاصة · وقد عبر عن اصحاب هذا الاتجاه « موشيه شمير » ، عضو الكنيست » (ليكود) في مقال نشرته معاريف » يوم ١٤ـ٤ـ٧٨ قال فيه « انني افضل انسحابا كاملا الى خطوط ١٩٦٧ ، حتى من دون سلام ··· على اية تسوية تقوم على حماية اميركية ستكون مرهونة بوجود عسكري اجنبي على ارضنا ··· فالتوجه المكشوف والمتفق عليه نحو الاستظلال بمظلة الحماية ، هو بمثابة اعتراف اختياري بافلاس الصهيونية ··· ان التحرر من الاعتماد على الولايات المتحدة ضروري لنا في حد ذاته ··· فاعتمادنا على الولايات المتحدة هو الذي يضغط علينا من اجل مقايضة اراض حيوية بوهم السلام ، وهو الذي يكبل ايدينا في الحرب مع « المخربين » ، وهو

الذي يشل معارضتنا السيطرة السورية على لبنان » (نشرة م٠د٠ف ٠ ايار ٧٨) وفي الوقت ذاته نشرت « معاريف » في اليوم ذاته ، ١٤ـ٤ـ٧٨ ، مقالا كتبه « دافيد افشير » ، رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية والدولية في معهد جورجتاون بواشنطن ، دافع فيه عن فكرة اقامة قواعد عسكرية اميركية في اسرائيل كجزء من المعاهدة الدفاعية المقترحة ، جاء فيه « ان معاهدة امنية كهذه لا بد ان تكون على غرار حلف شمال الاطلسي بالضبط ، مع وضع قوة اميركية معينة لتوفير المصداقية الكاملة لها ٠ ويجب الا ننسى ان هناك عسكريين اميركيين موجودون اليوم في سيناء ٠ ان وضع قوات ، تعزز مصداقية الالتزام الاميركي ، سيؤدي الى زيادة مقدرة الرئيس ـ بصفته القائد الاعلى ، على العمل ، الى الحد الاقصى دون تأخير ٠ ومن دون ذلك لن يتم التوصل الى ردع حقيقي وفعال ٠ وهذا الردع له تأثير استراتيجي وتأثير دبلوماسي في آن معا ٠ فكونه ضمانة لسيادة اسرائيل ، سيؤدي في نهاية الامر الى تغيير دوافع العرب ، اعضاء جبهة الرفض ، الذين لا يزالون يعتقدون بامكانية تدمير اسرائيل » ٠

وفي ٢ـ٦ـ٧٨ قالت صحيفة « يديعوت احرونوت » ، نقلا عن مراسلها في واشنطن ان حكومة « كارتر » تدرس حاليا اقامة حلف عسكري بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وان « كارتر » طلب من مجلس الامن القومي قبل اسبوعين اعداد « وثيقة عمل » في هذا الموضوع ، سوف تتضمن المبادىء التالية :

١ ـ ان تنال معاهدة التحالف الرسمية والعلنية موافقة الكونغرس الاميركي والكنيست الاسرائيلي بحيث تكتسب الصفة القانونية ٠

٢ ـ ان تضم اسرائيل الى الجهاز الدفاعي لحلف شمال الاطلسي ٠

٣ ـ ان تتلقى اسرائيل اسلحة وفقا لبرنامج طويل الاجل يمتد سنوات عدة ٠

واوضحت الصحيفة ان المشروع الاميركي المذكور يهدف الى تهدئة مخاوف اسرائيل بعد قرار واشنطن تسليح السعودية ومصر ، وجعل التنازلات الجغرافية ، التي يفترض في اسرائيل ان توافق عليها في اطار تسوية سلمية ، امرا مقبولا ٠

وضمن هذه الخطوات السياسية الاميركية ، والمناقشات التي تثيرها في اسرائيل ، تتضح لنا ابعاد زيارات « نيميتز » و « لابون » لميناء « حيفا » ، وما تحمله في طياتها من نيات اميركية ضد القضية الفلسطينية ، والنضال القومي العربي ضد الكيان الصهيوني ٠

محمود عزمي

أحمد عبد المعطي حجازي

طيور المخيّم

خيمةٌ وعمودٌ من النارِ ،
تلك فلسطينُ ،
تطلع ثانيةً في الجليلْ ٠

عبثا !
تقتلونَ الاجنّةَ في باطنِ الارضِ ،
أو تتبعون الغزالة في لُجَجِ الضوءِ ،
او تنصتون الى ما يُسِرُّ به الرملُ
من دمها السَّلْسَبيلْ ٠

ما الذي قالت البئرُ للريحِ ،
والنارُ للشيحِ ،
والناقةُ المستحمةُ في قمر الغور للسنديانِ ؟
ومن ألَّفَ الغيمَ والآلَ في سدرةٍ
وسقى من أغاني الرعاة وقهوتهم حبقاً ونجوماً ،
وأرهف في الليل ما بين عوسجةٍ ورفيف قطاةٍ ؟
ومن حمل الروح شهوة مَقْتأةٍ
تتململ غبَّ الظهيرة نافثةً عطرها الشبقيَّ العليلْ
ومن يغزل الماءَ والضوءَ تحت الرمالِ
وينسجُ في الغيب سجادةً لفلسطينَ

من مُهَجِ الكائنات الخفية؟
كيف تركنا المواسمَ في الارضِ ؟
كيف تشبث فلذٌ بفلذٍ
وجرثومةٌ بشعاعٍ
وملْنا الى الشرقِ ،
حتى فقدنا مواقعَ اقدامنا في مدار الفصولْ !٠

آه
ما أكثرَ البرتقالُ الذي يحمل اسمَ فلسطينَ
في طرقات المهاجرِ ،
لكنه ليس يحمل ما حفظته الطفولةُ من عطرها الحيّ !
هل تمنح الارضُ احشاءَها للغزاةِ ؟
وهل يحمل القاتل المتجهّمُ وجهَ القتيلْ !

خيمةً ، وعمودٌ من النارِ ،
تلك فلسطينُ
تطلع ثانية بعد أيلولَ ،
تطلع بعد حزيرانَ
تطلع من زمن الشهداءِ
وتمتدُّ
حتى تلامس من دمها صِبْيةً في المخيمِ ،
لم يشهدوا من فلسطين الاّ الحنينَ اليها
وها هم
يمدون أجسادهم لترابِ فلسطينَ قنطرةً
يملأون بأشلائهم هوةً
تتحدّرُ بين مخيّمهم وسماءِ الجليلْ !

آه !
يا حَجَلا طائراً خارج الارضِ والوقتِ
يفرخ ما بين منفى ومذبحةٍ
ويريد فلسطينَ ،
لكنه لا يرى من فلسطينَ
الا بمقدار ما تخرجُ النارُ من فوّهاتِ البنادقِ
حتى تعود به زغبًا ناعماً ،
يتطاير فوق اخضرارِ السهولْ !

لا أبشّرُ بالموتِ ،
لكنه سيكون حضارتكم ،
أيها القادمون لنا بالتوابيتِ ،
محشوّةً بالبنادقِ !
لست أبشرُ بالموتِ
لكنه سيكون حصيد محاريثكم
ورفيق مواليدكم
وضجيع نسائكمُ
الموتُ !
كيف يصيرِ الضحيةُ قاتلُ اخوتهِ
وتحل محلَّ الفيولينةِ البندقيةُ
تلك فلسطينُ ما بيننا ،
وحدودُ فلسطينَ ليست هي النهرُ ،
ان حدود فلسطين آخرُ قطرةِ دمٍّ تسيلُ !

غابةٌ من هوادجَ في الليلِ
والانجم البيض اجراسُها
شجرُ اللهِ ،
اشرعةٌ من عصورٍ خَلَتْ
تلتقي ، والنجوم مصابيحها
ثم ترسم مفترقا ،
وتواصلُ في الحلمِ هذا الرحيلُ !

وفلسطينُ واقفةٌ وحدها
خيمةٌ في العراءِ ،
تردّ الجحافل عن ملكوت التشردِ
من بعد ما فتحت لهم المدنُ السبعُ ابوابها
ودعاهم ملوكُ الطوائفِ للصيدِ والقَنْصِ
في الجسد العربي الجميلْ
لِمَ لا يدخلون ؟
وقد وشَموا ذلك الجسدَ المستباحَ
بأسمائهم وعناوينهم ،
رشقوهُ برایاتهم ،
رسموا فوقه مدنا ومواخيرَ
واقتسموها ،

ووَلوا عليها المماليكَ
من كلّ عبدٍ خصيٍّ ذليلْ
وأنا ،
وطيورُ المخيمِ
ليس لنا عَلَمٌ
مثلنا مثلُ رملِ الصحاري ،
ومثلُ النخيل ،
ومثل فلسطين ليس لنا عَلَمٌ ،
ولنا ملكوت التشرّدِ ،
ليس لنا غير هذا الطريق الطويلْ !

باريس ١٩٧٨/٤/٦

الياس خوري

في نقد الشعر

[ملاحظات انطلاقا من كتاب احسان عباس :
« اتجاهات الشعر العربي المعاصر » ★]

مع الشعر المعاصر ، والذي اختلف الجميع على تسميته : الشعر الحر ، الشعر الحديث ، الشعر الجديد ، الشعر المنطلق واخيرا الشعر المغصن ، تبدأ مرحلة جديدة في الشعر العربي · انها الانعطاف بمفهوم الشعر : احلال القصيدة مكان البيت ، والايقاع مكان الوزن والقافية ، والاشارات مكان المعاني المطابقة ·

تبدو الدلالات التي نشير اليها بالغة الغموض ، رغم مرور حوالي ثلاثين سنة على ولادة الشعر المعاصر · ولكنه غموض البديهيات · اي أن الامور البديهية ، والتي يتفق الجميع على كونها كذلك ، هي في الآن نفسه ، مسائل غامضة وغير محددة · وغموض البديهيات هذا ، في ظل المدرسة « الحديثة » والجامعة « الحديثة » ، يحمل معنى انقطاعيا خطيرا داخل الواقع الثقافي العربي المعاصر ·

انها المرة الاولى ، التي لا يهتز فيها النموذج الشعري العربي ، بل يتساقط · ولا تقف حدود الثورة الشعرية عند محاولة احداث تعديلات على الشعر ، بل تمتد الى محاولة الغاء مجموعة المفاهيم القديمة والاطر القديمة ، لتؤسس على انقاضها تجربة جديدة في الشعر العربي ·

الشعر يدخل افق تجربته ، عبر معاناة طويلة ومعقدة · والقصيدة الجديدة ، الشاملة ، الغامضة ، المليئة باسرار الكشف والاكتشاف ، والتي يتدرج مرجعها الاصطلاحي من اليوت الى السرياليين والواقعية الاشتراكية ، مرورا ووقوفا عند التصوف العربي ، لم

★ عالم المعرفة (٢) الكويت ـ شباط (فبراير) ١٩٧٨ ·

تنبت فجاة · انها محصلة تحولات طويلة · انها محصلة معاناة ما يسمى بعصر « النهضة » ·

ومعاناة عصر « النهضة » بالغة التعقيد · انها معاناة رفض وقبول · رفض الغزو الاجنبي ، والاندراج في سياق قبوله · فكما كان « الاحياء » رفضا للنموذج القادم دون تمييز تياراته ، ودون القدرة على قراءة مقدماته ، كان القبول قبولا للمنطق الاستعماري الغربي ومحاولة انتماء الى الغرب · وبين حدي الرفض والقبول ، اخضعت المنطقة العربية لغزو لم تشهد له مثيلا · والى بداية تجزئة وتفتيت ·

بانهيار النموذج « الدولة الاسلامية » بالشكل المفجع الذي انتهت اليه الدولة العثمانية ، عبر احتضار طويل ، وتأسيس داخلي ـ خارجي لعملية التفتت · وجدت الثقافة العربية نفسها امام المأزق · فانفتحت على مأزقها · وتحولاتها ، بهذا المعنى ، ليست مجرد انعكاس للانهيار ، بل هي ايضا محاولة للخروج منه ·

وليس صدفة ، ان يكون الشعر العربي هو ارضية هذا الصراع · وهو المكان الذي عبر بانفجاره وباشكاليته الجديدة ، عن المأزق والمعاناة ومحاولات الخروج · لذلك ، وانطلاقا من واقع الثقافة العربية ، لم يتدرج الشعر في الخروج الى « الحداثة » او الى القيم الجديدة · انفجر انفجارا · وليس مصادفة ان يكون انفجاره انقطاعيا ، وكأن لا علاقة لمراحله المختلفة بعضها ببعض · هناك خيط من الوحدة يمكن اكتشافه عبر مرحلة الشعر ، لكنه خيط من التطور الانقطاعي · وكأن الشعر هو المؤشر الاول والاساسي لواقع الثقافة العربية ·

على ارض الشعر خيضت اكثر الاشكال تجريبية ، وتمت اجرأ محاولات تغيير مفاهيم الثقافة العربية · الشعر ديوان العرب ، وداخل هذا الديوان تم الانفجار ، واخضعت اللغة العربية ، والقيم الشعرية العربية لمراجعة صارمة وبالغة الجرأة · لكن هذه المراجعة ، كانت تنطلق دائما من قناعتها بمسؤوليتها الثقافية · فرغم كل التطرف التجديدي ، احتفظ هذا الشعر بنبرة تراثية ، وكأنه يريد عبر ثورته اثبات هويته · فليس صدفة ان تأخذ اللغة الصوفية والرموز الصوفية هذا الحجم في الشعر المعاصر · فهي ، الى جانب ظواهر اخرى : الاسطورة ، الرمز التاريخي ، الرمز الواقعي ، تحمل في جانب منها محاولة تأكيد الذات لحظة الخروج من ماضيها ، محاولة اثبات الجدارة عبر انتماء الى وجود حضاري متميز ، في لحظة كسر عمود الشعر كسرا لا عودة اليه · فالشعر الحديث والمعاصر ، انطلاقا من جماعة الديوان وحتى الان ، ليس مجرد تأثر سلبي بالثقافة الغربية واستعارة لاشكالها · بل هو كذلك محاولة لصياغة لغة الثورة على الغرب · هكذا تتداخل لحظتا التفتت في الاخضاع الاستعماري ، والوحدة في النضال ضد هذا الاخضاع ·

هنا يبرز سؤال بالغ الدلالة ·

عندما نقرأ النتاج النظري لبدايات التحول الشعري ، نفاجأ بحقيقة تبدو غير منطقية : تقدم نظري ، يصل مع جماعة ابوللو الى حد القبول بالشعر المنثور · وتخلف تطبيقي ،

يبقي القصيدة العربية داخل اطار عمود الشعر مع احداث تعديل رومانسي على بنيتها ، ومحاولة الوصول الى صيغة لوحدة القصيدة · (١)

في المقابل ، تأتي التجربة الجبرانية الموغلة في « الحداثة » لتقدم لنا نتاجا اشكاليا · انها تجربة لا تنضبط في الشكل · ادب لا شكل له · يضم جميع الاشكال ، لكنه لا يطور شكله الخاص · فتأتي الاندفاعة الجبرانية ، وكأنها اندفاعة بداية واندفاعة مأزق في آن معا · لذلك تقول التجربة الجبرانية وجهة وترسم افقا ، دون ان تستطيع تحديد ملامح هذا الافق ·

من الواضح ، انه بعد انهيار النموذج القديم ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، كان الفكر العربي الحديث والمعاصر ، اكثر قدرة للاستجابة للعلاقة بالفكر الغربي · وكانت استجابته التحديثية تلفيقية في جوهرها · لكنها واقعيا ، قبلت بانهيار النموذج القديم دون أن تقوم بعملية توفيق بين العقل والنقل ، كما حدث في العصر العباسي · بل قبلت نتائج العقل داخل قبولها الضمني والعلني للفكر السلفي · لذلك انصبت المعركة في المستوى الثقافي الادبي · وهنا ، كانت قدرة الاشكال الموروثة على المقاومة هائلة · فالشعر العربي ، وهو المصدر الثاني للغة والموروث ، استطاع أن يقاوم طويلا · هكذا حدث الاختراق اولا وكأنه من خارجه ، في المستوى النظري من جهة ، وفي التجربة الجبرانية من جهة ثانية · لذلك تقدم المستوى النظري ، كما لم تستطع التجربة الجبرانية ، بوصفها تجربة قادمة من خارج الموروث ، على التشكل ·

من الاحياء ، ميزة وعلامة النهضة ، الى الشعر المعاصر الذي يكسر العمود الشعري ، مسافة طويلة تتلون بعنصرين :

ـ الثقافة الحديثة ، بوصفها نموذجا للحياة الحديثة في المجتمع التابع ·

ـ مزج الماضي التاريخي بالحياة اليومية ، داخل نسق جديد لبنية القصيدة ·

يأتلف هذان العنصران في الذاكرة ـ اللغة · ويجدان قعرهما الحقيقي في التأكيد الدائم للذات ، عبر البحث عنها وتجسيمها ، في محاولة للخروج من رومانسية البدايات ·

النقد المرآة

كيف ندرس نقد الشعر الحديث والمعاصر ؟

النقد هو تصنيف وتنظير للتجربة الابداعية ، عبر ادراجها في كل ادبي وثقافي · لذلك يأتي النقد بعد الابداع ، يقرأ النص او يقدم قراءات مختلفة له ، ثم يصنفه داخل الحركة الادبية العامة · لكن النقد ، لا يقوم بهذاالدور دائما · فمن خلال قراءة تجربة الشعر الحديث والمعاصر ، نكتشف ان النقد النظري او الطرح النقدي كان اكثر تقدما او جراة من التطبيق العملي · هذا ما تشير اليه تجربة الديوان وابوللو ، وتجربة مجلة شعر · هكذا يصبح النقد مرآة · وهو مرآة للحركة الثقافية العامة ، وليس فقط للنتاج الادبي · انه لحظة تؤشر للطموح الثقافي الادبي · فاذا قرأنا النتاج النقدي الذي ارتبط بالتحول

---

(١) في الجزء الثالث من كتابه **الثابت والمتحول ، صدمة الحداثة** ، دار العودة بيروت ١٩٧٨ · يقدم ادونيس عرضا تفصيليا لهذه الناحية ، الحداثة النظرية · ص ١٠٩ ·

في الشعر العربي المعاصر (خالدة سعيد ، يوسف الخال ، جبرا ابراهيم جبرا ، ادونيس ، انسي الحاج ، غالي شكري ، رجاء النقاش ...) نكتشف ان هذا النقد ، هو اساسا محاولة مواكبة ، ينغرس في التجربة الشعرية ، ليس من اجل تصنيفها ، بل من اجل ان يقول لغتها · يحاول ان لا يعكس واقع التجربة الشعرية فقط ، بل يعكس طموحاتها ايضا · هل هذا هو سبب اختلاط المصطلح النقدي وعدم انضباطه بشكل علمي ؟ · هل يعني هذا ، ان المرآة النقدية هي اشارات داخل مسار الشعر ، ولكنها لا تلعب الدور المفترض بالنقد ؟ الاجابة على هذا التساؤل بالغة الصعوبة · فالكثير من النقاد هم شعراء في الوقت نفسه · وهم حين ينظرون ، لا ينظرون لتجربتهم الشعرية فقط ، بل لمستقبلها ايضا · وربما لم نصل بعد ، في ظل الوضعية الثقافية الراهنة ، الى القدرة على صياغة نقد يصنف ويدرج في التاريخ الادبي · وهذا ما تشير اليه جميع المحاولات الاكاديمية او الجامعية في نقد الشعر المعاصر ، من نازك الملائكة الى احسان عباس ·

نقد التجربة من داخلها ، هو نقد يواكب ويدفع ويحاول ان يرسم الاتجاه · لذلك ، وعلى المستوى الشعري والابداعي ، لا معنى لتقدمه احيانا على التجربة الابداعية · فاذا كان النقد هو مرآة الثقافة ، فالشعر هو مؤشرها · لان في معاناته يكمن التحدي الحقيقي ، تحدي الواقع الجديد للذاكرة ـ اللغة ، وتحدي الثورة للغتها ·

هذا النقد الذي يواكب ، هو جزء لا يتجزأ من التجربة الشعرية المعاصرة · وهو يقع بين لحظتين : لحظة البحث عن لغته العلمية المفهومية ، ولحظة الكتابة على هامش الشعر او من خلاله ، او من مستقبله · ودراسة هذا النقد وتصنيفه ، سوف يكون مؤشرا بالغ الدلالة لمرحلة ثقافية كاملة · لانها تكشف عن جدل الولادة واشكالياتها ·

النقد الجامعي

الى جانب هذا النقد ، برزت محاولات جامعية او شبه جامعية لدراسة الشعر المعاصر · والملاحظ ان النقاد هنا ، ليسوا شعراء باستثناء نازك الملائكة · كما ان كتاباتهم النقدية تندرج في محاولة التنظير والتصنيف والنمذجة · محاولة لكتابة تاريخ الشعر المعاصر ·

ربما كان كتاب احسان عباس « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » هو اكثرها اهمية ، واكثرها قدرة على طرح الاسئلة حول النقد وانطلاقا منه · ولكن قبل مناقشة كتاب عباس ، فاننا سنتوقف عند الافكار الرئيسية في ابرز المحاولات الجامعية أو شبه الجامعية في النقد ·

نازك الملائكة : الشعر ظاهرة عروضية

في كتابها « قضايا الشعر المعاصر (٢) » ، تنطلق الملائكة من فرضية كون « الشعر الحر » ظاهرة عروضية · « نلح مع ذلك على التذكير ، بان الشعر الحر ظاهرة عروضية قبل كل شيء · وذلك انه يتناول الشكل الموسيقي للقصيدة ويتعلق بعدد التفعيلات في الشطر ، ويعنى بترتيب الاشطر والقوافي ، واسلوب استعمال التدوير والزحاف والوتد وغير ذلك مما هو قضايا عروضية بحتة» · في محاولتها وضع قواعد ثابتة لما تسميه الشعر الحر،

---

(٢) نازك الملائكة : **قضايا الشعر المعاصر** دار الآداب بيروت · تشرين الاول ١٩٦٢ ·

تقوم نازك الملائكة عبر لجوئها الى سيف الدراسة العروضية ، بالغاء جميع مبررات وجود شعر جديد يختلف عن الشعر الذي سبقه · فالشعر ، قديمه وجديده ، لم يكن في اي لحظة ظاهرة عروضية كما تزعم المؤلفة · وعندما تحشر الملائكة نفسها في الزاوية العروضية ، فانها تعبر خلف قناع النقد العلمي والعروضي عن تجربتها الشعرية الخاصة · اي انها اجرأ الشعراء المعاصرين في الباس تجربتها الشعرية ثوبا علميا · لكن هذا الثوب يكشف التجربة ولا يحجبها · فهي ، ومن اجل الهجوم على قصيدة النثر ، تقوم باستعارة تعريف قدامة بن جعفر للشعر « الشعر هو قول موزون مقفى يدل على معنى » · لكنها تعبىء المعنى ، بالمعاني الرومانسية ، رغم تأكيدها في مكان اخر من كتابها بأن الاوزان الحرة « تتيح الهرب من الاجواء الرومانتيكية » · تقول في تعريفها للشعر : « للشعر ركنان ضروريان لا بد منهما في كل شعر : ١ ـ النظم الجيد (الشكل) او الوزن · ٢ ـ المحتوى الجميل الموحي ، المتموج بالظلال الخافتة والاشعاع الغامض ، الذي تنتشي له النفس دون ان تشخص سر النشوة » ·

سوف يقود هذا الفهم العروضي للشعر الى الغاء التجربة الشعرية الجديدة · فتصبح الاوزان الحرة اكثر صلاحية للشعر الدرامي والقصصي منها لغيره ، وعلى الشعر الحر « ان لا يطغى على شعرنا المعاصر كل الطغيان » ·

في هذا الكتاب ، يقع الشعر العربي المعاصر في أولى مآسيه النقدية · الفصل الصارم بين الشكل والمضمون · محاولة بتر وسحق افاق التجربة التي بدأت · تقنين الشعر في قوالب شبه جاهزة · استخدام العروض الخليلي ، ليس من اجل استنباط قيم موسيقية جديدة انطلاقا من الجديد الذي في القصيدة ، بل بالعودة الى مقاييس الاذن العربية « السليمة » ، وحشر الشعر في الزاوية الرومانسية البليدة والغائه كتجربة · هكذا تتابع الملائكة تراث الفصل بين المعنى والمبنى ، من اجل تأكيد مقولة قديمة · فالمبنى جاهز ، او شبه جاهز ، او قامت الشاعرة ـ الناقدة بتجهيزه ، وما على الشعراء سوى تعبئته بالمعاني الجميلة المليئة بالظلال ·

محمد النويهي : الشعر المنطلق

ينهي محمد النويهي كتابه « قضية الشعر الجديد (٣) » ، بالدعوة الى اعتماد مصطلح الشعر المنطلق · والكتاب يبدأ بمقالة اليوت « موسيقى الشعر » ، ليخلص منها الى هذا الاستنتاج : « انها [مقالة اليوت] تحمل دعوتين كبيرتين : اولاهما الدعوة الى اقتراب لغة الشعر من لغة الحديث ، وثانيها الدعوة الى تغيير الاشكال الشعرية تغييرا مستمرا ، وهذه الثانية تنبع من الاولى » · الاقتراب من لغة الحديث ، هي نقطة المنطلق في كتاب النويهي · وعلى هذا الاساس ، يحاول البحث عن تطبيق لنظريته في نماذج من الشعر المعاصر ، فلا يجد امامه سوى نماذج من شعر صلاح عبد الصبور دون سواه تقريبا · وهو في تفسيره لظاهرة انطلاق الشعر الجديد ، ينسى مقدمته الاليوتية ليؤكد على الاسباب الداخلية : « فالشكل التقليدي لم يعد قادرا على النهوض بمضمون جديد · لقد صار شديد الارتباط بالمعاني التقليدية والطرق التقليدية في التعبير ··· حتى لم يعد

---

(٣) محمد النويهي : **قضية الشعر الجديد** جامعة الدول العربية · معهد الدراسات العربية العالية · ١٩٦٤ ·

يستطيع ان يحمل معنى جديدا او موقفا جديدا او طريقة جديدة في التعبير » ٠

ثم يفرد المؤلف فصلا خاصا لدعوته الى تطبيق النبر (المأخوذ عن اوزان الشعر الغربي) كقاعدة ايقاعية للقصيدة الجديدة ٠ ثم ينتهي الى مناقشة تفصيلية لكتاب نازك الملائكة ٠

الملاحظة الرئيسية التي نخرج بها من قراءة كتاب النويهي ، هي ان الناقد ينطلق من نموذج خارجي ، تجري محاولة صياغته تطبيقيا في كتاب هو مجموعة من المقالات المتفرقة ، تدور حول فرضية اساسية : تحديث الشعر باللجوء الى المفهوم الاليوتي ، ثم استخدام النبر ٠ هنا ايضا ، لا نجد انعكاسا لهموم الممارسة الشعرية نفسها ، ونظل عند مصطلح نقدي لم يتبلور ٠

عز الدين اسماعيل : الظواهر الفنية والظواهر المعنوية

ربما كان كتاب عز الدين اسماعيل : « الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية » (٤) ، هو اكثر التجارب النقدية الجامعية محاولة للانطلاق من روحية التجربة الشعرية الجديدة ٠ فهو ينطلق من ضرورة فهم روح العصر ، « فليس المهم بالنسبة للتجديد هو ملاحظة شواهد العصر ، ولكن المهم هو فهم روح العصر » ٠ لكن الكتاب يقع في مأزق تقسيم دراسة الشعر الى دراسة للظواهر الفنية واخرى للظواهر المعنوية ٠ اي يقع ايضا في الفصل بين المعنى والمبنى ، رغم انه يحاول تدارك مشكلة هذا الفصل عبر اللجوء الى دراسة معمارية القصيدة الجديدة ٠

هكذا تبقى مسألة النقد ، في صعوبة التصنيف الاكاديمي للتجربة الجديدة ٠ فالتجربة لا تزال في مراحل تحولاتها ، وهي بذلك لا يمكن ان تدرس الا عبر اكتشاف ادوات نقدية من داخلها ٠

تقودنا هذه الملاحظات الاولية ، على بعض محاولات النقد الجامعي لدراسة الشعر المعاصر الى استنتاجين رئيسيين :

١ ـ يقوم النقد الجامعي في دراسته للشعر المعاصر بفصل الشكل عن المضمون ٠ ثم التركيز على احدهما ٠ وهذا الفصل التعسفي ، هو خارج طموح التجربة الشعرية الجديدة ٠ فالمسألة المركزية التي تحاولها هذه التجربة هي الغاء هذا الفصل ٠ المبنى هو المعنى ٠ ان اساس التجربة الشعرية هو محاولتها الغاء مفهوم مطابقة اللفظ للمعنى ٠ فاللفظ هو احتمالات معان ٠ وبنية القصيدة هي حركة مضمونها ٠ هكذا يقود الفصل التعسفي بين المسألتين الى تحطيم مفهوم القصيدة الجديدة ، وتقنينها داخل مصطلح نقدي من خارجها ٠

٢ ـ محاولة تقنين التجربة الشعرية على المستوى النقدي في مفاهيم تسقط من خارجها ٠ اما بالعودة الى الماضي الثقافي ، او باللجوء الى الثقافة الغربية ٠ في الحالة الاولى ، يكتشف النقد كما مع نازك الملائكة عدم ضرورة القصيدة الجديدة ، ويجري التعامل مع الشعر على اساس اغراضه ٠ فالشعر القصصي والمسرحي هو ميدان العروض

---

(٤) عز الدين اسماعيل : **الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية** ٠ دار العودة ودار الثقافة بيروت ٠ الطبعة الثانية ١٩٧٢ ٠

الجديد ، اما بقية اغراض الشعر فيجب « نظمها » على الطريقة الخليلية · اما في الحالة الثانية ، فيقوم النقد باهمال كامل لمسالة اللغه ـ الذاكرة ، ودورها وامكانياتها في التحول وفرض مجموعة من قيمها · هكذا يتحول النقد الى كتابة من خارج الشعر · ولا تجد التجربة الشعرية الجديدة امامها وحولها سوى النقد المرآة ، الذي هو جزء من تجربتها هي ·

البحث عن المضمون

هل تصلح هذه المقدمة اساسا لقراءة كتاب احسان عباس « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » ؟ نتوقف طويلا عند هذا الكتاب لسببين رئيسيين :

فهو أولا ، اكثر الكتب النقدية الجامعية شمولية ، رغم انه ينحو منحى تبسيطيا مقصودا ·

وهو ثانيا ، جزء من تجربة نقدية هامة · فعباس هو من النقاد والدارسين القلائل الذين درسوا شعرنا ونقدنا القديمين ، ثم درسوا الشعر المعاصر ، وكتابه هذا هو الثالث في دراسة الشعر المعاصر بعد كتابين عن البياتي والسياب (٥) ·

يبحث عباس في كتابه عن المضمون في الشعر المعاصر · وهو يقدم في بحثه هذا دراسة انطباعية تتصف بالشمولية ومحاولتها الاحاطة بالكثير من مسائل الشعر المعاصر ·

سوف نقرأ الكتاب كما يقدم نفسه ، ثم سنحاول ان نطرح عليه اسئلة من خارج منهجه · وبهذا نكون قد درسنا محاولة عباس النقدية من داخل منطقها ، ثم نعرضها لمنطق من خارجها ·

١ ـ المضمون والكتابة الانطباعية

منذ الصفحة الاولى في الكتاب ، نشعر ان عباس يحاول التهرب من صياغة منهج محدد لبحثه ، عبر اللجوء الى النظرة الشمولية ، او الاشارة الى صعوبة عمله : « فالتبسيط والايجاز اللذين قد يقعان في تعارض احيانا » · ثم ينتقل الى شرح مقتربه : « اني رضيت بالحد الادنى من دور الناقد التشريحي التحليلي » · ثم يقدم تحديدا للشعر : « اذ لم يعد الشعر صورة من صور الادب بل اصبح شيئا مستقلا ، والفرق بينهما ان الادب نتاج فعل الموهبة داخل حدود مرسومة ، وان الشعر كشف ذو مهمتين ، تحويل العالم وتفسير الغالم » · ثم يقدم تفسيرا لفصله دراسة المضمون عن دراسة الشكل : « لقد كان من المتوقع أن اخصص فيها فصلا للحديث عن الاتجاهات التي سلكها الشعر المعاصر في الشكل ، ولكن حال دون ذلك امور منها ان الدراسة تعز على التبسيط جملة ··· كما ان تفاوت هذه الوسائل [الكلمة ، الصورة ، الوان المبنى] واهدافها في الشعر المعاصر يكاد لا ينضبط · وهو حقل جدير بدراسة مستقلة او بعدد من الدراسات » ·

---

(٥) **عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث** · دار بيروت ١٩٥٥ · **بدر شاكر السياب ، دراسة في حياته وشعره** · دار الثقافة بيروت ١٩٦٩ ·

بعد هذه المقدمة ، يقسم عباس كتابه الى قسمين · حيث يعالج اولا بدايات الثورة في الشعر المعاصر ، ثم ينتقل الى دراسة « مواقف » الشعر المعاصر من مجموعة من القضايا ، الزمن ، المدنية ، التراث ، الحب ، المجتمع ·

يبدأ **القسم الاول** بنظرة تاريخية موجزة ، تتوقف عند قصيدة محمود حسن اسماعيل « خريف الربيع » حيث يطرح عباس ، بشكل سريع ، مسألة الصراع بين الفهم والايحاء · وهو ينسب ، وان بشكل غير مباشر ، انفجار الشكل الشعري الى هذا الصراع الذي دخل الشعر العربي عبم القيم الرومانسية · ثم يشير الى ثلاثة عوامل ساهمت في الثورة الشعرية التي بدأت في الشكل : تأثير الشعر الانكليزي ، التخلص من رتابة القافية ، التنويع في عدد التفعيلات · ثم يعطي الريادة الشعرية لنازك : « ظهور هذه الانطلاقة الشعرية وسندها بالقواعد المؤيدة على يد شاعرة » · ثم ينتقل الى التفسير · ويتوقف في تفسيره عند ظاهرة كون امرأة هي رائدة هذا اللون الجديد من الشعر : « محاولة التغلغل الى اعماق النفس في مجتمع لم يتعود صراحة المرأة في التعبير عن مشاعرها » · و «للمرأة في تقبل البدعة حظ كبير · اضف الى ذلك ان البدعة الجديدة تبعث لديها شعورا بالتفوق » ·

هنا لا بد من طرح الاسئلة التالية :

لماذا في النظرة التاريخية هذه لم يجر التوقف عند تجربة ابوللو بأسرها وعند الاندفاعة الجبرانية ؟ وهل يمكن فعلا ان نفهم الثورة الشعرية دون ان نفهم مقدماتها الحقيقية ؟

ثم حين يشير عباس الى عوامل هذه الثورة ، يمر سريعا على التأثر بالشعر الانكليزي ، ولا يتوقف عند الدلالات الثقافية البالغة الاهمية الكامنة خلف هذا التأثر · فالشعر الاجنبي يصبح هو النموذج ، وانطلاقا منه تجري محاكمة الواقع الشعري العربي · اما حين يحاول الكتاب التفسير ، فانه يقع في الهاوية السيكولوجية · فيصبح الشعر الجديد انجازا نسائيا ! ــ وهذا انصاف متطرف للمرأة ، وتعويض لها عن القمع الاجتماعي الذي تتعرض له ــ · وعباس حين يقبل افتراض البواكير الاولى ، وهي قصائد رومانسية لا تضيف جديدا سوى كونها تحمل تاريخ محاولة التفلت من العروض الشعري القديم ، لا يجد تفسيرا لافتراضه الا في العودة الى مفاهيم سيكولوجية لا يمكن اسنادها · هنا ، وامام هذا المأزق النقدي ، يحاول الكتاب الالتفاف عبر تحليل ثلاث قصائد من هذه البواكير : « الخيط المشدود في شجرة السرو » لنازك ، « السوق القديم » للسياب ، و « سوق القرية » للبياتي · ويكتشف النقد ، بعد تحليل مستفيض لهذه القصائد ، ان هذه البواكير قد لا تكون هي بداية الشعر الجديد · او أن هذا الشعر تأسس في مرحلة لاحقة · فيصوغ عباس استنتاجه حول قصيدة نازك كسؤال : « ومع ذلك يحس القارىء لهذه القصيدة انها تنفرد بسمات مميزة : ومن ابرز تلك السمات طريقة خلق التوازي ، وخلق الجو شبه الديني ، والالتفات الى العناصر الصغيرة التي بها يكتمل نظام المبنى ، فهل هذا كله من اثر انتحال شكل جديد ؟ مهما يكن الجواب على ذلك ، فان هذا الشكل قد يسر الجانب التحليلي ، وقوى العنصر الدرامي ، وجعل للتوازي مجالا واسعا » ·

الخلل الرئيسي في هذا المدخل ، هو طابعه الشمولي · فهو يريد ان يقول كل شيء دفعة واحدة · فاذا كان الشعر هو محاولة لتغيير العالم وتفسيره ، فما هي علاقة البواكير الاولى بهذه المسألة · ولماذا لا تدرس هذه البواكير في افقها · اي في التحول الجذري الذي سيطرأ على بنية القصيدة العربية ابتداء من « انشودة المطر » للسياب ؟ · فانطلاقا

من تحرر القصيدة المعاصرة من الآثار الرومانسية ، سوف يمتد خط شعري من المحاولات والاخفاقات · وما الظاهرة التي يتوقف عباس عندها ، من اجل ان يبرر استمرار الرومانسية (ظاهرة الشعر في الارض المحتلة) الا دليلا جديدا على عدم قدرة الرومانسية على تبرير وجودها · فالشعر الفلسطيني الذي يتمثل بأصوات درويش والقاسم وزياد ، كان في رومانسيته ، يحمل تاريخا خاصا · لم تلبث التجارب والنضج الفني والتقني ان قادته الى كتابات مختلفة ·

قبل ان ينتقل الناقد الى القسم الثاني من كتابه ، يقوم باستعراض سريع وغير منهجي للعوامل التي تحدد الاتجاهات الشعرية · فيشير الى فلسطين ، غابة الحقوق ، موقف الشاعر من فكر عصره ، دور المجلة والصحيفة ووسائل الاعلام ، نمو المدن ، شخصية الشاعر ، ثم يستدرك : « وعلينا ان نتذكر ان ما عددناه من عوامل لم يوضع بحسب قسمة منطقية دقيقة ، وانما هو وليد خواطر مرسلة ، وان بعضه قد يصلح ان يكون سببا ، وبعضه يصلح ان يكون نتيجة » · لكن هذا الاستدراك الاستباقي لن ينقذ القسم الثاني من الكتاب من الخلل المنهجي · فالانطباعية التي تحدد عرض العوامل سوف تعكس نفسها على « المواقف » · فنقف امام لوحة متكسرة ، لسياق لا نستطيع اكتشاف لحمته ، ولتركيب لا نستطيع فهم علاقات عناصره ، وكيف جرى الانتقال من موقف الى موقف ، ومن شاعر الى شاعر ، ومن مقطع في قصيدة الى مقطع في قصيدة اخرى ·

القسم الثاني من الكتاب ، هو دراسة تفصيلية لمواقف الشعر المعاصر من القضايا الكبرى · هنا ، سوف تفتت التجربة الشعرية ، وتحشر في انساق جاهزة ·

١ ـ الموقف من الزمن

في دراسته للموقف من الزمن ، يتوقف عباس عند مواقف حاوي ، السياب ، نازك ، أدونيس ودرويش من الزمن · ويحاول عبر هذا التوقف ان يلتقط مفاصل الزمن في مضامين بعض القصائد من اجل ان يخرج الى استنتاجات عامة ، والى نمذجة سريعة تقسم الزمن الى ثلاثة ازمنة · الزمن المتجمد (حاوي والسياب بشكل جزئي ، رغم ان السياب ينفرد بمحاولة احياء الطفولة ومواجهته لموته الخاص) · الزمن الرومانسي (نازك ودرويش ، رغم ان درويش يحاول الاقتراب في قصائده الاخيرة من الزمن القائم على الصيرورة) · وزمن الصيرورة (ادونيس ، الذي لا يبحث عن زمن ضائع كما فعل بروست ، وانما يلاحق زمنا لم يولد بعد) · ويصل في نهاية هذا الفصل الى استنتاج وصفي ، يقسم فيه الزمن الى زمن رومانسي وزمن قائم على الصيرورة ، دون ان يشرح العلاقة بين هذين الزمنين ، أو يربط مسألة الموقف من الزمن بالمواقف الاخرى التي يعالجها في كتابه ·

هنا ، وامام مسألة الزمن ، نتوقف عند ظاهرة خاصة بالكتاب ، وهي بروز الطابع الانتقائي والعام في التصنيف · اي ان الناقد ، وامام انسداد منهجه بالتصنيفات المسبقة وبالتوقف عند الموضوعات فقط ، يجد نفسه مضطرا الى القيام بعملية كسر وبتر للقصيدة · يتوقف عند المقاطع الشعرية ولا يكشف علاقاتها بالقصيدة او بالقصائد التي تجتزأ هذه المقاطع منها · ثم لا تربط القصيدة الواحدة بمجمل التجربة الشعرية للشاعر الا بشكل خارجي · فيتقولب الشعر بشكل جاهز داخل منطق انطباعي يستدعي الذاكرة ، ولا يكتشف او يكشف · وقبل أن نناقش مسألة النقد الموضوعاتي وامكانياتها ، نتساءل

لماذا لا يقدم الكتاب صفات الزمن كما وردت في الشعر المعاصر · فالشعر المعاصر ملىء في تعامله مع الزمن بالصفات المختلفة التي تعطى للزمن · فلو بدأ الكتاب بالوصف ، لاستطاع ان يقدم ، على الاقل ، نمذجة للصفات تسمح له بالانتقال الى نمذجة الحركة · هنا ، في الحركة ، لا يستطيع النقد ان يتساءل حول زمن موضوع القصيدة دون ان يتساءل حول **زمن القصيدة** · والفرق كبير بين المسألتين · انه الفرق بين نثر النص الشعري ، اي افقاده ما يبرره كشعر واخضاعه لنقد من خارج التجربة الفنية ، حيث نبقى داخل النسق النقدي الذي يفصل المبنى عن المعنى ، ويحاول ان يكتشف في المعنى الدلالات المباشرة لمطابقة المعاني ، وبين اعتبار العمل الفني وحدة داخلية ، لا يمكن فهمها الا انطلاقا من وحدتها · زمن القصيدة هو الذي يكشف بنية « ازمنتها الموضوعاتية » · فالموضوع هو جزء من بناء زمن شعري · وداخل هذا الزمن نستطيع ان نصنف أزمنة الافعال ، وعلاقات صفات الزمن ، والموروث الشعري ـ الذاكرة · هل نستطيع ان نجد تفسيرا لمنحى عباس النقدي في توقفه عند تجارب الستينات في الشعر المعاصر ؟ · لماذا لا يعالج قصائد ادونيس ابتداء من « هذا هو اسمي » ، او قصائد درويش ابتداء من « سرحان » · ام أن عدم دراسة هذه القصائد يكشف نظرة تقليدية جديدة الى الشعر المعاصر !

واخيرا ، ما هي علاقة زمن القصيدة بالزمن في القصيدة · فعلى ضوء التجربة الشعرية الجديدة ، كيف ندرس علاقة المبنى بالمعنى ؟ وهل هناك مبرر لمثل هذه الدراسة ؟ وهل نستطيع ان نكتشف من خلالها علاقة بين زمن الواقع ، زمن التحول والثورة والتراجع ، وزمن القصيدة ؟ لا تطرح هذه الاسئلة ضمن اشكالية دراسة عباس للموقف من الزمن · **فالزمن معطى خارجي** · **انه موضوع للشعر** · فتتوقف الدراسة عند التقاط علامات بارزة ، ولا تبحث عن علاقاتها بالتجربة الجديدة · هكذا نبقى ، امام نقد يحاول استعجال التصنيف والتأريخ قبل اكتمال عناصرهما ·

ب ـ الموقف من المدينة

بعد مقدمة عامة تطرح اسئلة دون ان تجيب عليها · ولا تتوغل في التساؤل عن معنى المدينة العربية الحديثة ، وعلاقتها بالمدينة القديمة · عن معنى مدن الصفيح التي تحيط بالمدن العربية ، وعن علاقة تفتت الريف بنمو المدينة في زمن هيمنة الرأسمالية التابعة · ينتقل عباس الى تصنيفاته السريعة لمواقف الشعراء من المدينة · فيتوقف عند السياب ، حجازي ، محمد عفيفي مطر ، البياتي ، قاسم حداد ، سميح القاسم ، خليل حاوي وادونيس · ويصل في نهاية الفصل الى استنتاجات عامة ، حيث يسجل اربعة اتجاهات لموقف الشاعر من المدينة ·

١ ـ رد فعل رومانسي خالص ·

٢ ـ تشكل المدينة بحسب الانتماء العقائدي او الوضع النفسي الفردي ، فالمدينة وعاء لا يتغير ·

٣ ـ اعتبار المدينة واقعا مسطحا ينعكس على وجهه تمزق الشاعر أو التوتر الوجودي بينه وبين المدينة ·

٤ ـ اعتبار المدينة الغربية رمزا للحضارة الحديثة ·

في هذا التحليل التفصيلي ، الذي يقدمه الكتاب ، للموقف من المدينة ، نكتشف قصور المنهج الوصفي الذي يحكم بنية النص النقدي · فهذا الاستعراض السريع لمواقف الشعراء من المدينة ، يفكك المواقف ولا يوحدها · اي لا يكشف في النهاية عن نسق او انساق مختلفة · ثم حين يصل الى الاستنتاج النهائي ، نكتشف ان الموقف من المدينة يصبح موقفا من كل شيء · فهي **وعاء ورمز ووجه** · تصبح دراسة المدينة اطارا لدراسة جملة من المواقف · هنا يطرح السؤال الرئيسي الذي يواجهنا في هذا الكتاب · **لماذا سلسلة المواقف هذه** ؟ والى اين تقود ؟ نستطيع ان نفهم دراسة اثر المدنية في الشعر : العلاقة بين تطور المدينة العربية المعاصرة وتطور القصيدة المعاصرة · انهيار الريف وولادة اشكال شعرية جديدة · التغريب الثقافي والفكري ومسألة المدينة في الشعر المعاصر · طبعا يمكن التوقف هنا عند استثناءات محددة ، حيث يمكن ان تشكل دراسة تجربة حجازي من المدينة والتي كرس لها ديوانه « مدينة بلا قلب » نموذجا لدراسة الاسئلة التي طرحناها والتي لم يطرحها الكتاب · او يمكن ان تشكل قصيدة « قبر من اجل نيويورك » مدخلا لدراسة مجموعة من الاسئلة الاخرى ·

ج ـ الموقف من التراث

ربما كان الموقف من التراث ، احد اكثر اقسام الكتاب اشكالية · فهو يطرح مجموعة من المسائل للنقاش ، ويشير الى اسئلة محددة ، ويتهم احيانا « بموضوعيته » الاكاديمية ، كمثل اشارته الى انتماء بعض الشعراء المحدثين الى الاقليات العرقية والمذهبية والطائفية ؟

ينطلق هذا الفصل من نص للناقد الفرنسي رولان بارت يشير فيه الى الذاكرة الثانية التي تملكها الكلمات · ثم يصنف الناقد الموقف من التراث في اربعة مواقف : التراث الشعبي ، الاقنعة ، المرايا ، التراث الاسطوري · ويقدم انطلاقا من هذا التصنيف مجموعة نماذج مختلفة ، لمواقف الشعراء المعاصرين من التراث · فالتراث الشعبي ، هو جسر يمتد بين الشاعر والناس · والاقنعة ، هي شخصيات تاريخية يختبىء الشاعر خلفها · والمرايا ، هي صورة ذاتية تنعكس عليها الرموز · والتراث الاسطوري ، هو تحويل التاريخ الى لون من الاسطورة لتتم للاسطورة سيطرتها الكاملة ·

السؤال الاساسي الذي يطرحه هذا الفصل هو سؤال منهجي · فكيف يتم الربط بين العناصر « التراثية » المختلفة في التجربة الشعرية المعاصرة ؟ ثم ما هي دلالات هذا الاستخدام المكثف للرموز ؟

يتوقف عباس عند مجموعة من النقاط التي تحاول الاجابة على هذا السؤال ، والتي يمكن وضعها في نسقين :

ـ نسق شعري ، حيث يتكلم عن محاولة الوصول الى الدرامية عبر استخدام الاقنعة التاريخية · رغم ان « رقة الحاجز بين الاصل والقناع تضع هذه الدرامية في ابسط حالاتها » ·

ـ نسق ايديولوجي ، حين يفسر اللجوء الى التراث الاسطوري بالتعبير عن القلق او البعث او العذاب ·

لكن لا وجود للربط بين النسقين · ولا وجود لمحاولة تحديد دقيق للفروق بين التعابير

المستخدمة · فما هو الفرق بين القناع والمرايا التاريخية ؟ وما هي علاقة الرمز الاسطوري بالرمز التاريخي ؟ ولماذا وجد الشعر المعاصر نفسه مندفعا ، في لحظة تاريخية محددة ، الى الرمز الاسطوري والتاريخي ، ثم اخيرا كيف نفهم استخدام الموروث الشعبي في الشعر المعاصر ؟

تبدو الاجابة على هذه الاسئلة بالغة التعقيد · لكنها لا يمكن ان تتم خارج اكتشاف انساق الشعر المعاصر ، ومحاولاته الخروج من الرخاوة الرومانسية ، واضطراره في غمرة بحثه عن ثورته الكاملة على النموذج القديم ، الى اكتشاف ادوات ربط بالماضي · فالربط لا يتم فقط عبر ذاكرة الكلمات الثانية ، لكنه يتم بشكل ايديولوجي شبه قصدي · وكأن الشعر بوصفه مؤشرا ثقافيا عاما ، وجد نفسه مضطرا الى تأكيد الذات لحظة الثورة عليها · والى تقديم تفسير جديد للماضي عبر وضعه داخل سياق الثورة القادمة ·

تبقى اخيرا ، مسألة اعتبار استخدام التراث في القصيدة وكأنه موقف من التراث · هنا ، يتم حجب جملة من التجارب الشعرية التي تستعير الرمز او ترمز الواقع ، في مسار يستكمل اتكاء الشعر على الرمز الاسطوري والتاريخي ، مع احداث تعديلات داخل هذا المسار · هنا يجب التوقف عند لحظتين متميزتين :

اللحظة الاولى والتي يمكن تسميتها بالرمز الواقعي ، حيث تؤخذ شخصية واقعية اطارا لبناء درامية القصيدة · شخصية سرحان التي تمتد على مساحة تجربة درويش انطلاقا من « احبك او لا احبك » · او تفاصيل الحياة اليومية القادمة من الذاكرة والتي تشكل عامل ترابط مستويي التجربة الشعرية : التحول الثوري واللغة الصوفية ، كما في قصيدة ادونيس « مفرد بصيغة الجمع » ·

اللحظة الثانية هي اشعال الواقع بالحلم · والانطلاق من التفاصيل ومن عناصرها التي تترابط في زمن القصيدة ، لتشكل عالما رؤيويا خاصا كما في تجربة سعدي يوسف ·

ان اعتبار مسألة التراث ، موقفا شعريا من مسألة خارج القصيدة ، يقود الى عدم القدرة على الاحاطة باهم مناحي التجربة الشعرية المعاصرة · فالشعر المعاصر كان منذ البداية محكوما بهاجس التجديد والثورة · وكان كذلك يحاول عدم احداث قطيعة مع الماضي ، بل كان يريد اعادة فهمه وتفسيره على ضوء الواقع الشعري الجديد · ثم واخيرا ، وفي ظل القمع السياسي ، كان الشعر يستعير بعض الاشكال الرمزية كي يختبىء خلفها · وهذا هو التفسير الحقيقي لملاحظة عباس بأن الاقنعة تضع الدرامية في ابسط حالاتها ·

د ـ الموقف من الحب

في دراسة الموقف من الحب يتوقف عباس طويلا عند تجربة قباني ليقدم ربطا بين مستويي الجنس والابداع · ثم يتوقف عند عبد الصبور والبياتي (الحب قوة كونية) وادونيس (الحب الجسدي) ودرويش (وحدة الشاعر والام والحبيبة والارض) · ثم يتوقف عند شعر المرأة : فدوى طوقان وسلمى الخضراء الجيوسي ، ليعود بنا الى المنحى السيكولوجي « والمرأة اكثر اخلاصا في الحب من الرجل ··· انها لا تتفلسف كثيرا حول الحب كما يفعل الرجل ، وهي اكثر التصاقا بالواقعية في الحب منه » · هنا تبرز تقليدية هذا النقد امام تجربة جديدة تصبح مستعصية على التفسير بالادوات النقدية المتداولة ·

هل نستطيع فعلا ان ندرس الموقف من الحب ؟ · الا يختلط الحب بمفاهيم وحالات اخرى بحيث يصبح اطارا للتحولات ، او رمزا للعلاقة الصراعية بالثورة ، او شكلا من اشكال الرمز · واخيرا ، وفي تحليل شعر قباني يجري اهمال جميع جوانب بنية قصيدته ، وعلاقة المرأة ـ في هذا الشعر ـ بالكل الاجتماعي ·

هـ ـ الموقف من المجتمع

لا ينكشف عجز المنهج النقدي بشكل صارخ الا في الفصل الاخير من الكتاب · حيث لا يجري التوقف عند الشعر ، بل عند نظرات عامة في علاقة الشعر بالمجتمع · اما حين يطرح مسألة علاقة الصوفية في الشعر بالماركسية ، فهو يطرح السؤال دون ان يقدم الاجابة ، لانه لا يحلل ظاهرة اللغة الصوفية في التجربة الشعرية المعاصرة الا بشكل وصفي وخارجي ·

٢ ـ اسئلة النقد

« وهذا يلفتنا الى شيء هام يتناول اكثر الشعر المعاصر ، وهو ان الشاعر رغم كل المحاولات التجديدية اذا استثنينا قلة من الشعراء ، لا يحفل كثيرا بخلق المبنى الشعري الملائم وبتطويره ، وانما هو أسير لحظة انفعالية تتخلق فيها القصيدة على ما هجس في نفسه من شكل مألوف ، ولهذا كثر النتاج الشعري دون ان يحمل سمات مميزة في البناء » ·

هكذا ينتهي كتاب عباس حيث كان يجب ان يبدأ · وهنا تطرح على الممارسة النقدية مجموعة من الاسئلة ·

١ ـ كيف نؤرخ لبدايات الشعر المعاصر ؟ هل نبدأ بشكل تاريخي ، اي هل نقبل المنطق الداخلي للشعر المعاصر ، او بالتحديد لبدايات قصيدةالتفعيلة ؟ قبل الجواب على هذا السؤال ، يبرز امامنا سؤال اخر اشد خطورة واكثر تعقيدا : هل هناك حركة شعرية جديدة ؟ في الجواب الذي يقدمه كتاب عباس مجموعة من المسائل التي تحتاج الى نقاش · فالكتاب يتعامل مع تاريخ الشعر ، يتحايل على الجواب عبر اللجوء الى الزمن ، لكن الزمن لا يقدم اجابة · فيكشف الكتاب ، عبر تعامله مع المضامين الشعرية عن وجود تمايزات حادة بين التجارب الشعرية المختلفة ، لا تسمح لنا بوضعها في سياق حركة واحدة ·

ان دراسة التجربة الشعرية الجديدة يجب ان تبدأ من **الازمة** · ازمة الثقافة العربية التي يشكل الشعر ، تاريخيا ، اطارها المرجعي الاساسي · وعبر دراسة هذه الازمة سوف نكتشف مجموعة مفاهيم للقصيدة ، انطلاقا من بداية التمرد على الشكل الشعري القديم · هنا ، سوف نكتشف اولا ان الشعر ليس ظاهرة عروضية · وانطلاقا من هنا ، نستطيع ان نعيد النبرة الرومانسية ، التي لا تضيف جديدا الى اصولها التاريخية · كما نكتشف ثانيا ان البحث عن درامية الشعر ، اي عن تعدد الاصوات داخل القصيدة ، حيث تصبح القصيدة تجربة متكاملة ، هو الخط التاريخي في الشعر المعاصر · وهو بهذا المعنى ، يعيش الازمة · ازمة البحث عن لغة جديدة ، سوف تكون لغة الصراعات والانفجارات الثقافية والاجتماعية ·

لا يبدأ الشعر المعاصر بقصيدة « الكوليرا » · ولا تنتمي التجربة الجديدة الى البدايات الرومانسية الرخوة · ولا يمكن تفسير الثورة الشعرية بشكل سيكولوجي نسائي · بل تصبح المسألة الحقيقية ، هي لحظة انفجار الشعر كمؤشر لانفجار الثقافة العربية بكل قيمها وموروثاتها امام التحدي الحقيقي · ويصبح الشعر في بحثه عن ثورته ، احد الاشكال التي يحثت فيها الثقافة عن لغتها الجديدة · هنا تكون البدايات ، عبر ارتباطها بمجمل عناصر الحركة الثقافية العامة ، هي الخط الذي يمتد داخل الشعر من اجل الوصول الى لغة جديدة ، تتجسد عمليا في بنية القصيدة العربية الجديدة ·

ب ـ يقود السؤال حول وحدة الحركة الشعرية ، الى تساؤلات حول تياراتها المختلفة ، واشكالية انقطاعاتها · فالشعر المعاصر يبدو رغم اشارته الى وجهة ، وكأنه يتطور بشكل انقطاعي · او كأن الانفتاح ـ التأثر بالثقافة الغربية المعاصرة ، يدفع الى وضع مسار الشعر في خارجه · اي في قدرته على استيعاب النموذج ووضعه في سياقات جديدة · هل يفسر هذا اندفاع الشعر الى اللغة التراثية والرموز التاريخية : وهل نستطيع ان نقول ، انه بعد نهاية مرحلة البدايات ، وترسخ التجربة الجديدة ، ان التطور الشعري المقبل هو تطور من داخل الانجاز الفني الذي تحقق ، ام ان الثورة المقبلة هي التي ستحدد في مسارها ، اشكالياتها الثقافية والشعرية الجديدة ؟

ج ـ ان الخط الرئيسي للتجربة الشعرية المعاصرة ، هو خط البحث عن القصيدة · عن التجربة الشاملة داخل الجسد الفني · هنا تأخذ مسألة علاقة المبنى بالمعنى مفهوما جديدا · فالمبنى (الشكل) هو المعنى (المضمون) والتحول في الشكل هو تحول جذري لرؤية العالم ، لا يمكن ان يحدث شعريا الا في الشكل اساسا ، والا فقد مبرره شعريا · هنا يقف كتاب عباس في منهجه الوصفي المضموني ، عاجزا عن التقاط الجديد في التجربة الشعرية · فهو لا يزال امام اغراض الشعر · لكن « الاغراض » هنا جديدة وغير مألوفة · لذلك ، وعوض الوضوح النقدي الذي يضع مقاييس صارمة لدراسة الشعر، نكتشف ان النقد لا يستطيع ان يتلمس مقاييس ثابتة · فيلجأ الى التقسيم الانتقائي للمواقف من جهة ، والى الانطباعية في معالجة هذه المواقف من جهة ثانية · فتقسيم المواقف : موقف من الريف والمدينة والتراث الخ · ، لا يفتت التجربة الشعرية لكل شاعر على حدة فحسب ، بل يفتت ايضا امكانية اكتشاف اتجاهات داخل الشعر المعاصر · الزمن ليس غرضا شعريا · ليس مدحا ولا هجاء ولا ·· انه مسألة اخرى لا يمكن فهمها عبر وضعية التقابل بين الشاعر وموضوعه ، او عبر تجزئتها الى مقاطع شعرية تتحدث عن ـ او تشير الى الزمن ، وعزل هذه المقاطع عن القصيدة او عن زمن القصيدة · هنا لا يكتفي النقد بالوقوع في انتقائية لا مبرر لها ، بل يقدم كذلك فهما خاطئا للتجربة الشعرية · فالزمن في القصيدة هو القصيدة بأسرها · انه بنيتها · اما مسألة التراث ، فهي مسألة تحتاج الى نقاش نظري · والطريقة الافضل لفهم موقف الفكر العربي من التراث ، هو دراسة هذا الفكر ، وليس القيام بعملية اسقاط لهذه الدراسة على الشعر · فالشعر لا يستطيع حل مسألة التراث العربي · لكنه ، عبر استخدامه للتراث والرمز التاريخي ، يقوم عمليا باعادة انتاج المسألة في اشكالية جديدة · وهذه الاشكالية هي التي يجب ان تدرس ·

و ـ ثم هناك مسألة تداخل المواقف ، وهي مسألة يلمح اليها عباس بشكل دائم ، رغم انه يحاول اقامة حواجز شكلية لمنعه ، وهي احدى المسائل المركزية التي كان يجب أن تدرس · لماذا تنتفي الاغراض في الشعر المعاصر ؟ هنا تصبح المسألة هي القصيدة وليس الشعر · ومن خلال دراسة القصيدة ، وفهم اوالية تركيبها الداخلي ، وتوازنها ، وعلاقتها

بالمستوى الايديولوجي ، نستطيع ان نعمم وندرس علاقة الشعر بالهموم الثقافية ، وكيف تنعكس هذه الهموم في الشعر ، او كيف تطرح فيه ٠

هـ ـ لكن النقد المضموني يجد نفسه مضطرا ، عبر تفتيته للقصيدة الى مقاطع ، وللشاعر الى مواقف ، الى الانطلاق من افتراض مسبق ٠ فنحن لا نزال امام « طبقات » جديدة « لفحول الشعراء » ٠ والطبقات هذه ، طالما كان المنطلق في فهم الشعر المعاصر وتياراته تاريخيا في جوهره ، يقبل البدايات كما وردت تاريخيا ، سوف تقسم تاريخيا ٠ ففي الطبقة الاولى هناك « الرواد » ، هنا يتصرف عباس ويقوم بحذف بعضمن اصطلح على تسميتهم « بالرواد » من هذه الطبقة ٠ وفي الطبقة الثانية هناك بعض الشعراء البارزين من الجيل الثاني ٠ وفي الطبقة الثالثة تأتي جمهرة الشعراء ٠ وهناك ، يجري تغييب جميع شعراء الجيل الجديد ، فاضل عزاوي ، احمد دحبور ، سليم بركات ؟٠٠

و ـ ثم هناك التردد في حسم مجموعة من المسائل البالغة الاهمية ٠ فالمسألة العروضية والخلاف حولها الذي يبدأ مع كتاب نازك الملائكة ولا ينتهي ، لا تجري الاشارة اليها الا بشكل سريع ٠ ومسائل قصيدة النثر والشعر المرسل يجري تجاهلها بشكل كامل او التهرب منها ٠ فهو مثلا يضع هذا الهامش لاستشهاده باحد مزامير درويش من ديوان « احبك او لا احبك » : « هذه القطعة لا تعتمد ايقاعا منتظما ، لكنها ذات قيمة في الدلالة على نظرة الشاعر الى الزمن » ٠ القطعة ، اي انها ليست قصيدة ، لكنها معتمدة لانها ذات دلالة ، اي تحمل معنى خاصا في غمرة بحث النقد عن المعاني ٠ من اجل هذا ، يجري تجاهل جميع الشعراء الذين كتبوا قصيدة النثر او الشعر المرسل من محمد الماغوط الى انسي الحاج ، وكأن لا وجود لمواقف للذين كتبوا على غير ايقاع التفعيلة ٠ والغيابات لا تقتصر فقط على شعراء القصيدة النثرية او المرسلة ، بل تمتد وبشكل غير مفهوم ، لتشمل مجموعة كبيرة من الشعراء من سعدي يوسف الى يوسف الخال ٠

ز ـ هناك موقف تصنيفي في اختيار النماذج وفي اختيار الشعراء ٠ والكتاب لا يقدم اية مقاييس تساعد على فهم هذا الموقف ٠ لكن هناك بعض التلميحات ، فهو حين يعالج مسألة موقف احمد عبد المعطي حجازي من المدينة ، يستطرد الى موقف تقييمي في جملة اعتراضية « ان السؤال هل استطاع حجازي ان يتجاوز ذلك المستوى [الشاعر الناشىء] هو امر خارج حدود هذا الفصل » ٠ اذا كان هذا التلميح ذا دلالة ، فلماذا ندرس موقف شاعر ناشىء لا مستقبل له ؟ ثم لماذا لم يستطرد الناقد في حديثه عن شعراء اخرين ؟ وهذه مسألة بالغة الاهمية لانها تضعنا في اطار فهم نقدي تقليدي ، النقد التلميحي الذي لا يقدم مقاييس حقيقية ٠

ح ـ ان اصرار الكتاب على مسألة النقد المضموني ، يقود الى الغاء مسألة علاقة الذاتي بالموضوعي ، التي هي العلاقة التي تحكم كل فن ، والتي تشكل علاقة المبنى بالمعنى احد اوجهها البارزة ٠ ما هو موضوع الشعر ؟ هل نستطيع ان نطرح هذا السؤال ؟ السؤال يحمل قيمة تاريخية ، اي انه يسجل مراحل تطور نظرية الشعر ٠ لكنه لا يجيب على وجهة تطرح الشعر كتجربة متكاملة ٠ كمؤشر ثقافي ، وكبنية درامية تتجاوز ثنائية الشاعر ـ النص ، او ثنائية النص ـ المتلقي ٠

ط ـ واخيرا تبقى ملاحظة حول بنية الكتاب النقدي ٠ فهذا الكتاب الذي يعالج اتجاهات

الشعر المعاصر ، لا يعالج سوى لحظات متقطعة · وهو في محاولته تبسيط الموضوع ، يزيد في تعقيده · فالمسألة ليست في القدرة على تفتيت الشعر الى مضامين · بل هي في القدرة على الوصول الى استنتاجات ، اي على توحيده في اتجاهات · هنا لا يزال امام النقد الجامعي ، الذي يريد أن يصنف ويدرج التجربة الشعرية في تاريخ الادب ، الكثير من العمل · فالوصول الى دراسة الشعر المعاصر تفترض اولا الوصول الى منهج لدراسة بنية القصيدة · هنا يقع الخلل الاساسي في النقد المضموني الذي لا يعير بنية القصيدة ولغتها الاهتمام الرئيسي · لذلك يتحول النقد من تصنيف ونمذجة الى ملاحظات · والملاحظات النقدية لا تحتاج الى تصنيف كيفي · انها تكتفي بمحاولة المواكبة ، ومحاولة فهم التجربة من الداخل ·

نقد الشعر وتصنيفه يطرحان سؤالا كبيرا : لماذا لا يزال النقد المنهجي عاجزا عن صياغة منهج متماسك لنقد الشعر المعاصر ؟ وهل يستطيع النقد صياغة هذا المنهج في الوضعية الثقافية الراهنة ؟

ان المنهج الذي يستهلك ولا ينتج ، وهذا بارز في النقد ، سوف يبقى عاجزا عن صياغة لغة نقدية تنطلق من التجربة الفعلية · من هنا، فليست الجامعات التابعة هي التي تستطيع انتاج ثقافة غير متكسرة وليست صدى للثقافات الاخرى · يحتاج النقد الجديد الى اشكالية جديدة · واشكاليته الجديدة لن تكون سوى جزء من عملية تغيير شاملة · فعبر علاقته بالممارسة الشعرية ، وعبر تعامله مع ثقافة تتفلت من اسار الماضي ، ومن اسار الاستلاب العبودي امام الثقافات الاخرى ، يستطيع النقد ان يصبح اداة اضاءة وكشف ·

هنا يلتحم النقد بالابداع ، بوصفه ابداعا في المستوى الثاني · وهنا ايضا يكتشف الابداعان لغة جديدة ، لغة التغيير الحقيقي ، لغة اكتشاف نموذج بناء الحياة العربية على المستوى الثقافي ·

صدر حديثا

مقدمات نظرية لدراسة اثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني ·

القسم الاول : في التناقض

بقلم : مهدي عامل

الطبعة الثانية · دار الفارابي ـ بيروت

فلسطين ليست طيفاً

جرى ، ذات يوم من اوائل شهر آذار (مارس) ، عرض خاص في بيروت لفيلم « النضال من اجل الارض او فلسطين في اسرائيل » · وقد حضر العرض عدد من العاملين في الاعلام وسينما الثورة الفلسطينية · واعقب ذلك نقاش بين الحاضرين تناول الجوانب السياسية والسينمائية للفيلم · وقد طرحت فيه عدة اسئلة :

ـ من هي الجهة المنتجة للفيلم ؟

ـ ما هو مغزاه السياسي ؟

ـ ما هي قيمة الوثائق التاريخية فيه وكيف تم استخدامها ؟

ـ وهل يستحق هذا الفيلم فعلا ،جائزة منظمة التحرير الفلسطينية ؟

وكان الفيلم قد اثار ردود فعل وتقييمات سياسية متباينة ، بين متحمس له مثل سعيد مراد الذي يرى ان « كل ما في الفيلم من مضمون ومادة هو دقة في التعبير الواعي في عدائه للصهيونية وآلتها اسرائيل » (راجع شؤون فلسطينية عدد ٧٦ آذار (مارس) ١٩٧٨) وبين معاد يرى فيه فيلما صهيونيا مدروسا بدهاء شيطاني ·

ان الحافز الذي دفعني لاجراء هذه الدراسة التحليلية السياسية والسينمائية على هذا الفيلم تنبع من كونه منتوجا سينمائيا آخر يضاف الى عدد من الافلام التسجيلية التي تعالج قضية فلسطين شعبا وارضا ونتائجها من وجهة نظر بعض الليبراليين او الماركسيين الاسرائيليين او من وجهة نظر « الصهيونية الجديدة » · فقد شهد الغرب وبشكل خاص اوروبا الغربية ولادة ونمو تيار سياسي عند بعض المثقفين الاسرائيليين واليهود يعالج سينمائيا القضية الفلسطينية بمنحى يخالف وجهة النظر الصهيونية الكلاسيكية التي يزعم مبدؤها الرئيسي بأن فلسطين هي « ارض بلا شعب لشعب بلا ارض » · ومن هذه الافلام « من اجل الفلسطينيين اسرائيلية تشهد » لـ دينابوليتي ، « حتى نعيش بحرية » لشيمون لوفيتش ، « والحوار العربي الاسرائيلي » للامريكي ليونيل روغوزين وغيرها ·

وقد نشرت باللغتين الفرنسية والانكليزية بعض الدراسات عن هذه الافلام الا ان النقاد السينمائيين الملتزمين بالثورة الفلسطينية لم يدرسوا بعد هذه الظاهرة بشكل شامل لتحديد آفاق هذه الافلام السياسية ونتائجها الاعلامية · ولا يزعم هذا المقال الاجابة على هذا النقص، بل يهدف الى الاجابة على الاسئلة التي اثيرت سابقا والى الرغبة في محاولة « تبديد الدخان العكر الذي يكدر صفو ايام جو العرب » في مهرجان دولي للافلام التسجيلية والتلفزيونية ، دون ضوضاء او مماحكة ·

« النضال من اجل الارض او فلسطين في اسرائيل » فيلم تسجيلي يبلغ طوله ٤٦ دقيقة صدر بالالوان ومقاسه ١٦ ملم وقد سجل الصوت مغناطيسيا على النسخة الموجودة في بيروت · وتدل المعلومات المتوفرة على ان مخرج الفيلم هو ماريو اوفنبرغ ، ٣٠ سنة ، يحمل الجنسية الاسرائيلية ، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية ويقيم منذ اكثر من سبع سنوات في برلين الغربية حيث يدرس التاريخ في جامعتها ·

وسبق لهذا الفيلم ان عرض في مهرجان دولي للافلام التسجيلية في اسبانيا بقرية بينا لمادينا خريف ١٩٧٧

الا ان عرضه في المهرجان العشرين للافلام التسجيلية والتلفزيونية في لايبزغ في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ قد اثار « حوار الطرشان بين قلة من العرب المشتركين في المهرجان وكثرة – الباقين» على حد تعبير سعيد مراد · وقد سبب عرضه « احراجات وارباكات لادارة المهرجان الصديقة » · وتناول الجدل القائم حوله مسألتين اساسيتين : – اولاهما هوية الفيلم وثانيتهما جوهرة السياسي ·

لنبحث اذن في المسألة الاولى :

– ورد اسم ماريو اوفنبرغ اسرائيلي الجنسية ، في الكتيب الذي اصدرته ادارة المهرجان المتضمن اسماء وجنسيات الضيوف والمشتركين والصحفيين وذكر سعيد مراد بأن « ادارة مهرجان لايبزغ قد نوهت بهوية الفيلم وصاحبه ومسحت كلمة اسرائيل من على اللوحة التي تتضمن عروض كل يوم من ايام المهرجان·

وفي نسخة بيروت لا يوجد اي ذكر للجهة المنتجة · وقد افاد الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط عضو وفد م·ت·ف· الى مهرجان لايبزغ ، ابان العرض الخاص للفيلم في بيروت ، بانه قد اطلع على الاستمارة التي تقدم بها ماريو اقينبرغ الى ادارة المهرجان وقال بان « م· اوفينبرغ قد ترك مكانا فارغا في جنسية الفيلم » ·

ونقل مشتركون في مهرجان اسبانيا بان نسخة الفيلم المعروضة هناك نصت بصراحة على ان انتاج الفيلم قد تم بفضل منحه مادية من جامعة برلين الغربية · وقد تأكدت من ذلك من مراجعة الكتيب الذي اصدرته ادارة الاسبوع التاسع الدولي لسينما المؤلف (بينا لمادينا، ١٤ – ٢٣ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٧/ وقد نشر فيه بان الفيلم من انتاج المعهد العالي للافلام التوثيقية في برلين ·
(Hochschulfilmreferat der FU : Berlin)

اذن الفيلم من انتاج الماني غربي وليس من انتاج اسرائيلي وم· اوفينبرغ الذي تجاهل هذا الامر فضل ، لسبب ما ، اغفال ذكر جنسية الفيلم في مهرجان لايبزغ · والسؤال الذي يفرض نفسه مباشرة : لماذا

هذا الابهام ؟ ويمكننا ان نستنتج بان في تصرف م· اوفنبرغ مؤشر ما على نية سنعمل على ايضاحه في حينه · ونصل بذلك الى المحتوى السياسي للفيلم ·

لنتحمس قليلا في عرض محتوى الفيلم وفي شرح العلاقة التي لا تنفصم بين الصوت والصورة ·

يبدأ الفيلم بمشهد فلاح فلسطيني مسن ينظر عبر نافذة غرفته الى جنات فلسطين ويعرف بنفسه قائلا : « انا فلاح ابن فلاح منذ آلاف السنين · لا اقدر ان اعيش الا بالارض والزراعة » · ويتناول هيكل الفيلم دراسة ثلاث حالات :

قرية صفورية في الجليل ·

ـ قرية عرعرة في المثلث ·

ـ مدينة تل ابيب (المدينة الحية !) ·

شخصيات الفيلم اربعة من العرب الفلسطينيين واسرائيليان · ولكن عم يتكلم هؤلاء جميعا ؟ لنستعرضهم واحدا واحد · المثل العربي يقول: احترموا النساء والشيوخ · وباعتبار ان الفيلم يقتصر على الرجال ـ فلنعط المسنين منهم افضلية الكلام ·

الفلاح المسن مصطفى سليم معاد ، صادر الصهاينة منه ١٢٠ دونما من الارض ثم عرضوا عليه تبادلها مع اراض اخرى وعندما قبل تنكروا لعرضهم ، هو يشتكي بان « هناك تمييزا ضدنا · ليس لدينا حقوق كاليهود · الحل ! ينبغي ان يتمتع اليهود والعرب بحقوق متساوية · نريد العدل والمساواة لان العدل هو السلام والسلام هو حياة الانسان » ·

اما الفلاح المسن الاخر عبد المجيد الرشيد فيروي كيف هدد الصهاينة قريتا وهاجموها واجبروا اهلها على الرحيل ·

ورغبة منا في الحفاظ على انسجام عرض المواقف الفلسطينية سنعطي حق الكلام للشابين العربيين دونما اي نية في التمييز ضد اليهود ·

يؤكد علي الازهري المولود في صفورية عام ١٩٤٨ بان قريته المصادرة مثلها مثل مئات من القرى الفلسطينية · ويضيف وهو ينظر الى بيت والديه الذي سلبهم اياه الصهاينة بان هناك شعبان يهودي من طرف وفلسطيني هضمت حقوقه القومية والانسانية من الطرف الاخر ·

اما احمد مصاروة ـ الذي اغاظ الحاضرين في العرض الخاص لتكلمه بالعبرية ـ فيوافق على مقولة الازهري ويضيف بأن قريته عرعرة هي في نفس وضع كل القرى العربية · فقد صادر الصهاينة ٢٥٠٠٠ ـ ٣٦٠٠٠ دونما من اصل اراضيها البالغة ٤٠٫٠٠٠ دونم · ويضيف « بأن فلاحي القرية تحولوا الى عمال في تل ابيب » ·

والاسرائيليان هما الشاب يهود عين جيل ويتكلم عن بناء تل ابيب على انقاض « كروم جبالي » العربية وعن « عسودة اللاجئين » · واودد بلوفسكي من تل ابيب · وبدون اي تردد أستطيع ان اؤكد بانه يعبر عن المحتوى السياسي الفعلي للفيلم · لقد اعطاه م· اوفنبرغ الفرصة ليستعرض ما يحلو له من جوانب القضية وهو الذي يملي ايضا الحلول في نهاية الفيلم · واذا ما افترضنا بان ماريو اوفنبرغ لم « يراقب » كلام اودد بلوفسكي فانه بوسعنا ان نضيف بان بلوفسكي قد لعب دور « البطل السياسي » في الفيلم ·

لنستعرض معا ما يقول : ـ « في الوقت الذي يواصل فيه الجميع هنا في اسرائيل التحدث عن الفضائح ، يستمر سلب الاراضي من العرب · لقد اراد الصهاينة

بناء الكيبوتزات كمثل للمساواة في المجتمع · وقد كان بناء تل ابيب في هذا المجال جزءا من استعمار البلاد » · وقد تطورت المدينة ولكنها لم تبن في الاساس على الكثبان الرملية كما تقول النظرية الصهيونية · فالصهاينة يعتقدون بان هذه الارض تنتظر الخلاص فهي ارض بدون شعب · [واذا كان هناك من حل] فلن ينجح اي حل لا يأخذ بعين الاعتبار جميع حقوق الفلسطينيين شريطة الايعني هذا طرد من سلبوهم ارضهم ·

« ان معظم الاسرائيليين يرغبون في استمرار نفس السياسة الاسرائيلية (مصادرة الاراضي) لتوفير امنهم ·ويبرز الصهاينة استقدام اليهود الى اسرائيل برغبتهم في خلق دولة يهودية بحتة · وتدعى الصهيونية بان المكان الوحيد الامن لسلام اليهود هو أسرائيل ·

« وفي الوقت الذي تقول فيه الدعاية الصهيونية لليهود (تعالوا الى اسرائيل لانقاذ اليهود) فان الحقيقة اصبحت في الشعار التالي : (تعالوا الى اسرائيل لانقاذ اسرائيل) ·

ويصيح اودد بلوفسكي بحرارة بالاستنتاج الاساسي للفيلم قائلا : « يجب ان يكون هناك نضال مشترك لليهود والعرب على هذه الارض · هذه الارض جزء منها هو اسرائيل وجزء آخر تحتله اسرائيل ويعيش عليه فلسطينيون · والحل الوحيد هو التعايش بين سالبي الارض ومسلوبيها » ·

كذا !

الفلسطينيون في فيلم ماريو اوفنبرغ يندون ، ضمن الحدود التي يسمح بها الاحتلال الصهيوني ، بالسياسة الصهيونية ومصادرة الاراضي العربية ، ويفضحون التمييز القائم ضدهم ويؤكدون على وجودهم الوطني ويرون الحل في اقامة العدل والمساواة واحلال السلام ·

اما الاسرائيليون فيعترفون بان الحركة الصهيونية واسرائيل تقومان بمصادرةهذه الاراضي وبانه لا يوجد حل للمشكلة الا بتعايش العرب واليهود معا على هذه الارض :

« فلسطين في اسرائيل » اي التي جزء منها هو اسرائيل والجزء الاخر ما تحتله اسرائيل ·

ترى هل ينطق بطل الفيلم الاسرائيلي اودد بلوفسكي المقيم في تل ابيب باسم المخرج الاسرائيلي ماريو اوفنبرغ المقيم في برلين الغربية ؟

اذا تحمسنا بشكل ارعن لنطقنا بدون تفكير : طبعا · واذا ضبطنا اعصابنا وفكرنا قليلا فاننا نستطيع ان نجزم بدون ان نخشى ان يكذبنا احد بما يلي :

تجاهل فيلم « النضال من اجل الارض · او فلسطين في اسرائيل » تجاهلا مطلقا الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني وخاصة حقه في السيادة وفي اقامة دولة مستقلة على تراب وطنه · كما انه لم يذكر ابدا بان م·ت·ف· موجودة وهي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني·

هناك حتما من سوف يتسرع ويعترض علينا عاتبا : ـ

«ماريو اوفنبرغ واودد بلوفسكي اسرائيليان · وانت لا تتصور بانهما لا يستطيعان تبني موقف العرب · ان مجرد ادانتهما لمصادرة الاراضي العربية لهو تطور ايجابي في حد ذاته داخل المجتمع الاسرائيلي » ·

وحتى لا نتسرع نحن ونتحمس دوغماتيكيا ، فلنترو قليلا ··· طيب !لماذا

لم يذكر الفيلم ولو لمرة واحدة على الاقل، ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية الفلسطينية المحتلة ؟.

ان اودد بلوفسكي يدعو في نهاية الفيلم للنضال المشترك للعرب واليهود بغية التعايش على هذه الارض (حسب تعريفه = اسرائيل + الجزء المحتل من قبل اسرائيل) الا يعني هذا ، بكل صراحة ومن دون مواربة منه، سيادة دولة اسرائيل على كل فلسطين وانكار حق الشعب الفلسطيني في السيادة على وطنه ؟ ثم انه تكلم بشكل غامض عن النضال المشترك. بأية وسيلة ؟ فلا اثر في الفيلم لوجود الثورة الفلسطينية المسلحة منذ ١٣ سنة.

ان الفيلم ينتقد سياسة مصادرة الاراضي من العرب . ولكنه لا يفسرها بوضوح . ربما يعتقد ماريو اوفنبرغ ، كالامم المتحدة مثلا ، بان خطأ تاريخيا قد ارتكب بحق شعب فلسطين . وانا هنا احسن الظن به . ولكن الفيلم هو ابعد ما يكون عن ادانة (الجريمة المنكرة)التي ارتكبت بحق شعبنا .

باعتبار ان ماريو اوفنبرغ يطرح نفسه كماركسي تقدمي ، فلنقارن بين موقفه السياسي في الفيلم وبين موقفين آخرين.

الاول موقف الحكومة الاسرائيلية . يجيب برنامج تحالف الليكود بان « اسرائيل الكبرى جزء لا يتجزأ من التراث الابدي للشعب اليهودي » .ويضيف الارهابي مناحيم بيغن مرتكب مجزرة دير ياسين بانه لا يوجد شعب فلسطيني . ويقترح على « نزلاء السامرة واليهودية وغزة » من غير اليهود حق الادارة الذاتية ضمن السيادة الاسرائيلية ،وتؤكد بيانات الحكومة الاسرائيلية والحركة الصهيونية كل يوم بانهما ضد قيام دولة فلسطينية مستقلة وضد الاعتراف بـ م.ت.ف.وضد عودة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم .

والموقف الثاني هو موقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي . يدعو راكاح الى تعايش دولة اسرائيل مع دولة فلسطينية على الضفة الغربية وغزة ، والى عودة اللاجئين الفلسطينيين وانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ .

فما هو الفرق بين موقف م. اوفنبرغ « الماركسي والتقدمي » الاسرائيلي الذي لا ينتمي الى اي حزب وموقف الحكومة الاسرائيلية وراكاح ؟

لا شك بان هناك فرقا . فالموقف الصهيوني الرسمي هو مع الاستمرار في مصادرة الاراضي العربية وتهويد فلسطين وموقف م. افنبرغ او اودد بلوفسكي هو في انتقاد هذه السياسة نظرا للتحسس الذي بدأ بعض الاسرائيليين بالشعور به ولادراك خطورة الاستمرار في هذه السياسة على امن اسرائيل . وبينما تنفي الصهيونية الكلاسيكية اي وجود وطني للشعب الفلسطيني وترفض حقه في اقامة دولة مستقلة والاعتراف بمنظمته الشرعية م.ت.ف فان فيلم م. اوفنبرغ يتجاهل هذه القضايا ويتحدث بحياء عن عودة اللاجئين (الى اين !) وبضرورة التعايش بين اليهود والعرب . برنامج بيغن عن الادارة الذاتية في الضفة الغربية وقطاع غزة يعني اسباغ الصفة الشرعية والقانونية على تكريس الاحتلال الاسرائيلي . اما فيلم م. اوفنبرغ فيدعو اهلنا في ارض الـ ٤٨الى التعايش مع سالبي ارضهم في « اسرائيل وما تحتله اسرائيل من اراضي » . ولا ادري ما هو موقف اودد بلوفسكي من اطروحات الصهيوني مناحيم بيغن الذي ينادي بدولة اسرائيل الكبرى التي تضم كل فلسطين واجزاء من سيناء والجولان وجنوبي لبنان !

ومن الواضح بعد هذا ان نشير الى ان

موقف م· اوفنبرغ يتقدم قليلا على موقف الليكود ولكنه يتأخر كثيرا عن موقف راكاح ·

ومع ذلك فقد تعجبنا كثيرا عندما قرأنا سعيد مراد وهو مقتنع بان « ماريو يشاطر رأي العرب والجماهير العربية وقواها المناضلة وحركاتها التقدمية في تصوره حقيقة اسرائيل والصهيونية وفي فهمه للقضية الفلسطينية وابعادها من حيث هي مشكلة شعب تآمرت عليه الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية مفتعلة دولة اسرائيل التي قامت على تشريد هذا الشعب من ارضه واغتصاب حقه الوطني التاريخي في فلسطين · وبناء على ما رأيناه في الفيلم نحن نشك بذلك · ربما تحدث سعيد مراد عن فلم اخر لماريو اوفنبرغ غير فيلمه الذي نحن بصدده · وربما كان ماريو اوفنبرغ يشاطر (سرا او على جنب) رأي الجماهير العربية·· الخ ·

ولكن لنتكلم قليلا عن الفيلم فهو موضوع بحثنا ، بدلا من التكلم عن مخرج الفيلم ، وكما رأينا فهو لا يشاطر حتى راكاح موقفه السياسي · ان الحق الوطني الوحيد للشعب الفلسطيني الذي يتكلم عنه الفيلم بشكل هامشي هو حق عودة اللاجئين الى « اسرائيل والجزء من الارض التي تحتلها اسرائيل » ·

وربما كان مفيدا اكثر للجميع انننتقل الان من التنفيذ السياسي الى العمل السينمائي للوصول الى قناعة ارسخ في هذه المعطيات ·

في البدء ، كانت السينما صورة · واليوم ، وبعد رحلة طويلة ، لا تزال الصورة تلعب دورها الرئيسي في الافلام· والمضمون السياسي لفيلم اوفنبرغ كان سيبدو نسبيا دون قيمة تذكر لولا مشاهد الفيلم الحديثة ووثائقه التاريخية · ان احساس المتفرج مرتبط بالمشاعر التي تثيرها (الصورة او تخلقها العلاقة بين الصوت والصورة في الفيلم) واذا ··· ما كان المشاهد يجهل لغة الفيلم ، فان الصورة ستكون آنذاك الحكم الفصل في الرأي والانطباع ·

يعتقد سعيد مراد بان « المعالجة فيفيلم ماريو تعتمد على لغة الوثيقة والارقام والوقائع الحية لازاحة ركام التضليل الصهيوني ··· الذي حاول ان يطمس حقيقة عروبة ، اي فلسطينية ، كل ما في فلسطين من قرى ونواح واماكن ومدن · بل ان المعالجة هدفت الى تبيان ان كل حجر في اسرائيل اصله عربي وان علاقة الصهيونية به انما هي علاقة تزييف واغتصاب · حتى ان مدينة تل ابيب ليس فيها من « الاصالة » اليهودية سوى الاسماء التي اطلقتها الدولة الاسرائيلية على شوارع واماكن أشادتها بعد قيامها بعد ان هدمت اصولها وبدلت اسماءها العربية باسماء صهيونية » ·

ونحن نعرف الآن بان ماريو اوفنبرغ هو استاذ في التاريخ · وان كنا نجهل في اي تاريخ · بيد ان فيلمه يحتوي على وثائق تسجيلية تاريخية · والقاصي والداني في عالم السينما يعرفان بان التعليق على هذه الوثائق والمونتاج الذي يستخدمها ليسا ابدا حياديين ·

ففي الفيلم ما يزيد عن ١٠ وثائق تاريخية تتراوح مدة عرضها بين عدة ثوان الى ما يربو على العشرين ثانية على التقريب · وماريو اوفنبرغ الذي وجد في السينما التسجيلية اداة فعالة للتعبير عن رأيه في القضية الفلسطينية لم يتردد لحظة واحدة عن استخدام هذه الوثائق على النحو الذي يروق له · واستخدمها فعلا ليبين التناقض القائم بين الماضي والحاضر على ارض فلسطين وبين «العرب واليهود » · وكرر استخدام (الوثائق نفسها مثنى وثلاثا عند الحاجة · هذا

الاختيار وهذا الاستخدام للوثائق هما اللذان ... سعرا الغضب وأثارا الحماسة في جدال مهرجان لايبزغ حول الفيلم .)

وحول احدى هذه الوثائق ، يقول احد العرب المحتجين على عرض الفيلم في المهرجان المذكور « هذا الفيلم نوع من الدعاية الصهيونية اذ يظهر العرب مع دوابهم وامتعتهم في هيئة زرية ».

اما سعيد مراد فيصرخ باعلى صوته : « لا تلتقطوا هذه المشاهد على نحو تجزيئي ابتر . فالوثيقة نادرة الاهمية عن تشريد الفلسطينيين عام ١٩٤٨ » .

وقبل ان نحلل دون صخب هذه الوثيقة التاريخية وكيف استخدمها ماريو اوفنبرغ في الفيلم ليسمح لنا القارىء بان نقول رأينا بصراحة . ان ماريو اوفنبرغ استاذ التاريخ ، لم يلتزم على صعيد الصورة بالحقائق التاريخية . اكثر من هذا لقد اساء استخدام الوثائق التاريخية سينمائيا ، كما اساء استخدامها سياسيا وهذا مؤشر جديد على نيته . لو كنا ساذجين لا لتمسنا العذر لماريو اوفنبرغ في الاستخدام السيء للوثائق ولنسبناه الى جهله في الفن السينمائي ولكن تعمده هذا الاستخدام السيء وتكراره ذلك مرارا يدفعنا الى القول : استاذ التاريخ يزيف التاريخ .

التفاصيل : يظهر المشهد الذي وصفه سعيد مراد بوثيقة نادرة الاهمية عن تشريد الفلسطينيين عام ١٩٤٨ مجموعة من « البدو والفلاحين » الرجل مع دوابهم وامتعتهم في هيئة زرية وبنمط من الثياب يعود الى العقدين الاولين من هذا القرن، ورغبة منا في التأكد من الانطباعات رأينا الفيلم اكثر من مرة وامعنا النظر في هذه الوثيقة . ولدهشتنا اكتشفنا في المجموعة من يركب منهم على البقر ! نعم على البقر .

سألت والدي وآخرين وكلهم مسن من فلسطين عما اذا كان الفلاحون الفلسطينيون يركبون البقر في عام ١٩٤٨. فنفوا ذلك نفيا قاطعا . واكدوا لي بأن « الغوارنة » فقط وهم قلة في فلسطين ـ ويسكنون المناطق المسماة تارة جفتلك وتارة اخرى المبص كانوا يركبون الجواميس فقط في المستنقعات (على حوافي نهر المفجر غربي الخضيرة ، بالقرب من الطنطورة وفي سهل الحولة مثلا) حيث ينبت السمار والحلفا المستخدم في صناعة الحصير وشجرالطرفا المستخدم في بناء البيوت في مطلع القرن بفلسطين اما الفلاحون في فلسطين فقد كانوا يستخدمون (العمال) وصغيرد يدعى « العلول » في الحراثة . ولكنهم لم يستخدموا البقر ابدا ، للركوب . وقد ضعفت ظاهرة استخدام البقر في الحراثة في فلسطين كظاهرة اقتصادية رئيسيةفيما بعد نظرا لانتشار المكننة في الزراعة . ولم يكتف ماريو اوفنبرغ في استخدام هذه الوثيقة ضمن اطار « رحيل اللاجئين عام ١٩٤٨ » فقط وانما كررها ثلاث مرات في الثلث الاول من الفيلم . وعرضها في المرة الاولى عندما كان الفلاح المسن عبد المجيد الرشيد يتحدث عن رفضه بيع الاراضي وفي المرة الثانية عندما كان الفلاح المسن الاخر مصطفى سليم معاد ينادي بحقوق متساوية بين العرب واليهود وكان سوء النية فاضحا عندما استخدمها ماريو اوفنبرغ للمرة الثالثة . فقد مررها في الفيلم في الوقت الذي كان فيه اودد بلوفسكي يتحدث عن سلب اراضي العرب واتبعها مباشرة بمشاهدة صهاينةيرقصون في حلبة رقص في كيبوتز وكهول وشباب منهم حسنو المنظر يفلحون الارض بجد وسعادة وختم المقطع كله بمشهد لارض شديد الخضرة .

ان استخدام هذه الوثيقة التي لا تمت الى هجرة عام ١٩٤٨ بصلة وتكرار

الاستخدام على النحو المبين أعلاه يعيد عن حسن النية · بل هو تزوير على التاريخ وايحاء سينمائي اقوى من التعليق المرافق له : فالناظر يسمع التعليق / سرقوا الارض / والصورة تؤكد له دونما اي تردد / منيح اللي سرقوها / ·

كان بودنا ان نقول ببساطة لقد اخطأ م· اوفنبرغ سينمائيا ، فهذا اول اقلامه لولا ان هذا الاستخدام السيء للوثائق قد تكرر اكثر من مرة · لنأخذ مثلا أخر مشهد الفلاحات الفلسطينيات حافيات الاقدام يدسن بارجلهن الوسخة ماء البركة الذي يعبئنه في جرار الشرب (العسليات) لقد استخدم م· اوفنبرغ هذا المشهدمرتين· وقد اردف المرة الاولى بمشهد لام اسرائيلية يرافقها صبيها وتدفع عربة طفل صغير ـ وكلهم حسنو المظهر ـ بهدوء في احد شوارع تل ابيب · ان التناقض بين المشهدين ، بين الاسود والابيض في الوثيقة والملون / الحديث في تل ابيب ، بين « الوسخ والتخلف » وبين « النظافة والمدنية » ليدفع اي مشاهد اجنبي لانيقول: الاسرائيليون يستحقون الحياة اما الفلسطينيون فلا ·

وهكذا ، واذا تكلم ماريو اوفنبرغ فعلا عن الاصول العربية في فلسطين فقد تكلم عنها التاريخ فقط · ان تكريسه عدة دقائق متواصلة لشوارع تل ابيب ودكاكينها ومقاهيها ، المصورة بشكل جميل وجذاب ينم عن اكثر من حب للمدينة · ان كلمات اودد بلوفسكي :

« ان الارض تنتظر الخلاص لانها ارض بدون شعب · هذا ما يشعر به الصهاينة» · تمر دون ان يصغي اليها احد وتبقى السيرانادا التي يغنيها م· اوفنبرغ لتل ابيب · ماريو افنبرغ الذي يعرف نفسه كـ « ماركسي تقدمي » لا يتذكر على الاطلاق آنذاك ان الشاب الفلسطيني احمد مصاروة قد قال له قبل دقائق ـوبالعبريةـ بأن فلاحي قريته عرعرة اصبحوا عمالا في تل ابيب · ومن الواضح تماما ان اوضاع العمال الفلسطينيين المضطهدين قوميا والمستغلين طبقيا في تل ابيب لا تهم ماريو اوفنبرغ المشغول بافتتانه بهذه « المدينة الحية » ·

ان فيلم « النضال من اجل الارض او فلسطين في اسرائيل » يهدف على المستويين السياسي والسينمائي الى الدعوة لتعايش اللاجئين الفلسطينيين مع دولة اسرائيل · يكرس ما هو قائم · ورغم انتقاده الاستمرار في سياسة مصادرة الاراضي العربية (التي لم يبق منها الا القليل في ارض ١٩٤٨) ورغم مطالبته بتحسين اوضاع القرى العربية (مد الكهرباء مثلا) ، فانه يظهر الوجود الوطني الفلسطيني عبر الوثائق التسجيلية القديمة كوجود هامشي ، مهلهل تاريخيا، لشعب لا يستحق الحياة · ولا ينبس الفيلم ببنت شفة عن نضالات الشعب الفلسطيني والجماهير العربية ضد الاستعمار البريطاني وضد الحركة الصهيونية · والعجيب ان ماريو اوفنبرغ استاذ التاريخ فضل شراء وثائق تسجيلية عن شيوخ بدو وخيامهم وقهوتهم ووثائق اجتماعية عن «الغوارنة » فقط ، بدلا من شراء وثائق تتكلم عن مجمل الشعب الفلسطيني ونضالاته ومظاهراته في اعوام ١٩١٩ و ١٩٢٠ و ١٩٢١ او عن انتفاضة ١٩٢٩ او عن ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ او عن جهاد ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ · اكثر من هذا . لا يوجد اي اثر في الفيلم ايضا عن التواطؤ القائم منذ البدء بين الحركة الصهيونية والاستعمار والامبريالية · فالمقارنة بين مدينة تل ابيب اليوم وبين بدو الفلسطينيين في اوائل القرن تستلزم من أي شخص صادق مع نفسه ـ سواء كان ، ماركسيا أم لا أن يقول بان هذا التطور قد تم بمساعدة الامبريالية الامريكية التي تؤمن منذ خلق دولة اسرائيل ما يقارب من ٥٠٠ مليون دولار

سنويا للكيان الصهيوني · كما ان العجب يأخذنا عندما نرى هذا الماركسي وهو يلخص النشاطات الاقتصادية للشعب الفلسطيني خلال النصف الاول من هذا القرن (كتلقيط الزيتون وعصر الزيت وقطف البرتقال ودرس القمح) في ٢٥ ثانية من اصل ٤٦ دقيقة للفيلم ·

هل يمكن بعد هذا كله ان نستنتج بان ماريو اوفنبرغ صهيوني ؟

من الصعب الاجابة على هذا السؤال اذا كان فعلا ينوي القيام باخراج سلسلة من الافلام للاحاطة بالقضية الفلسطينية · ولكننا نستطيع ان نقول بان فيلمه هذا لا يخرج سياسيا عن اطار « الصهيونية الحديثة » او الصهيونية « الليبرالية » التي بدأت تطالب تحت ضغط تطور النضالات المختلفة للشعب الفلسطيني وللمنجزات التي حققتها ثورته في داخل الوطن المحتل وفي خارجه ، بتحسين اوضاع العرب تحت « سيادة اسرائيل الكبرى » · ومثل هذه الافلام تلقى رواجا في الغرب ولكن من المبالغة التصور بانها ستعرض مرارا سواء في الوطن العربي او في اسرائيل · ان الغرب المتعطش لحل الصراع العربي ــ الصهيوني بغية تأمين النفط لصناعته والامن لدوله ، سيرى في هذا الفيلم اولا وقبل كل شيء حسن نية الاسرائيليين ازاء الفلسطينيين « دون ان يقدم الفيلم اي تنازل جوهري عن الاهداف الصهيونية » (استمرار الاحتلال نفي الوجود الوطني للشعب الفلسطيني·· الخ) ·

ــ فقط نشير الى ان ماريو اوفنبرغ درس في كتابه « الشيوعية في فلسطين ، الامة والطبقة مع الثورة المعادية للاستعمار» افكار الصهيوني الاشتراكي ، بوروشوف ، منظر حركة البوعالي تسيون ، وربما تأثر بها :

« كان بير بوروشوف يسمي مواطني فلسطين العرب بالسكان المولودين في فلسطين وقد اكد على انهم لا يمتلكون اية ثقافة قومية خاصة بهم وليس عندهم اية صفات قومية مميزة · ومن هنا فانهم سيقبلون بأية ثقافة مستوردة تكون على مستوى اعلى من ثقافتهم وسيكونون عاجزين عن ابداء اية مقاومة منظمة ضد التأثيرات الخارجية ولن يستطيعوا الدخول في منافسة قومية (على العمل) ·· »

وقد استنتج بوروشوف بان السكان العرب في فلسطين « سيندمجون اقتصاديا وثقافيا مع من يضمن النظام في البلاد ويعمل على تطوير القوى الانتاجية » ·

(راجع شؤون فلسطينية عدد ٧٠ ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧) ·

لقد افرحتني رؤية الخضرة الزمردية لجنان فلسطين التي صورها الفيلم بجمالية عالية · وقد ذكرني سور الصبر امام قرية صفورية ، وهو علامة مميزة لقرى فلسطين بلوحات الفنانة الفلسطينية جمانة الحسيني ، وكنت اسعد ما اكون عندما رأيت الاجتماع الحاشد بمناسبة يوم الارض (٣٠ـ٣ـ١٩٧٧) والجماهير تفد اليه هاتفة : « بالروح بالدم نفديك يا جليل » ·

وتذكرت مظاهرات شعبنا في الضفة الغربية ، وفي قطاع غزة ، وفي لبنان وغيره وهي تقسم : « بالروح بالدم نفديك يا فلسطين » أن الوحدة الوطنية لشعب فلسطين في داخل الارض المحتلة وخارجها هي اهم منجز حققته الثورة الفلسطينية منذ انطلاقتها · وهذا ما تجاهله كلية فيلم ماريو اوفنبرغ ·

وفي هذا الفيلم وعلى الطريق بين يافا وتل ابيب يهيم عربيان ، تماما كما يهيم هندي أحمر في مدن الكاوبوي الامريكية· وبدا هذان العربيان امام أحد جوامع يافا المتداعية وأمام شجرة نخيل كرمز للذاكرة وللماضي الذي مهما تحسر عليه

الانسان يبقى ماضيا لن يعود ٠

ان فلسطين ليست طيفا ٠ ولن تكون ، كما زعم عنوان الفيلم « في اسرائيل ، » فلسطين ماض وحاضر ومستقبل ٠ وابلغ رد على زعم ماريو اوفنبرغ هو ما قاله الفلاح الفلسطيني المسن عبد المجيد الرشيد وقد عبر عنه بكلمات بسيطة ثابتة مليئة بارادة النضال : « منذ ٣٠ سنة وهذه الحالة مستمرة ، لا اريد ان ابيع ارضي ٠٠ وهياني » ٠

بعد كل هذا لا بد من السؤال : هل يستحق فيلم ماريو اوفنبرغ جائزة م٠ت٠ف ؟

فيلم م٠ اوفنبرغ سيغيظ الصهاينة الكلاسيكيين وبعض الاسرائيليين لتركيزه الاضواء على الاصول العربية لفلسطين ولتنديده بالاستمرار في سياسة سلب الاراضي العربية ٠ ولكنه في ذات الوقت سيغيظ كثيرا من العرب والفلسطينيين لانه تكلم عن القضية الفلسطينية كقضية لاجئين سلبوا من اراضيهم ولانه طرح حلا (سياسيا لمشكلتهم ضمن اطار السيادة الاسرائيلية على فلسطين ولانه تناسى ٠٠٠) او اغفل عمدا الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني٠

ربما يستحق الفيلم جائزة لجراءته على اغاظة الصهاينة الكلاسيكيين ٠ وان كنت لا ادري من هي الجهة المخولة بمنحه هذه الجائزة ؟ اما موقف الوفد السينمائي الفلسطيني لمهرجان لايبزغ فهو موقف خاطيء في رأيي ٠

وكان اعطاء جائزة م٠ت٠ف٠ لفيلم ماريو أوفنبرغ المرة السادسة التي تعطى فيها هذه الجائزة لفيلم ، على حد علمي٠ ونظرا لانه لا يوجد حتى الان اي توثيق لهذا الامر فمن المفيد ادراج قائمة الافلام المنوحة حتى اليوم (رغم احتياج هذه المعلومات الى تدقيق أوفر) كما يلي :

١ ــ فيلم « اغنية على المر » للمخرج علي عبد الخالق ــ مصري ، المناسبة : المهرجان الدولي الاول (والاخير حتى الان) لسينما الشباب، دمشق ١٩٧٢٠

٢ ــ فيلم « حتى آخر رجل » ، انتاج سوري ، المناسبة ٠ المهرجان الدولي الاول (والاخير حتى الان) لسينما الشباب ، دمشق ١٩٧٢ ٠

٣ ــ فيلم « بلادي » للمخرج فرانسيس روسر ، سويسري ، المناسبة : المهرجان الدولي الاول لافلام وبرامج فلسطين ــ بغداد ــ ١٩٧٣ ٠

٤ ــ فيلم « ميلاد امة » عن نضال غينيا ــ بيساو ، اخراج مجموعة من السويديين ، المناسبة : الايام السينمائية لقرطاج ، المكان والزمان تونس ــ ١٩٧٤٠

٥ ــ فيلم « كفرقاسم » الايام السينمائية لقرطاج ، تونس ــ ١٩٧٤ ٠

٦ ــ فيلم « النضال من اجل الارض او فلسطين في اسرائيل » ، المخرج ماريو اوفنبرغ ــ اسرائيلي ، المناسبة المهرجان العشرين للافلام التسجيلية والتلفزيونية لايبزيغ ــ ١٩٧٧ ٠

٧ ــ فيلم « الفلسطيني » ، المخرج رؤي باترزياي ــ بريطاني ، فانيسا ريدغريف ــ بريطانية ، المناسبة المهرجان الدولي الثالث لافلام وبرامج فلسطين ، بغداد ــ ١٩٧٨ ٠

وقد اصبح اسم جائزة م٠ت٠ف٠ السينمائية « جائزة هاني جوهرية » منذ استشهاده في يوم ١١ــ٤ــ١٩٧٦ ٠

ومن المفترض منح هذه الجائزة للفيلم الذي تنطبق عليه الاهداف التي ناضل واستشهد من اجلها هاني جوهرية ورفاق له : ان يعبر الفيلم بشكل فني عن النضال ضد الصهيونية والامبريالية والرجعية ، ضد العنصرية والفاشية ، من اجل

الدفاع عن حرية الشعوب ودعم حركات التحرر وتأييد الكفاح المسلح الذي يخوضه الشعب الفلسطيني بغية استعادة حقوقه الوطنية الثابتة ومن اجل ان تكون فلسطين ديمقراطية ·

وحتى لا تتكرر الاجتهادات الفردية، لتجنب اخطاء سياسية فادحة فقد آن الاوان لـ م·ت·ف· ان تقوم بالتعاون مع مؤسسة السينما الفلسطينية (التي بادرت بخلق هذه الجائزة وبمنحها منذعام ١٩٧٢) باعداد قواعد ومبادىء لمنح هذه الجائزة وتعيين لجنة مسؤولة عن ذلك حتى نكرم الافلام التي تستحق فعلاالتكريم ونوفر لاصدقائنا جوا يسمح لهم بتفهم موقفنا تفهما واضحا ·

عز الدين القلق

يصدر قريبا عن

مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

التركيب الاقتصادي والاجتماعي لشرق الاردن

"مقدّمات التطوّر المشوّه ١٩٢١ - ١٩٥٠"

تاليف

هاني حوراني

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية
من ١٦/٤ - ١٢/٦/١٩٧٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العمليه	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر ـ البلاغ العسكري رقم	تاريخ
١	١٦ـ٤ـ٧٨	١٠ر٥ صباحا	تكتيا ـ شمال القدس سيارة باص تابعة لشركة « دان »	هجوم	قنابل حارقة	ـ	غير محدد	ـ اصابه الباص اصابة مباشرة · ـ اصابة عدد غير محدد من العسكريين ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٣٥	١٦ـ٤ـ٧٨
٢	١٧ـ٤ـ٧٨	١٤ر٣٠	القدس ـ الحي التجاري	تفجير	عبوة ناسفة موقوتة	ـ	غير محدد	ـ تدمير اجزاء كبيرة من المحل التجاري واتلاف «دلو محتوياته · ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بجراح·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٣٦	١٨ـ٤ـ٧٨
٣	٢٤ـ٤ـ٧٨ ٢٤ـ٤ـ٧٨	٧ر١٥ صباحا	القدس وناپلس	تفجير وهجوم	عبوات ناسفةوقنابل حارقة	ـ	غير محدد	ـ تدمير السيارة وتحطيم معظم الزجاج في الابنية المجاورة · ـ اصابة جميع افراد الدورالقواجدبزقي داخلها · ـ احراق باص وجرح السائق ومعاونه ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤٧	٢٥ـ٤ـ٧٨
٤	٢٨ـ٤ـ٧٨	٧ر٣٠ صباحا	جفعتايم ـ شمال شرق تل ابيب مبنى مخابرات العدو	تفجير	عبوات ناسفةموقوتةشديدةالانفجار	غير محدد	غير محدد	ـ تدمير مدخل المبنى تدميرا تاما وتصدع جدرانه ـ تدمير واعطاب عدد من سيارات العدو · ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٣٨	٢٩ـ٤ـ٧٨
٥	٢٦ـ٤ـ٧٨	صباحا	نابلس ـ ميدان الساعة	هجوم	قنابل يدوية	٢	٦	ـ مقتل اثنين واصابة ستة اخرين · ـ اصابة الباص وتحطم مقدمته ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٣٩	٢٨ـ٤ـ٧٨
٦	٤ـ٥ـ٧٨	١٤ر٥	حيفا ـ المحطة المركزية للباصات	تفجير	عبوات ناسفة مشركة		٦	ـ اكتشفت العبوات قبل انفجارت اثناء تفكيكها · ـ اصابة (٦) افراد من شرطة العدو · ـ اصابة الباص باضرار بالغة ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤٠	٥ـ٥ـ٧٨
٧	٤ـ٥ـ٧٨	١٦ر٠٠	القدس ـ المحطة المركزية للباصات	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	غير محدد	ـ تفجير الباص اثناء توقفه · ـ تضرر لثبية الانفجار عدد من الباصـــات الصهيونية المتواجدة داخل المحطة ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤١	٥ـ٥ـ٧٨
٨	٦ـ٥ـ٧٨	٢٣ر٠٠	القدس ـ انشات الحكومية	هجوم	صواريخ لغيلة	غير محدد	غير محدد	ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو · ـ تدمير وتصدع عدد من المنشات ـ تدمير عدد من سيارات العدو · ـ تعطيل التيار الكهربائي في مدينة القدس ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤٢	٧ـ٥ـ٧٨
٩	٨ـ٥ـ٧٨	١٦ر٣٠	القدس ـ احد باصات العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو · ـ تدمير اجزاء كبيرة من الباص وتحطيم معظم محاويات الحقم ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤٣	٨ـ٥ـ٧٨
١٠	٨ـ٥ـ٧٨	١٧ر٠٠	طريق القيصر الميت ـ القدس احد باصات العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو · ـ تدمير جزء كبير من الباص واتلاف محتويات الاستراحة ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤٤	٨ـ٥ـ٧٨
١١	٨ـ٥ـ٧٨	١٧ر٣٠	نابلس ـ مكتب العمل الصهيوني	تفجير	عبوات ناسفة مشركة	١	ـ	ـ مقتل خبير التفجرات الصهيوني · ـ اصابة مكتب العمل الصهيوني باضرار بالغة	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤٥	٩ـ٥ـ٧٨
١٢	٨ـ٥ـ٧٨	٢ر٠٠ صباحا	مجدال هعميك ـ غربي طبريا	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ تدمير السيارتين تدميرا تاما · ـ تحطيم زجاج مركز الشرطة ومعظم الابنيـة المجاورة ·	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤٦	٩ـ٥ـ٧٨

					وعبوات ناسفة موقوتة							
١٤	١١-٥-٧٨	٢٦٫٠٠	نابلس ـ الميدان الرئيسي	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	١	غير محدد	ـ تدمير السيارة تدميرا تاما وأصابة مالكها بجراح ٠				
١٥	١٢-٥-٧٨	٧٫٤٥	صباحا تل ابيب ـ شارع اوياخ	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ مقتل خبير المتفجرات ٠٠ ـ اصابة عدد من جنود العدو المتواجدين هناك٠	ـ	ـ	ـ	٨٧٫٤٨ ٧٨-٥-١٢
١٥	١٢-٥-٧٨	٧٫٤٥	صباحا	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بين قتيل وجريح ٠ ـ اتلاف معظم محتويات المحل التجاري ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٤١ ٧٨-٥-١٢
١٦	١٥-٥-٧٨	٥٫٢٣	القرائص ـ ميناء حيفا	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	٢	ـ احراق متاجر الكيشون ٠ ـ تدمير واحراق مخازن التموين ٠ ـ اتلاف مستودعات شبكة الهكهرباء ٠ ـ احراق مستودعات الآلات الزراعية ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٤٠ ٧٨-٥-١٨
١٧	١٧-٥-٧٨		فجرا ايلات ـ شركة مياه ـ ميكروت ٠	تفجير	القاء حقيبة ناسفة	ـ	٢	ـ اصابة ثلاثة من مهندسي الشركة بجراح ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥١ ٧٨-٥-١٨
١٨	١٧-٥-٧٨	٧٫٣٠	صباحا بني براك ـ شارع هكيشون ممتلئ الورق	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	ـ	غير محدد	ـ تدمير احد المستودعات تدميرا كاملا ٠ ـ اصابة عدد من افراد العدو ٠ ـ اعطاب شاحنتين تعملان في نقل الورق ٠ ـ تصدع عدد من جدران مباني المستودعـــات والمصنع ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥٢ ٧٨-٥-١٨
١٩	٢٠-٥-٧٨	٢٫٠٠	بني براك/شمال تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ تدمير اربع شقق من المبنى تدميرا تاما ٠ ـ تصدع جدران المبنى ـ تحطيم نوافذ وزجاج الابنية المجاورة ـ تدمير عدد من السيارات القريبة ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥٣ ٧٨-٥-٢٠
٢٠	١٩-٥-٧٨	٢٫٠٠	برديس كاتس / تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ تدمير طابقين من المبنى وتحطيم زجاج البنايات ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥٤ ٧٨-٥-٢٠
٢١	٢٠-٥-٧٨	١٥٫٢٣	معسكر عسكر / نابلس	هجوم	قنابل حارقة	غير محدد	غير محدد	ـ ايقاع خسائر فادحة في صفوف القوات الصهيونية التي هاجمت النجدة ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥٥ ٧٨-٥-٢١
٢٢	٢٢-٥-٧٨	١٥٫١٩	اوريهودا / تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من افراد شرطة العدو ـ تدمير جزء كبير من المبنى ـ اصابة عدد من سيارات الشرطة المتواجدة امام المبنى ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥٦ ٧٨-٥-٢٤
٢٣	٢٣-٥-٧٨	٢١٫٢٥	كريات اونو/جنوب شرق بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد من حراس مركز الشرطة ـ تدمير عدد من سيارات الشرطة	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥٧ ٧٨-٥-٢٤
٢٤	٢-٦-٧٨	١٢٫٠٠	القدس/ احد باصات شركة ايجد	تفجير	عبوات ناسفة لاصقة	٦	٤١	ـ مقتل اكثر من (٦) افراد من العدو ـ جرح حوالي (٤١) من افراد العدو ـ تدمير الباص تدميرا تاما ـ اعطاب عدد من السيارات المجاورة ـ اعطاب شركة الكهرباء	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥٨ ٧٨-٦-٣
٢٥	٢-٦-٧٨	٧٫٢٠	القدس/ حديقة ماميلا	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٥٩ ٧٨-٦-٣
٢٦	٢-٦-٧٨	منتصف الليل	حيفا/السوق المركزي	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ نشوب حريق كبير داخل السوق ـ اصابة عدد من افراد العدو ـ التهمت النيران جميع المحتويات	ـ	ـ	ـ	٧٨٫٦٠ ٧٨-٦-٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعهـــا	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو الاخرى	خسائـــر المقاومـــة شهيد	جريح	مفقود	المصدر ـ البـلاغ العسكري رقم	تاريخ
٢٧	٦ـ٦ـ٧٨	٧ر١٥	طريق رام الله ، النبي صموئيل/شركة مازدا	هجوم	قنابل حارقة	ـ	ـ	ـ تدمير الباص واحراقه بالكامل	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٦١	٧ـ٦ـ٧٨
٢٨	٦٢ـ٦ـ٧٨	٢ر٠٠	محولا/الاغوار الشمالية	اقتحام قاعدة صاروخية ـ قنابل يدوية اسلحة خفيفة ورشاشات	ـ	ـ	ـ	ـ اصابة اهداف العدو العسكرية والمنشـــآت الحيوية في المستعمرة ٠	١	ـ	ـ	٧٨ـ٦٢	١٢ـ٦ـ٧٨
٢٩	١١ـ٦ـ٧٨	١٥ر٢٠	نابلس/مكاتب العمل الصهيوني	هجوم	قنابل حارقة	ـ	ـ	ـ اصابة المكتب باصابات مباشرة ـ اتت النيران على جميع محتوياته	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٦٤	١٢ـ٦ـ٧٨
٣٠	١١ـ٦ـ٧٨	٢٠ر١٧	القدس/غايات كتيدي	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	ـ	غير محدد	ـ نشوب حريق هائل داخل الغايات ـ تدمير معظم التجهيزات العسكرية الفنية ـ اصابة عدد من جنود العدو	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٦٤	١٢ـ٦ـ٧٨
٣١	١١ـ٦ـ٧٨	٤ر١٨	حيفا/شركة « انا »	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ نشوب حريق هائل امتد الى بقية العامـــل والتهى على معظم محتوياتها من آلات ومواد خام ـ تدمير اجزاء كبيرة من القسم	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٦٥	١٢ـ٦ـ٧٨
٣٢	١٢ـ٦ـ٧٨	٥ر١٢	الباص رقم (٢٥) التابع لشركة ايجد والعامل على خطوط القدس الداخلية والخارجية ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ اصابة الباص باضرار بالغة ٠	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٦٦	١٢ـ٦ـ٧٨

١ ـ اعترف العدو بالعملية في نشرته الاخبارية بقوله : « عند الظهر اصيـب اربعة جنود بحروق ، من جراء القـــاء زجاجة حارقة الى داخل سيارة باص كانت تمر على مقربة من مخيم اللاجئين قلنديه» ٠

(رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ١٤٦٢، ص ١١٨ ، الساعة ٠٠ر١٩ ، الاحـــد ١٦ـ٤ـ١٩٧٨) ٠

٦) في برنامج الظهيرة ، اعتـــرف العدو بالعملية حيث قال : « وجـــاءت الشرطة وبدأت بفحص الرزمة ، فانفجرت وادى الانفجار الى الحاق اضرار بمانوتين واصيب ثلاثة اشخاص مجروح ، من بينهم خبير الشرطة الذي عالـــج الرزمة ، وجروحه خفيفة » ٠

(رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ١٤٧٨، ص ٥٠ ، برنامج الظهيرة ، الخميـس ٤ـ٥ـ١٩٧٨) ٠

١٦) اعترف العدو في نشرته الاخبارية بالحريق الذي نشب من جراء العملية اذ قال : « شب حريق هائل استمر طـــوال الليل ، في المخازن الصناعية ، في منطقة خليج حيفا ٠ وتقدر الخسائر بملايين الليرات ٠ واصيب اربعة من رجال الاطفاء بجروح تتراوح بين الخفيفة والمتوسطة »٠ واضاف يقول حـــول حريق المتجـرة : « اشتعلت النيران في متجرة بتشون ، وفي صالون حلاقة مجاور » (٠٠٠٠) ٠ وفي مستودع للانابيب الكهربائية » ٠

(رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ١٤٨٦، ص ١٧٤ ـ ١٧٥، الساعة ٠٠ر٧، الثلاثاء ١٦ـ٥ـ١٩٧٨) ٠

٢٢) اعترف العدو بالعملية في نشرته الاخبارية حيث قال : « القيت الليلة قنبلة يدوية على مركز الشرطة في اور يهودا لم تقع اصابات وكان الانفجار لاسباب اجرامية » ٠

(رصد اذاعة اسرائيل ، الاربعـــاء ٢٤ـ٥ـ١٩٧٨ ، الساعة ٠٠ر٧ ، ص٢٩٤، العدد رقم ١٤٩٣) ٠

٢٤) ورد نبأ العملية في « شريـــط الاسبوع » ٠ قالت الاذاعة : « قتل فـــي حادث انفجار الباص في حـــي « يأيت وجان» في القدس ستة اشخاص، واصيب حوالي العشرين بجراح ، اربعة منهـــم جراحهم خطيرة » ٠

(رصد اذاعة اسرائيل ، الجمعـــة ٢ـ٦ـ١٩٧٨ ، ص ٣ ، العـــدد رقم ١٥٠٢) ٠

٢٨) تصدرت عملية «محولا » انبـاء الصباح في نشرة العدو العبرية بقوله : « تم فجر اليوم احباط محاولة قام بهـــا مجموعة « مخربيـــن » للتسلل الـــى مستوطنة محولا ، شمالي غور الاردن ٠ وهي مجموعة من اربعة افراد ٠ وقـــع الحادث في حوالي الساعة الثانية بعـــد منتصف الليل ٠ وخلال تبادل اطـــلاق النار بين حراس المستوطنـــة وبيـــن «المخربين» ، قتل احد المخربيـــن ، ولاذ الثلاثة الباقون بالفرار » ٠

(رصد اذاعة اسرائيل ، الاثنيـــن ١٢ـ٦ـ١٩٧٨ ، ص ١٥٢ ، العدد ١٥٠٨)٠

مروان حميد

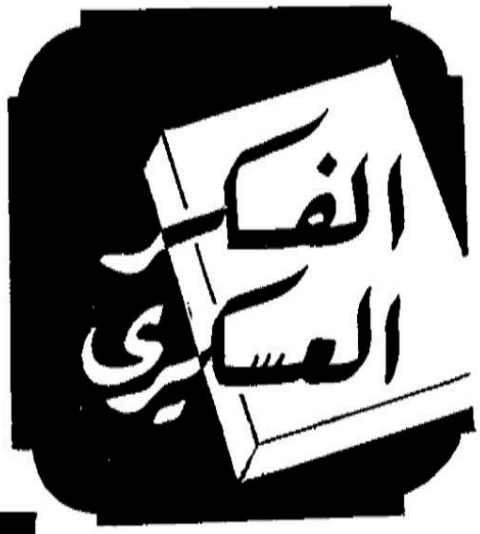

مجلة فصلية تعالج القضايا الاستراتيجية

تصدر في سورية عن الأكاديمية العسكرية العليا

يشارك في تحريرها بالاضافة الى هيئة التحرير مجموعة من كبار الكتاب واساتذة الجامعات والمفكرين العسكريين

الاشتراكات :

- الاشتراك السنوي في ج ع.س ٣٥ ل.س
- الاشتراك السنوي في البلاد العربية ٥٠ ل.س او ١٤ دولاراً امريكياً أو مايعادلها
- الاشتراك السنوي خارج البلاد العربية ١٤ دولاراً امريكياً أو مايعادلها
- قيمة العدد في سوريا ٤ ل.س . في لبنان والبلاد العربية ٤ ل.س

لعنوان : مجلة الفكر العسكري . دمشق . القابون . هاتف : ٧٧٣٩٣٨ دمشق .

- المراسلات البريدية والبرقية : مجلة الفكر العسكري ص.ب/٤٢٥٩/دمشق.